المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد السادس والثمانين

١ مارس سنة ١٩٣٥ — ٢٥ ذو القعدة سنة ١٣٥٣

السيارات : اجواؤها

ومسألة الحياة على سطوحها

المشتري وزحل والزهرة والمريخ في ضوء الارصاد الحديثة

من عهد طويل ، يقاس بألوف الألوف من السنين ، اقتربت شمس عظيمة من شمسنا ، فاشتدَّ جذب الضيفة لمضيفتها ، فانتزعت من سطحها قدراً كبيراً من كتلتها امتدَّ في شكل ذراع بين الشمسين ، فلما أبعدت الشمس الزائرة ، ماشية في طريقها الكوني المرسوم ، تكتلت مادة الذراع كراتٍ من المادة هي السيارات التي تدور حول الشمس ومنها الأرض . هذا هو أصل النظام الشمسي بحسب الرأي السائد في دوائر العلم

على ان العلاَّمة ادلغتن أستاذ علم الفلك في اكسفرد ، يرى ان احتمال اجتماع شمس بأخرى ، على القرب المتقدم ، بعيد جدًّا ، لا يزيد على واحد في مائة مليون . ولذلك يذهب هو وطائفة غيره من علماء العصر ، الى ان النظام الشمسي ليس نموذجاً للسبيل التي تسير فيه الشموس في تطوّرها . بل ليس ضرباً مألوفاً في قبة الفلك . وانهُ فلتة من الفلتات لا اكثر ولا أقل (It is a freak)

وثمة بواعث كثيرة تحمل الباحث على الاعتقاد في أن نظامنا الشمسي تكوَّن بالطريقة التي تقدم ذكرها . ولقد أشار السر جيمز جينز في ما كتبهُ عن أصل النظام الشمسي، الى أن قواعد التجاذب تقتضي أن تكون الذراع المؤلفة من المادة المنطلقة من شمسنا بفعل جاذبية الشمس الاخرى ، على اكثفها وأثخنها عند منتصفها ثم تستدقُّ رويداً رويداً حتى تبلغ طرفيها . فاذا أخذنا السيارات

ورتبناها بحسب بُعدها عن الشمس محتفظين ببعدها النسبي أحدها من الآخر ، ثم رسمنا خطًّا حولها يمسُّ النقط العليا والنقط السفلى في كراتها ، كان الرسم الذي نحصل عليه أشبه ما يكون « بالسيجار » . وهذا يؤيد رأي جينز ، فالمشتري وزحل في الوسط وهما أكبر السيارات ، ثم تصغر السيارات حجمًا كلما بعدت من الشمس او اقتربت منها ، فالسيارات تتدرج صغرًا من المريخ الى الارض الى الزهرة الى عطارد في ناحية الشمس ، ومن أورانوس الى نبتون الى بلوطو في الناحية المقابلة

فاذا مضينا في البحث ، متأثرين نظرة الاستاذ ادفنتن وجدنا أن كلَّ سيَّار من السيارات فلتة على حدة . فليس بينها اثنان متساويان حجمًا أو كتلةً أو متماثلان في طول يوميهما أو حالة جوّيهما أو انحرافهما على مستوى دائرة البروج . ومع ان جميع السيارات تمتُّ الى أصل واحد ، الاَّ أن الاختلاف بينها أعظم من الاختلاف بين الاولاد المتحدرين من أب واحد وأم واحدة

فالصفات التي تفردت بها الارض بين السيارات جعلت الحياة على سطحها فلتة كذلك او اقرب الى الفلتة منها الى الحالة السوية . انها في الواقع معلّقة بخيط اوهى من نسج العنكبوت كما يقول الشاعر العربي . زد انحراف مدار الارض على مستوى دائرة البروج ، اوقصّر يوم الارض بضع ساعات او زده بضع ساعات ، او ازل من جوّها الاكسجين وبخار الماء ، او غيّر مقدار قوة جاذبية بتغيير كتلتها ، أو انقص بعدها من الشمس — افعل ايًّا شئت من هذا تقضِ على كلّ نبات وحيوان على سطحها

ان تأثير طائفة من الاحوال المعروفة وغير المعروفة على سطح الارض مهّدت لظهور قطعة البروتوبلاسمة الاولى ، وتطورها من اسفنج ، الى سمك ، الى زحافات ، الى طير ، الى ثدييات ، الى برذا وليوناردو وبيتوفن . بيد ان بعد الاحتمال في تأليفها يحمل المتأمل على الظن بأن قصد الطبيعة ، هو تجربة التجارب بالشموس العديدة ، للحصول على كرة صغيرة ، تصلح لظهور البروتوبلاسمة القادرة على التطوُّر والتحوُّل والظهور في الوف من الاشكال المتباينة من نبات وحيوان

هذا نوع من التأمل ، يدفعنا اليه ، الاطلاع على البحوث الحديثة في اجواء السيارات الكبرى . فعلماء الفلك الطبيعي ، ينتقلون بوساطة المطياف (السبكترسكوب) ، الى عوالم تبعد عنا الوف الاميال وملايينها . في هذا الميدان نجد الدكتور سلايفر Slipher والدكتور آدل Adel والدكتور ولت Wildt في انحاء مختلفة من اميركا واوربا يكتشفون حقائق جديدة عن المشتري وزحل واورانوس . والدكتور ادمز Adams والدكتور دنهام Dunham في مرصد جبل ولسن بكاليفورنيا يجلوان ما غمض من امور الزهرة ، والدكتور كوبلنتز والاستاذ رسل ما خفي من شؤون المريخ

وقد يقول معترض ان للطياف كان معروفًا عند العلماء من خمسين سنة تقريبًا ، فلماذا لم يستعمل قبل الآن في الكشف عن الحقائق التي تقولون انها كشفت حديثًا ؟ والردُّ على هذا السؤال هو ان العلماء كانوا في حاجة الى استنباط الطرق والاساليب لاستعمال هذه الآلة ، وهذا لم يأتِ الاَّ بالمزاولة وبالاعتماد على مكتشفات مختلفة في العلوم الاخرى . ذلك أننا اذا نظرنا الى ضوء الشمس او ضوء أحد

النجوم ، تعذّر علينا ان نتبين العناصر التي تولده من مجرد النظر اليه . فنحن نحتاج الى مصفاة ، تمكننا من التفريق بين الاشعة المختلفة التي يتألف منها ذلك الضوء . فاذا استطعنا ان ندرس كل ضرب من الاشعة على حدة فقد نتمكن من معرفة المصادر التي تنطلق منها

والمصفاة التي تمكن الفلكيّ او الطبيعيّ من هذا هي المطياف . فالضوء اذا اخترق موشوراً من الزجاج فرّقهُ الى عناصره التي يتألف منها . ولا يخفى ان قوس قزح ، ليس الا ضوء الشمس وقد تفرق الى عناصره بعد اختراقه لقطيرات المطر . وسواء أُحلّ ضوء الشمس بموشور من زجاج ام بقطيرات من الماء ، فالالوان التي تظهر عند حلّه هي هي — الاحمر فالبرتقالي فالاصفر فالاخضر فالازرق فالنيلي فالبنفسجي ، على أن المكرسكوب الحديث يمكن الباحث من أن يحلّ كل لون من هذه الالوان : الى مناطق أو خطوط تظهر في أماكن معينة محدودة ، ودراسة هذه الخطوط تفضي به الى معرفة العناصر المتوهجة في الشمس التي صدر منها النور المحلول ، وفهم شيء غير يسير عن حالها الطبيعية . فاذا رأى الفلكي الطبيعي خطاً معيناً في منطقة اللون الاصفر في طيف نور صادر من شمس ما ، عرف ان في هذه الشمس صوديوماً ، ولذا رأى خطاً معيناً في منطقة اللون الاحمر ، عرف ان هناك ايدروجيناً . وما يصح على هذين العنصرين يصح على الاكسجين والنتروجين وغيرهما من العناصر

ويظهر من البحوث الحديثة في أجواء السيارات ان هذه الخطوط الطيفية المبثة عما وراءها ، توجد في الغالب في منطقة اللون الاحمر ومنطقة الاشعة التي تحت الاحمر ، وهي حقيقة جديدة في دراسة السيارات من الوجهة الطيفية . لذلك كان البحث في منطقة الاشعة التي تحت الاحمر ، متعذراً الى عهد قريب ، لما استنبط الكيماويون مستحلباً غروياً فوتوغرافياً يتأثر بالاشعة التي تحت الاحمر ، ففتحت به عيون الفلكيين ، على أمور كانت خافية عنهم ، أو كأنهم كانوا يحدقون في جسم يحيط به ستار كثيف فرُفع الستار وظهر الجسم . ولكن هذا لا يعني ان البحث في طيوف السيارات من الهنات ، فالسيارات بعيدة ، ولا يظهر أعظمها حجماً ، في أقوى التلسكوبات ، الا كقطعة صغيرة من النقد . ثم ان الخطوط ومناطق الالوان المختلفة ، مبهمة غير جلية ، ولعلّ بعضها لا يزال خفياً لان المستحلبات الفوتغرافية لم تبلغ بعد درجة وافية من الاتقان

بيد ان العلماء لاحظوا بعيد اكتشاف المطياف مناطق برتقالية اللون في طيفي المشتري وزحل . وفي سنة ١٩٠٥ لاحظ الدكتور سلايفر — وكان يشتغل في مرصد فلاغستاف باريزونا مع الاستاذ برسيفال لول الذي تنبأ بوجود السيار بلوطو — ان المناطق البرتقالية في طيفي اورانوس ونبتون كانت أجلى وأوضح مما يقابلها في المشتري وزحل ، وان في طيفي المشتري وزحل مناطق اخرى ضئيلة جداً لم يرَها أحدٌ قبله . فلما درس الاستاذ ولت Wildt (جامعة غوتنغن) الصور الفوتغرافية التي صوّرها سلايفر نشر رسالة في سنة ١٩٣٢ قال فيها أن المناطق البرتقالية هذه ، ناجمة من غازي الامونيا والميثين methane (ك يد ٤) ، ولكن قولهُ لم يكن قاطعاً . فما السبيل الى القول الفصل ؟

يعمد الطبيعي في هذه الحالة ، الى الامتحان في معمله الضيق الجوانب . ولكن اذا دخلت قدس هذا المعمل لم تجد فيهِ السيارات مصغرة ، بل تجد آنية من الصلب تحتوي على الامونيا أو الميثين أو الايدروجين ، ثم تجد أنبوباً طويلاً من الزجاج يحتوي على خليط منها يمثل جوَّ السيار الذي تُرام دراستهُ ، بمقادير عناصره ودرجة الضغط عليها . ثم تجد أمام الأنبوب مطيافاً وأمام المطياف لوحة خاصة . وعند الامتحان تبعث شعاعة من النور من مصدر وراء الانبوب فتخترق خليط الغاز الذي فيهِ ، ثم تحلُّ بالمطياف ، فترتسم على اللوحة التي أمامهُ مناطقها الملونة المختلفة . هنا تتضح الخطوط المبهمة في طيوف السيارات . وتظهر الخطوط الخفيّة . وخاصة ما كان منها في منطقة الاشعة التي تحت الاحمر . وقد اعتمد الدكتور دُنهام Dunham احد علماء مرصد جبل ولسن على هذه الطريقة في دراسة جوّي المشتري وزحل ، فثبت لهُ ان في جوّيهما عنصر الايدروجين ومركّب الامونيا . وبالاعتماد على الطريقة نفسها اثبت الدكتور سلايفر والدكتور آدل ان المناطق التي تبدو على سطح المشتري وزحل سببها غاز الميثين او الغاز الطبيعي

وقد تلتفت الى محدثك في المرصد وتقول لهُ اذ يشير الى المشتري او بركهُ في مسة التلسكوب : اذاً هذا هو المشتري ؟ فيردُّ عليك في الغالب : كلاَّ ليس هذا الاَّ جوهُ اذ لم يفز حد حتى الآن برؤية المشتري او زحل . وما شوهد منهما ليس الاَّ غيومهما

هذا النوع من البحث ، يبدد الوهم السائد بأن المشتري لا يزال مجرَّاً — لشدة حماوته — فقد انفصل عن الشمس من نحو ٥٠٠٠ بليون سنة ولا يخفى ان الحماوة الى درجة الحمرة تعني حرارة كافية لحلّ غازي الامونيا والميثين . فلو صحَّ ان للمشتري حاماً الى درجة الحمرة لما استطعنا ان نرى المناطق التي اثبت البحث الحديث ، انها هناك وان سببها وجود الامونيا والميثين في جوّ المشتري

واذن يجب ان نتصور كلاً من هذين السيَّارين — المشتري وزحل — مؤلفاً من جسمين مختلفين او من جسم صلب وغلاف غازي . فالجسم الصلب مؤلف من مادة جامدة كثيفة لعلَّها صخر او حديد نيكلي . ثم خارج هذه الكرة غطاءٌ كثيف من الجمد مضغوطاً ضغطاً شديداً سببه قوة جاذبية السيَّار نفسه الناجة عن عظم كتلته . ويحيط بهذا كلهِ جوّ غازي مضغوط ضغطاً شديداً كذلك ، فيهِ قدر كبير من الايدروجين والامونيا والميثين . وقد يسأل القارىء ما الباعث على الضغط الشديد في الجوّ وطبقة الجمد ؟ والردُّ على ذلك في المقاييس المعروفة عن كتلتي هذين السيارين . فهما اكبر السيَّارات واذاً فقوة جذبهما للاشياء التي على سطحهما كبيرة لأنها تزيد بزيادة الكتلة . فاذا انتقل رجل من ابناء الارض الى سطح المشتري تعذر عليهِ رفع ذراعه لحك رأسهِ وسبب ذلك ان شدَّة جذب المشتري لذراعه تجعلها اثقل من ان يسهل عليهِ رفعها . ولا يخفى ان الارض قد خسرت معظم الايدروجين في جوّها لصغر كتلتها . ولكن المشتري وزحل لا يزالان محتفظين بهِ لكبر كتلتيهما ولا بدَّ للباحث من قياس درجات الحرارة في اجواء السيارات لاستيفاء ما يعرفه عنها . هذا الفرع

من البحث اختص به الدكتور پتي Petit والدكتور نيكولسن Nicholson من علماء مرصد جبل ولسن . فانهما استنبطا وسيلة لقياس الحرارة تدعى الترموكبل Thermo-couple وهما يستطيعان لشدة احساسها ان يقيسا بها فرقاً في الحرارة يبلغ ثلاثة اجزاء من مائة الف جزء من الدرجة المئوية $\frac{٣}{١٠٠٠٠٠}$. وكل ما فيها ان ضوء نجم بعيد يجمع على قطع دقيقة جداً من البزموت وخليط القصدير فيولد فيها تياراً دقيقاً من الكهربائية . وقياس هذا التيار يمكن الباحثين من تعيين درجة الحرارة . ولا يزيد وزن الجزء الخاص بهذا القياس على رأس دبوس صغير

والنتائج التي وصل اليها الدكتور پتي ونيكولسن تدل على ان البرد شديد على سطحي المشتري وزحل ، حتى تتجمد الامونيا التي في الجو . ان درجة البرد تبلغ ٢٢٠ درجة تحت الصفر بميزان فارنهيت على سطح المشتري (١٤٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد) و ٢٨٠ درجة تحت الصفر بميزان فارنهيت (١٧٤ تحت الصفر بميزان سنتغراد) على سطح زحل . اما العلماء دنهام وسلايفر وولت فقد انتهوا — على حدة — الى ان السيارين الكبيرين مغطيان بغيوم من بلورات الامونيا . وان هذه الغيوم قد بلغت من الكثافة درجة تحول دون رؤية ما تحتها حيث يجب ان يكون غاز الميثين كثيراً . ولو كان هناك اكسجين ، واشعل عود ثقاب لالتهب جو السيارين ، بل لحصلت فيه انفجارات عظيمة

وتنزلق غيوم الامونيا على سطحي السيارين محدثة عواصف وأعاصير سرعتها من ٤٠٠ ميل الى ٦٠٠ ميل في الساعة على سطح زحل و ٢٥٠ ميلاً على سطح المشتري . ما سبب هذه الاعاصير ؟ اننا لا نعلم حتى الآن . فالرياح تهب على سطح الارض لان حرارة الشمس تحدث اختلافاً في حرارة الهواء في مناطق مختلفة . ولكن الشمس ابعد من ان تؤثر حرارتها في ايدروجين المشتري وزحل او في بلورات الامونيا في جويهما . هنا يجد القائلون بأن المشتري وزحل لا يزالان حاميين الى درجة الحمرة ، حجتهما الكبرى . وقد اعتمد الباحثان ادمن ودنهام على طرق البحث التي تقدم ذكرها ، فتبين لهما ان جو الزهرة مؤلف في الغالب من ثاني اكسيد الكربون . ولا يخفى ان هذا الغاز لا غنى عنه لحفظ الحياة على سطح الارض . فان ضوء الشمس يفعل فيه فيولد ان معاً في الاوراق الخضر في النبات ، مواد نشوية وسكرية . فاذا سلمنا بوجود نبات اخضر وجب ان نسلم بوجود الماء والاملاح المعدنية اللازمة لحياته ، وبوجود الاكسجين الذي يزفره النبات في خلال عملياته الحيوية . ولكن ثاني اكسيد الكربون وحده لا يكفي للحياة

فاذا التفتنا الى المريخ ، تذكرنا ان علماء الطبيعة كانوا الى عهد قريب ، مختلفين في درجة الحرارة على سطحه . ولكن الدكتور كوبلنز الاميركي ، قد جلا كل ريب محيط بالموضوع . فانه استعمل جهاز « الترمو كبل » لقياس حرارة الاشعة الواصلة الينا من مواقع مختلفة على سطحه ، فثبت له ان حرارة الصيف عند قطبه الجنوبي تتباين من ١٠ درجات مئوية تحت درجة الجمد الى عشر درجات فوق درجة الجمد وان حرارة المنطقة المعتدلة الجنوبية في الفصل نفسه تتباين من نحو ١٨ درجة مئوية الى

نحو ٢٤ درجة مئوية . واما حرارة المنطقة الاستوائية فتختلف من ١٨ درجة مئوية الى نحو ٣٠ درجة مئوية . وتختلف حرارة المنطقة المعتدلة الشمالية في الشتاء من ثلث درجة تحت الصفر الى ١٥ درجة فوق الصفر . وعلى ذلك ظهر ان حرارة سطح المريخ اعلى مما كان يُظَنّ . وارجح ان برد الليل في منطقته الاستوائية شديد جدّاً ولكنهُ قد لا يفوق برد مدن عظيمة مأهولة اشتهرت ببرد شتائها مثل مدينة سويورك

ولكن ماذا يقال في جوّ المريخ ؟ ان فيهِ اكسجيناً وبخاراً مائيًّا وكلاهما من العناصر اللازمة للحياة كما نعهدها . وقد كان بعض البحّاث الفلكيين يعتقدون ان البقعتين البيضاوين على قطبي المريخ ليستا ثلجاً بل ثاني اكسيد الكربون متجمداً ، فثبت الآن ان البقعتين ثلج او جمدٌ يذوب في الربيع والصيف وان ذوبانهُ مصدر البخار المائي في الجوّ . وقد صوّر الدكتور ريط بمرصد جبل ولسن جوّ المريخ بالوان مختلفة فاكتشف غيوماً مائية صفراً سابحة على ارتفاع ١٥ الف قدم فوق سطحه

على ان الاستاذ رسل — استاذ علم الفلك في جامعة برنستن — يرى ان المناطق الحمر على سطح المريخ لها تعليل آخر . فهو يقول : تأملوا الاكسجين في جوّ الارض فهو ليس كل نصيبها من الاكسجين الاصلي في مادتها . ومعظم ما تبدّد منهُ يبدو في المواد التي تدخل اكاسيد الحديد في تركيبها . وهي حمراء في الغالب . فالاكسجين شديد الالفة للحديد . ولا بدّ في النهاية من ان يزول الباقي من اكسجين الهواء بهذا التفاعل الكيماوي . فاذا اردنا ان لا يموت الانسان اختناقاً لشدة حاجته الى الاكسجين ، وجب علينا ان نبتدع طريقة لنلقن بها الاكسجين الداخل في تركيب الصخور والمعادن وما اليها . والاستاذ رسل يرى ان المريخ في حالة تشبه حالة الارض من هذا القبيل . ويرجح ان معظم اكسجينهِ قد اتحد بصخورهِ . وما نراهُ من البقع الحمر على سطحهِ قد يكون مناطق تكثر فيها المواد التي دخل الحديد والاكسجين في تركيبها وهي حمراء مثل المغرة والحجر الرملي والصدأ الحديدي وغيرها

اما وقد اجتمعت هذه الادلة لدى العلماء ، فليس ثمّة شكٌّ في ان احوال المريخ الجوية تصلح للحياة كما نعهدها : في ابسط مظاهرها فقط . واذن يجب ان ننزع من اذهاننا صور الاحياء العاقلين الذين يبنون الاقنية المستقيمة للري ، وهم الاحياء الذين تصوّرهم الاستاذ لول يقطنون سطح المريخ . فاذا شبهنا المريخ برجل قلنا انهُ اخذ ينحدر من دور القوة الى دور الهرم

ثم اذا التفتنا الى السيارات الاخرى وجدنا ان عطارد قريب جدّاً القرب من الشمس حتى ان حرارة سطحهِ تكفي لصهر الرصاص . اما اورانوس ونبتون وبلوطو ، فبعيدة كل البعد عنها ، حتى لا تبدو الشمس في نظر مشاهد على سطح أحدها الاّ نجماً كبيراً كما تبدو لنا الشعرى او اكبر قليلاً . فنهارها لا يفوق شفقنا اشراقاً ، وطول الفصل من فصولها يقاس بسنوات من سنواتنا ، ودرجة البرد على سطوحها تفوق درجة البرد الشديد على سطحي المشتري واورانوس . فسطوحها قاحلة جدبة لا تصلح مثوًى لشكل من أشكال الحياة التي عهدناها

حركة الرواد

تجربة اجتماعية خطيرة في مصر

كانت المحاضرات التي القيت في المؤتمر السنوي السادس الذي عقده المجمع المصري للثقافة العلمية (٧ — ١٤ فبراير) بمثابة نخبة مختارة من فضلاء القوم وكبارهم وشبابهم المثقف . فقد القى به الدكتور علي باشا ابراهيم خطبة علمية تاريخية في « السجاد » والدكتور مشرفة خطبة « في الطبيعيات المكتشفة حديثاً في علم الطبيعة » والدكتور شحاتيري في « التأمين على الجنين » ورئيس تحرير المقتطف في « الاشعة الكونية » والدكتور خوري صبحي في « اللهجات العربية العامية في مصر وسوريا »

وكان ممتع المقام خطبة لصاحب العزة احمد محمد حسنين بك موضوعها « اتجاهات جديدة في الاصلاح الاجتماعي في مصر » وصف فيها حركة اجتماعية خطيرة انشأ بالذة النفع تعرف بحركة الرواد . فرأينا ان نثبت هنا ما قاله في وصف هذه الحركة المباركة

من منا لم يغشَ حيًّا بلديًّا من أحياء القاهرة . ماذا اذن في مثل هذا الحي ترى . انا لنقع على حياة رخيصة زرية . مظلمة منحطة . ترى طرقاً ضيقة قذرة . أزقة مبتلة متسخة . فضلات ملقاة على الجانبين . مساكن كالكهوف ضيقة ضئيلة منكبشة . مآوٍ متداخلة بعضها في بعض كأنها أعدت لطائفة من الاشباح ، ليس فيها منفذ لشمس أو مسرب لهواء . رجال خاملون كأنما يستبطئون مقدم الموت . العاطل فيهم أداة سقيمة صماء . لا رأي له في شيء ولا يفكر الا في أفق أولي غاية في الضيق . والمعطل منهم لائذ بالمقهى . يقضي يومه بين أن يسمع شرًّا أو يأتي شرًّا أو يفكر في شر . ورجال تُسمَّع خاملون نهشت المخدرات في هيا كلهم نهشاً . فامت فيهم كرامتهم . وضاعت منهم كبرياؤهم وانتفى فيهم كل معنى من معاني القومية . لا نخوة لهم ولا خلاق . يضيع حقهم فيستلبونه . يُنتَقَصُ من عزتهم فلا يشعرون . ما أيسر أن يضيمهم مضيم وما أسهل ان يستهين بهم مستهين . لا يدركون انهم شيء يجب ان يحسب له حساب . ولا يقدرون لانفسهم وزناً في نظر الناس . لانهم لا يقيمون لاشخاصهم هذا الوزن في نظر أنفسهم . اولئك هم رجال الحي . أما نساؤه فقد طمس عليهن الجهل . فشاعت القذارة في أنفسهن ، وبيوتهن ، وأولادهن ، في هذا المحيط المظلم ، وفي تلك البيئة التي أفسدها الجهل والامية . ينشأ الطفل مهملاً متأثراً باخلاق هذا الوسط . وتنشأ البنت محملة تراث هذا العرف الاجتماعي السيء . والاطفال الذين تتولى أمرهم وهم صغار . هم الذين يتولون أمر أبنائهم وهم كبار . وبنت اليوم هي أم الغد . والام هي الامة

أنعمنا جولة في جوانب الحي . ورأينا في ما رأينا سوءاً في السيرة وضعة في المعاملات . اسفاف في كل مرفق من مرافق الحياة

تلك جولة قصيرة في حي من أحيائنا البلدية . وهذا رسم اولي عام لناحية من حياته العادية والذهنية والنفسية . ولئن فرضنا أن حال القرية ليست بأسوأ من هذا الحي حالاً ، وان مآلها ليس بشرّ منهُ مآلاً . استطعنا ان نرسم رسماً مكبراً لافق المجتمع المصري ؛ وان ندرك في ضوء هذا الرسم المتسع مدى ما ينتهي اليهِ هذا المجتمع من فساد وضعف . فما مدى ذلك كلهِ في أنفسنا نحن المتعلمين . دعاة الاصلاح . نحن ننتقد ونعيب ونندد الساوي . وقد نقسو في النقد . ونسرف في التنديد . وكأنما بهذا قد أدّينا واجبنا ، فلا نصنع من بعده شيئاً . بل أنا لنشتطُّ في تصوير الامر ، فنوهم أنفسنا ، ويلذ الوهم ، بأننا قد أصلحنا ، وان ما سقنا من نقد وسرد معايب . وقدمنا من نعي وتنديد . وكنا من قدح وتشهير . منة كبرى يجب ان يشكرها لنا أولئك البؤساء المساكين ؛ وخدمة جلّى يجب ان يقدرها لنا أبناء هذا المجتمع الوضيع . ولقد يحلو ان نتحزن ونتفجع ، ونتندب حظنا ونتوجع ، ان نكون مليمة شعب هذا بعض أمره . وان نكون نحن ، المتخرجين في المدارس العليا والجامعات،الطبقة الراقية لناس هذا شيء من سيرتهم . ولقد راقنا ان نضع الامر هذا الوضع ، ونصوّر صلتنا بالمجتمع ، هذه الصورة النظرية . أما الواقع ، فان هذا الافق المتأخر المنحط انما هو الافق الطبيعي الذي يجب ان نعد نحن المتعلمين من أرقى طبقاته . واذا كنا نحن المغرقين في تقدمٍ لم نعمل عملاً في سبيل رفع مستواه . فما عليهِ اذن من حرج في ان يهبط بنفسه وبنا الى أدنى ما يسف فيه

نعود فنساءل من منا يرضيه ان يتهم بأنهُ لا يحب ان يخدم بلده . من منا يرضيه ان يتهم بأن الوطن آخر ما يعنّ ان يفكر فيه . مع ذلك فمن منا بسط في سبيل النهوض بهذا المجتمع يداً . من منا من بذل شيئاً من وقته أو ماله أو متاعه من أجل نفر مهمل منسي من أبناء هذا البلد . من منا من وقف من حي بلدي من أحياء القاهرة موقف المصلح العامل . قد يده النظيفة اللينة الى يد من تلك الايدي المتسخة الجافة . ومست بدلته الانيقة الفاخرة جلباباً قذراً بغيض المنظر . من منا من لقن هذا الخامل المستهين بنفسه محاسن الخلال . لقنه الصدق وشجاعة النفس . والاعتماد على الذات ، وأشعره ان هذه الصفات الفطرية هي التي تخلق منهُ رجلاً جديداً ذا كرامة

***

نبتت فكرة الرواد في الايام الاخيرة من عام ١٩٢٩ ، وبدأت تعمل في حيز شخصي محدود ، اساسه الرياضة ، وسبيله القيام بالرحلات والقاء المحاضرات ، وغايته ترويض النفس على ان تألف حياة الخشونة والتقشف ، فقد نالت منها مناعم المدنية الحديثة ، وأثرت فيها تأثيراً سلبيًّا ، هو بعض ما يشيع في نفوس ابناء هذا الجيل من ضعف ورخاوة ، وطراوة ولين . غير ان الفكرة ما

ليثبت انه اسمت اذ ادرك الروّاد ان هذا السبيل الذي اخذوا انفسهم به ، وحرصوا على ان يصاحوا من شأنهم على هديه ، ان هو الا نوع من الأثرة المقوتة . فهم يذكرون انفسهم وينسون سواهم ، وهم احق منهم بالاصلاح ، وهم يخدمون اشخاصهم ويهملون الغير وهم اولى منهم بالخدمة . على ضوء هذه الفكرة الجديدة سجلوا دستورهم ، ورسموه مبدأ العمل على رفع مستوى الاخلاق والحياة الاجتماعية في مصر . ولقد تفرّع لهم في هذا الصدد سبيلان ، ورأوا انهم مطالبون بنوعين من الجهود ، يفترقان في منحييهما ويلتقيان في الغاية منهما جميعاً . اما الاتجاه الاول فيقتضي جهوداً تبذل في الطبقات غير المتعلمة طبقات العمال والفلاحين ومن اليهم . واما الاتجاه الثاني فيقتضي جهوداً تبذل في الاوساط المثقفة المتعلمة اوساط الطلبة وشباب الموظفين المستنيرين . هذا ايها السادة بعض الاتجاهات الجديدة التي يمضي فيها الروّاد ابتغاء الاصلاح الاجتماعي . ولئن بدأ الروّاد بالنوع الاول من الخدمة العامة ، فلانهم رأوا ان حاجة الطبقات غير المتعلمة الى الاصلاح اشد مساساً من الطبقات التي تهيأت لها وسائل التهذيب ، وتفتحت ابواب التثقيف

ولما كانت مذاهب الاصلاح في تلك الطبقات الفقيرة كثيرة متشعبة ، رأينا ان نحصر تفكيرنا في دائرة محدودة ، وان نوجه جهودنا وجهة مضمونة الثمر ، وانتهينا الى ان نصلح نواة نبدأ بغرسها في حقل الاصلاح الاجتماعي هي المحلات . فهي ملتقى نشاط الروّاد ، يجد فيها اولئك الغلمان الذين لم تهيئهم الاحوال الى ان يرقوا الى المستوى الاجتماعي المنشود ، جوّاً مشبعاً بروح الاخاء والود ، ووسطاً مرذباً يحرص على رفع مستواهم الاجتماعي . يجدون رجالاً ينظمون لهم اوقات الفراغ ، فمنها ما يتصل برياضة الجسم ، ومنها ما يتصل بتلقين المعرفة ومنها ما يتصل بتهذيب النفس . رجال يأخذونهم باللين ، يعالجون امراضهم الخلقية بالمعروف . ييسرون لهم سبل المعرفة العامة . يغرسون في اذهانهم انهم ناس عليهم واجبات ولهم كرامة . وهذه احدى سبل التضامن الاجتماعي التي لم تسبق مصر ان عرفتها

صحّ الحلم اذن . وافتتح الروّاد في العشرين من نوفمبر سنة ١٩٣١ اول محلة بحي الطبي ، وهو ناحية من حي السيدة زينب ، وفي تلك المحلة ، يلتقي في مساء كل يوم نفر من ابناء هذا الحي ، بعد ان يفرغوا من عملهم اليومي . وهنالك يجمعهم بالروّاد جمع واحد ، وهم رجال مثقفون فمنهم اساتذة بالجامعات والمدارس العليا . ومنهم اطباء ومهندسون . ومنهم محامون وطلبة من الجامعة . شباب نزّاع الى الخدمة العامة . مؤمن بقدسية هذا الواجب . فيتصلون بهم اتصالاً يشعرونهم فيه بأنهم قدوة يجب ان يأخذوا بها ، وانهم اجمعين بنو وطن واحد لا يسمو أحد عن اخيه الا بسمو نفسه . ولا يميز عن صاحبه الا بقوة الاخلاق

واحب هنا ان اصرّح في صوت مسموع ان رسالتنا الادبية التي نعتمد عليها في هذه الخدمة العامة ليست في حشو الرأس بألوان العلوم ، بل في بثّ اصول الفضائل في نفوس هذا النشء . ذلك

لانا نعتقد اعتقاداً ثابتاً ان التعليم قبل التهذيب غرس في غير منبته . وان حاجة هذا المجتمع الى تهذيب النفوس ، امس من حاجته الى تثقيف العقول . الا ان للعلم مناهله سهلة والثقافة سبلها ميسورة ، اما الخلق اذا اعوجّ فكالعود اذا اعوجّ ، يظل ابداً معوجّاً ، يصعب ان يقوّم

اثمرت التجربة ايها السادة ، وافلح المسعى فتأثر هذا النشء الذي تتعهدهُ بالتربية الخلقية والرياضة الجسمية ، واستطعنا حيناً بعد حين ان نصل الى قلوبهم ونملك عليهم مشاعرهم حتى لقد غدوا يرون انهم قطع منا ، وانا لهم آباء ، أو اخوة كبار أعزاء ، واذا قابلنا بين حال هؤلاء الفتيان اليوم ، وحالهم بالامس حين شرعنا في هـذا الجهاد الاجتماعي ، وجدنا في الحق فارقاً كبيراً . فلقد جاؤونا بالامس بأخلاقهم الاولية ، وطباعهم النزّاعة الى الشر والعيب والفوضى . وكان تعهد عنصر من هذا النوع أمراً ممتنعاً مجهداً . أما اليوم فقد تقوّمت عوجهم وصفت سرائرهم ، وأصبحنا نلمس في أعمالهم ظاهرة خلقية نبيلة . قد لا نراها في بعض من أوساط المتعلمين

***

لقد جاء احد ابناء المحلة اول ما جاء متأثراً بالشيء الكثير من الخلق السيء فلما يئسنا منهُ ، وابعدتهُ المحلة عن ابرابها ، امطرها وفريق من صبية الحارة مقذوفاً وفيراً من الطوب والحجارة . ولقد يأخذكم عجب اذا سقت اليكم من امره انهُ اليوم فتىً من خير فتية المحلة ، حسناً وسلوكاً وادباً

كان غلمان المحلة من قبل ، اذا تفوّق احدهم على زميله في لعبة من الالعاب الرياضية كال المغلوب للغالب من الشتائم ، وابى ان يبسط يده الى يد خصمه يصافحهُ مهما أُريد على ذلك ، وأفهم نبل الروح الرياضي . اما اليوم فان هذا المغلوب ليقبل على غالبه يصافحه ويحييه ، ويهنئهُ بتفوقه شاعراً انهُ قد بذل جهده وأدّى واجبه وان خصمه ليس عدواً ولكنهُ أخ

لقد كانوا يرون في المحلة من قبل رأياً غريباً يرون ان كل ما فيها من ادوات يصح ان يتناولوه بالتلف وان كل ما غنم من هذه الادوات انما هو ربح حلال لهم . اما اليوم فانهم يرون انهم قوّم على كل ما تحتوي المحلة ، وانهم مسئولون ادبيًّا عما يفقد منها فاذا وقع شيء من ذلك فانهم يبادرون بالاتيان بمثله او بخير منهُ

توفي احدهم فاشتركوا جميعاً في التعبير عن شعورهم الاسيف ، وتعاونوا بكل ما يملكون من قروشهم القليلة على زيارة قبر اخيهم ، ووضعوا عليه ما يحملون من الصدقات المعروفة في مثل هذه الاحوال

كنا نعطيهم من مكتبة المحلة مجلات يطالعونها فاذا ما انتهوا منها ردوها الينا ، فكان بعض هذه المجلات لا يعاد ، وكان بعضها الآخر يعاد مشوهاً ممزقة منهُ صحائف ، او منزوعة منهُ صوره . اما اليوم فقد استقام امرهم ، ولم يعد شيء من ذلك يقع . بل لقد بلغت بهم دقة الحس ان اصبحوا يمدون المحلة بمجلات ، ويرقبون بانفسهم صيانتها في ايدي اخوانهم القارئين

كان عسيراً ان يذعنوا لمن يقوم عليهم . اما اليوم . فاذا اتفق ان تغيب القائم بسكرتارية شئون

المحلة عن دارهم ، فانهم يختارون من بينهم عليهم وليًّا ، ويبذلون في سبيل طاعته مايبذل أخ اصغر في سبيل طاعة اخيه الاكبر المحبوب

وانما نضرب في هذا الشأن الامثال لنرى كيف أفلح الروّاد في تهيئة هذا التطور النفسي ، وكيف أثمرت رسالتهم الخلقية ثمرتها المرجوّة . وكيف انا لم نكن مسرفين في الظن حين قطعنا بان غرائز هؤلاء الغلمان لم تكن تخلو من عناصر الخير وان في مستقرّ انفسهم حسًّا لطيفاً ووجداناً عامراً ، وانهم انما كانوا مفتقرين الى تلك اليد الخيرة البيضاء تمسهم برفق فتوقظ فيهم فضيلة نائمة وتخرجهم الى النور من ظلام المجتمع . ولقد زادنا ذلك يقيناً بان نظام المحلات اوفق ما يكون نظاماً يبدأ به في سبيل تهذيب البيئة وأصلح ما يكون نواة يستهل بغرسها من اجل الاصلاح الاجتماعي

***

تبدأ سن غلمان المحلة من الثانية عشرة وتنتهي في العشرين . وليس معنى ذلك ان مبدأ المحلة في صدد الخدمة العامة لا يسمح بتجاوز هذه السن ، او بقصر الجهود على امثال هؤلاء الغلمان . ان نظام المحلة ومبدأ الخدمة العامة فيها يتسعان لغير ذلك . يتسعان للشيوخ كما يتسعان للصبية ، يتسعان للنساء كما يتسعان للرجال . فجمهورنا المصري في حاجة الى الاصلاح . لا فرق بين عنصر وعنصر او جنس وجنس . لكن صعوبة التأثير في كبار السن وضعف الامل في اخضاعهم لنظريات التربية العلمية الحديثة — لكن مجابهة هذه الظاهرة من جانب ، ومجابهة الظروف الاجتماعية في مصر من جانب آخر ، وضرورة الحرص والحذر في بدء مثل هذه الحركة ، لكن ذلك كله الجأنا الى ان نبدأ بهذه السن . فاتسعت الخطوة . واثمرت الجهود . وانتجت آخر الامر ما سميناه بالاخوة الكبار

فلقد قسمنا ابناء المحلة اقساماً راعينا فيها التجانس الخلقي . وأوثقنا بينها عرى التواصل . وأقمنا على كل قسم رائداً . يتعهد شئون اخوته الصغار ويسعى ما يستطيع في سبيل حل مشكلاتهم وتسوية امورهم . وقد راق ابناء المحلة هذا النوع من الصلة . فشغفوا بهؤلاء الاخوة الكبار واخذوا يبثونهم ما في صدورهم . حتى انهُ ليصرحون باشياء ما كانوا ليصرحوا بها لولا هذه الصلة الروحية . وما اثمرت في النفوس من ثقة بهم واطمئنان اليهم ولقد بلغ من نجاح فكرة الاخوة الكبار ان تعدى النشاط جوانب المحلة الى بيوت هؤلاء الغلمان انفسهم . فهم يختلفون اليهم فيها بين حين وحين . ويتصلون في ذلك باهلهم وذوي قرباهم . ويوفقون من ذلك الى دراسة عملية حقة لهذه البيئة تمكن لهم ان يلمسوا مكامن الداء فيها . وتمكن لهم من بعد ان يشقّوا في سبيل الاصلاح طرقاً واضحة النهج . قائمة على اساس مشاهد ملموس

على ضوء هذه التجربة العملية ايها السادة . وامام هذا الاثر الذي اثمرته جهود المحلة في تلك المدة القصيرة ، نرانا اليوم اعمق ايماناً بوجوب تعميم المحلات في سائر نواحي القطر . ولو ان موارد الروّاد تتسع لذلك لكان لهم اليوم محلات عدة . ولكان جهادهم ارحب افقاً مما هو عليه اليوم . لكن

الموارد ضيقة محدودة . ورأس مال الروّاد يعتمد حتى الآن على ما يبذلون منهُ في سبيل مثلهم العليا من مطعم ومخاض . وهم في هذا يتقون عند حد مدفعهم . وهي طاقة ضعيفة لا تحتمل الارهاق

تلك جمرد المحنة في الطبقات الفقيرة غير المتعلمة. ولما كان الروّاد يرون ان اجدى سبيل يستكملون به رحولتهم سبيل الرحلات والمعسكرات . واستغلال اوقات الفراغ . فقد قاموا برحلات وانشأوا معسكرات ودعوا الى الاشتراك في هذا العمل الطلبة وشباب الموظفين المثقفين

وتقسم اوقات هذه المعسكرات الى اقسام ثلاثة

القسم الاول منها : يحتوي على دراسات منظمة لنواحي المجتمع المصري. يتكلم فيها فريق يعرفون بتعمقهم في الشؤون الاجتماعية

والقسم الثاني منها : يخصص لرياضة الجسم والاخذ بسبب من اللهو البريء

والقسم الثالث منها : يمس حياة المعسكر. اذ يعتمد المشتركون فيه على انفسهم فهم الذين ينظمون مضاجعهم ويعدون مآكلهم ومشربهم

هذه هي الاسس التي توزّع عليها اوقات المعسكرات التي تقيمها ولعلكم تعلمون ان الروّاد لم يدعوا جانباً من الجوانب التي يتطلبها الكمال الانساني الا حاولوا ان يأخذوا بسبب منهُ . فهم يحاولون ان يكسبوا الجسم سلامة وقوة. والنفس صفاء وسمواً. والعقل ثقافة ومعرفة. والخلق استقامة وصلابة

يريد ان يروّض الشباب المتعلم على التخشن والتقشف وممارسة المصاعب والاستهداف للمخاطر . يريد ان يعري الشباب المتعلم قليلاً عن التأنق في هندامه والاستسلام الى اللين والطراوة . فاللين والطراوة ليسا من شيمة الرجال . يريد ان يغري الشباب المتعلم بتذوق المشاق في سبيل المثل العليا . هذا بعض ما يرمي اليهِ من اقامة الرحلات وانشاء المعسكرات . ولعلّ معسكر القناطر الخيرية الذي انشأناه في منتصف الشهر الماضي والاسس التي قام عليها فاتحة طيبة لتحقيق هذا الحلم الذي نعمل له : تكوين جيل من الشباب . قوي في جسمهِ . صلب في خلقه . نزاع لكل فضيلة : جيل يصح ان يسمى جيل الاشبال

ايها السادة : لدينا في المحلة الآن ثمانون صبيًّا او نحو ذلك. هم ثمرة مجهود الرواد منذ انشأوا محلتهم حتى اليوم ولقد يستضئل بعضكم هذه الثمرة . ويرى ان مجهود الرواد بطيء او انهُ متثاقل بليد . اما نحن فلا نرى في تلك الثمرة هذا الرأي . فهي من جانب ثمرة طبيعية نضجت في اوانها . وهي من جانب آخر ليست برهاناً على كل الرواد ولكنها آية على شدة يقينهم في هذا الشأن . القياس عندنا بالعمل في حد ذاته وليس بكثرة الثمرة ما يكون . وان عملاً يؤدّى على مهل وبسير على اسس ثابتة وينتج نتاجاً ناضجاً قليلاً خير من عمل سريع يؤتي نتاجاً كثيراً غير ناضج . لم يضرنا اذن على عنت المسعى وطول الزمن ان نجني مثل هذا القطف اليسير . فالبحر الفياض في اصله قطرة . والبناء الشاهق في اصله لبنة

بحث تاريخي نقدي في

ألف ليلة وليلة

للدكتور احمد ضيف

هذا الكتاب هو أشهر الكتب القصصية في لغة العرب بل في جميع اللغات . فلقد قال بعض الباحثين من الاوربيين أنهُ لم يفقه في شهرته غير « التوراة » لانهُ أكثر الكتب قراءة وأوسعها خيالاً وأعظمها غرابة وأحفلها اسطورة وخرافة . لذلك ذاع امره في عالم الادب في الشرق والغرب فهو المثال الذي سار على نهجه كتاب العرب في قصصهم وشغف به الفرنجة فحاكوه في بعض حكاياته الأدبية

ولكن أدباء العرب ومؤرخيهم وصفوهُ بأنهُ كتاب « غث بارد » كما ذكر ذلك « ابن النديم » في « الفهرس » و « المسعودي » في « مروج الذهب » . ذلك لانهم نظروا إلى عبارته واسلوبه فوجدوا فيهما كثيراً من الخطإ اللغوي والبياني فلم يرُقْهم ذلك . ثم رأوا ما فيهِ من مجون وأساطير مما لا يتفق مع التهذيب العقلي والنفسي فلم يُعْنَ أحد منهم بالبحث عما فيهِ من مسائل فنية أدبية او صور نفسية او اجتماعية مبثوثة في كل ناحية من نواحيهِ ولا بما يظهر خلال اساطيره ومجونه من الحقائق الانسانية وسجايا الانسان وأخلاقه . فانصرفوا عن دراسته انصرافاً كليًّا

ولم يكشف لنا عن غوامضه غير المستشرقين من الاوربيين فقد كتبوا فيهِ الكتب الكثيرة والرسائل القصيرة والطويلة . وترجمهُ الادباء منهم الى لغاتهم . وقد ذكر كلّ ما كتب عنهُ وترجم منهُ البحاثة البلجيكي فيكتور شوفان Victor Chauvin في كتابه فهرس الكتب العربية Bibliographie des Ouvrages Arabes فملأ من ذلك اكثر من مجلد من هذا الكتاب . والمباحث التي كتبت في « الف ليلة وليلة » كثيرة مذكور جلها في « دائرة المعارف الاسلامية » عند الكلام عليها . وقد كتب هذا البحث العالم الدانمركي « أسْتُروپ — Oestrup » الذي عني عناية عظيمة بدراسة هذا الكتاب وكتب فيهِ رسالة تقدم بها لامتحان الدكتوراه في « كوبنهاج » وطبعها باللغة الدانمركية عام ١٨٩١ . وهذه الرسالة تحسب من المباحث الجليلة . فقد ناقش فيها المؤلف الباحثين قبله في آرائهم . وقد ترجم ملخص ما فيها الى اللغة الفرنسية وطبع في مذكرات المجمع الفرنسي الشرقي للمباحث الأثرية بالقاهرة ضمن الجزء السابع والعشرين عام ١٩١٢ Memoires publiés par les Membres de l'Institut Français d'archeologie Orientale du Caire. Tome vingt-septieme ومن المباحث الجليلة ايضاً رسالة « فيكتور شوفان » المسماة

La Récension Egyptienne des Mille et une nuits المطبوعة في مدينة بروكسل سنة ١٨٩٩

وهذا البحث الممتع الذي كتب في «دائرة المعارف الاسلامية» و«دائرة المعارف البريطانية» وهناك مباحث كثيرة لبعض العلماء من الانكليز والالمان والفرنسيين والروسيين وغيرهم مما لا يسع المقام ذكره فقد كتب بعضها في مجلات وبعضها في رسائل صغيرة وكلها او جلها مذكور « في دائرة المعارف الاسلامية » . وقد كان للمجادلات التي دارت بين « شوفان — واستروپ » فضل عظيم في الكشف عما تحتويه « ألف ليلة وليلة » من مسائل تاريخية وفنية دوّنت في الكتابين السابقين

﴿ أصل الكتاب وآراء الباحثين فيه ﴾ عند ما ذاع ألف ليلة وليلة في اوروبا اقبل على دراسته علماء الادب والتاريخ من المستشرقين وغيرهم واول بحث ظهر في ذلك كان للمستشرق الفرنسي الشهير «سلفستر دي ساسي Sylvestre-de-Sacy » في سنة ١٨١٧ وقد استمرّ في بحثه الى سنة ١٨٣٣ فكتب كثيراً من المباحث في موضوع هذا الكتاب واصله وسار على أثره في ذلك غيرهُ من المستشرقين

وقد استرشد الباحثون في مباحثهم بعبارة المسعودي الواردة في كتابه « مروج الذهب » اثناء كلامه على « ارم ذات العماد » اذ قال : « وسبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية » . وسبيل تأليفها ما ذكرنا مثل كتاب « هزار افسانه » وتفسير ذلك من الفارسية الى العربية الف خرافة . والخرافة بالفارسية يقال لها افسانه . والناس يسمون هذا الكتاب «ألف ليلة وليلة» وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتهما . وهما « شيرا زاد ودينا زاد » . ومثل كتاب « مرزة وشيماس » وما فيها من اخبار ملوك الهند والوزراء . ومثل كتاب السندباد وغيرها من الكتب في هذا المعنى »

واعتمد الباحثون ايضاً على عبارة « ابن النديم » التي قال فيها : « اول من صنّف الخرافات وجعل لها كتباً واودعها الخزائن وجعل بعض ذلك على ألسنة الحيوان الترس الأوّل ثم انغرق في ذلك ملوك الاشغانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس . ثم زاد ذلك واتسع في ايام ملوك الساسانية ونقلتهُ العرب الى اللغة العربية وتناوله العلماء والبلغاء فهذبوه ونقّحوه وصنفوا في معناه ما يشبههُ واول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب « هزار افسانه » . وكان السبب في ذلك ان ملكاً من ملوكهم اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد فتزوج بجارية من اولاد الملوك ممن لها عقل ودراية يقال لها « شهر زاد » فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن أتى عليها ألف ليلة والى إن رزقت منهُ ولداً أظهرته وأوقفته على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها »

هكذا يروون السبب في أصل هذا الكتاب . ولكن الباحثين اختلفوا في ذلك لعدم وجود برهان قاطع على ما في كتابي « المسعودي » و « ابن النديم » . ولقد اضطربت أقوالهم في ذلك حتى لقد كان يرى أحدهم الرأي ثم يرجع عنهُ كما فعل (دي ساسي) في مباحثه فقد ظنّ أولاً أن

هذا الكتاب كتب بقلم كاتب واحد في العصر العباسي الاول ثم رجع عن هذا الرأي وقال انهُ كتب بعد ذلك . ثم زيدت عليهِ حكايات وأنه عربي صميم ليس فيه شيء هندي ولا فارسي ورأى المستشرق الالماني «هر von Hammer» غير ما رأى «دي ساسي» واعتمد قول «المسعودي» من ان أصل الكتاب فارسي ثم ضمت اليهِ حكايات هندية ويونانية وعربية وان الحكايات العربية دخلت ضمن القصص الاخرى حول اسم « هارون الرشيد » ومن عاصرهُ وان ابتداء في تأليف هذا الكتاب كان في زمن الخليفة «المنصور» ورأى بعضهم أنهُ كُتب زمن العباسيين على أثر انتشار أخبار الفرس وحكاياتهم على ألسنة العامة ثم زيدت عليهِ قصص اخرى في أماكن وأزمان مختلفة وقد بلغ الاضطراب في آراء هؤلاء الباحثين ان نفى بعضهم كل أثر فارسي أو هندي في هذه القصص كما رأى ذلك العالم الانكليزي « لين Lane » الذي قال أنهُ كتب بقلم كاتب واحد بين سنة ١٤٧٥ — سنة ١٥٢٥ ميلادية . بل رأى بعضهم أن بعض قصصه مأخوذ من «الأوديسي » لهوميروس الشاعر اليوناني القديم وضرب لذلك مثلاً بقصة « السندباد البحري » (راجع :

Homére et les Mille et une nuits, par Victor Chauvin, extrait du Musée belge. Revue de philologie classique.

وقسّم « مولر Müller » الألماني الكتاب أقساماً : قسماً منه كتب في بغداد والقسم الاكبر كتب في مصر . وتوسع في هذا التقسيم « نولدك Noldeke » وحدد كل قسم منها وجاء البحاثة استروب فجعل أقسام الكتاب ثلاثة : الاول يحتوي على القصص التي أخذت عن الاصل الفارسي «هزار افسانه» . والثاني قصص كتبت في بغداد . والثالث قصص اضيفت الى ذلك وكتبت في مصر . وقال ان هناك حكايات أخرى عربية أدخلت في الكتاب مثل حكاية « عمر بن النعمان و أولاده »

وقد بحث هذا التقسيم وتوسع فيه المستشرق البلجيكي شوفان الذي سبق ذكره في كتابهِ السابق . وقال : « ان ما كتب في مصر كتب قسماً منهُ جماعة من الاسرائيليين الذين اعتنقوا الاسلام ، وقسم كتبهُ مسلمون »

ولا يسعنا ان نذكر كل آراء الباحثين ذكراً مفصلاً لكثرتها وتشعبها . ولا شك في أن لهذا الكتاب أصلاً فارسيًا وهنديًا نقل الى اللغة العربية في القرن الثالث الهجري كما يقول الباحثون فقد لاحظوا عند مقابلة الكتاب العربي بالكتاب الفارسي «هزار افسانه» أو ببعض القصص الهندية المعروفة أن كثيراً من القصص العربية هي عينها تلك القصص الاصلية مع تغيير مثيل اقتضاه النقل وعبث الرواة والكتاب والناقلين من العامة والخاصة . وان ما حصل من اختلاف كان في بعض الصور والاسماء القديمة التي استبدل بها غيرها من الصور والاسماء العربية . هذا فيما عدا ما كتب في مصر وبغداد

فن علامات القصص الفارسية أو الهندية التي ترجمت الى العربية احتراؤها على اسماء فارسية مثل « شهر زاد » و « شاه زمان » وغيرهما ، ومثل الكلام على النساء وخيانتهن لأزواجهن وما في ذلك من المكر والخداع والحيل الغريبة والاساطير الكثيرة والاخيلة العجيبة التي تحسب من صور العقل الفارسي أو الهندي . مثل ما جاء في حكاية قمر الزمان : « ثم دقت بكفها الارض فطلع منها عفريت أعور أحدب أجرب وعيناهُ مشقوقتان في وجههِ بالطول وفي رأسه سبعة قرون وله أربع ذوائب من الشعر مسترسلة الى كعبيهِ ويداهُ مثل المداري ورجلاهُ مثل الصواري ولهُ أظفار مثل أظفار الاسد وحوافر مثل حوافر الحمار الوحشي » ص ١٨٨ طبعة بيروت ج ٢ ومثل هذا كثير في هذه القصص . ويظهر أنها لم تنقل الى العربية بنصها الاصلي بل أدركها تغيير وتبديل وزيادة وحذف فدخلت فيها عبارات إسلامية وآراء دينية كما جاء في قصة الملك شهرمان وابنه من مثل العبارات الآتية : « فقال له ذلك الوزير لعلَّ الله يحدث بعد ذلك أمراً . فتوكل على الله أيها الملك وابتهل إليهِ . فقام الملك وتوضأ وصلى ركعتين ودعى الله تعالى بنية صادقة » . وكما جاء في هذه القصة : « ثم قام وتوضأ وصلى المغرب والعشاء وجلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويس والرحمان وتبارك الملك والاخلاص والمعوذتين وختم بالدعاء » (حكاية قمر الزمان والعفريتة المليونة الجزء الثاني طبع بيروت) وفي هذه الحكايات ما يشبه ما في القصص الهندية في أسلوبها وموضوعاتها مثل حكاية التاجر العارف بلغة الحيوان ومثل قصة الوزراء السبعة والتاجر والجني وقصة العائم والجني . قالوا ومن أساليب القصص الهندية تسلسل الحكايات ودخول بعضها في بعض وذكر القصة لالهاء السامع ومنعه من الوصول الى غرضه وذكر العبارات الآتية : « يلزمك ألاَّ تفعل هذا حتى لا يحصل لك مثل ما حصل لفلان » . وكالعبارة المكررة كثيراً في هذه القصص وهي سؤال رجل لآخر « فكيف كان ذلك ؟ » فهذه أساليب هندية يقولون أنها في القصص المنتشرة بين العامة . ويستدلون على ذلك بأن أصل هذه القصص المنقولة الى العربية هندي أو فارسي زيدت عليهِ صور أخرى من الحياة العربية الاسلامية

﴿ القصص المصرية ﴾ قد يجد القارىء المصري لبعض قصص « ألف ليلة وليلة » تشابهاً بينها وبين ما هو مألوف من اسلوب احاديث العامة او الخاصة وما هو معهود من اخلاق وعادات مصرية : سواء كان ذلك في الاحوال الاجتماعية ، او النفسية . ولقد تكون هذه القصص مكتوبة بأسلوب عربي مصري ، او لهجة مصرية ، وهذا ما يحمل على التصديق بأن هذا الكتاب قد احتوى على قصص مصرية ، كتبت في مصر ، بأقلام كتَّاب مصريين وتمتاز هذه القصص بصفات منها ان موضوعاتها ليست خيالية بحتة ، بل مأخوذة من الحياة العامة المصرية وان ليس الغرض منها جذب القراء اليها بما فيها من الغرائب والعجائب التي لا يصدقها إنسان عاقل كما في القصص الفارسية او الهندية المملوءة بالاساطير والخرافات

ومنها ان الكاتب يعتمد فيها على ما في نفسه من اثر الحوادث التي شاهدها في حياته ورسم الاشخاص الذين عرفهم ورآهم وانهُ اذا وجد شيء من الاساطير فأنهُ يكون بقدر الحاجة

ومن صفات هذه القصص ان الاشخاص الذين فيها هم جميعاً ممن يعيشون بكدهم ولا تكاد تجد بينهم من ساعدهم الحظ فأصبحوا من الاغنياء او نكبتهم الايام فصاروا من الاشقياء لأنهم يعتمدون على المصادفات. لهذا تجد الكاتب كثيراً ما يتكلم عن الصناعات . ويذكر رجالاً من التجار يتكلم عن تجارتهم وسلعهم كما في قصة «الاحدب» وكما في الكلام على «ابو قير» ومصيبته «وابو صير» وحمامه وغير ذلك. ومن هذه القصص قصة «معروف» الاسكافي المشهورة . وبمناسبة ذلك قال بعض الباحثين ان غير القصص المصرية مملوء بالخيال والمبالغة والأثرة او حب النفس وانها عبارة عن حلم شعب خمول يود ان يعثر في اثناء فتحه على المعادن والجواهر ليصبح من الاغنياء

ومن صفات القصص المصرية ان شخصية الكاتب فيها ظاهرة تمثل نفسه وكأنهُ يدرس موضوعاً شاهدهُ فهو يتوسع في شرحه

ومنها ان اكثر هذه القصص قصيرة وان العبقة المصرية ظاهرة فيها : من فكاهة ونقد حلو وخفة روح

ومن اعظم مميزاتها ان كاتبها عارف بالافتنان والاساليب القصصية عالم بكيفية سرد الحوادث كما قال العالم الالماني «كرامر» وكما يرى في قصة معروف الاسكافي وعلي الجوهري وقصة التاجر علي المصري والتاجر حسن الجوهري وقد لاحظ الباحثون ان القصص المصرية كثيراً ما تتشابه في الحوادث والموضوعات ووجدوا ان في بعضها اطراء للمرأة المصرية كما في الكلام على قمر الزمان

وهناك مميزات اخرى تظهر للقارىء في اثناء قراءته فيشعر بأنها كتبت بأقلام مصريين وعقول مصرية

﴿القصص الاسرائيلية المصرية﴾ تمتاز القصص الاسرائيلية التي كتبها اسرائيليون مصريون قد يكون بعضهم اعتنق الاسلام بأشياء

منها: ذكر الاسماء والاماكن العبرية كسليمان وداود وآدم وبيت المقدس وذكر المسائل التاريخية العبرية كوصف الارض وارتكازها مما اخذ من كلام وهب بن منبه وكمحاربة العفاريت بعضها بعضاً وتحول الانسان الى رماد وكحكاية الشرير الذي اختطف رجلاً وطار في الهواء فأصابته ضربة من حربة ملتهبة ارسلت اليه من الملائكة. وكالقصة التي ذكر فيها : ان اعرابياً زار هاروت وماروت اللذين كانا مسجونين في بئر في بابل . فلما رأى طولها العظيم العجيب فزع من هذا المنظر فذكر الله تعالى فانطوى جسمهما وصار على شكل مربع وكان يرافق العربي في هذه الزيارة يهودي . وقد رأى بعض الباحثين ان الغرض من امثال هذه الحكايات التهكم بالمسلمين

ومن اشهر الحكايات الاسرائيلية : حكاية «بلوقيا» المذكورة ضمن قصة «حاسب كريم الدين

ابن دنيال الحكيم» اذ يظهر ان كاتبها وقف على قسط وافر من الاساطير الاسرائيلية كذكر الحياة وأثرها والسعي في الحصول على خاتم سليمان وذكر الغرائب والعجائب . فمن امثال ذلك ان الله خلق جبلاً قدره مسيرة خمسمائة عام وهو من الثلج والبرد وهو الذي رد حر جهنم عن الدنيا : ولولا ذلك الجبل لاحترقت الدنيا من حر جهنم وان الارض سبع طبقات يحملها ملك وتحت الملك صخرة وتحت الصخرة ثور وتحت الثور حوت والحوت في بحر تحته هواء وتحت الهواء نار وتحت النار حية عظيمة ولولا خوف الحية من الله تعالى لا بتلعت جميع ما فوقها وان الحية فتحت فاها فأدخلت جهنم في بطنها وقيل لها احفظي جهنم الى يوم القيامة . فاذا جاء يوم القيامة امر الله الملائكة ان يأتوا ومعهم سلاسل يقيدون بها جهنم الى المحشر (راجع القصة في الجزء الثالث من ألف ليلة وليلة صفحة ١٢٠ من طبعة بيروت)

ومن اساطير هذه القصص الاسرائيلية انهُ لما توفى سليمان عليهِ السلام وضعوه في تابوت وعدُّوا بهِ سبعين بحراً وكان الخاتم في اصبعهِ ولا يقدر احد من الانس ولا من الجن ان يأخذ هذا الخاتم... وانهُ وجد في بعض الكتب ان بين الاعشاب عشباً كل من اخذ منهُ شيئاً وعصره واخذ ماءه ودهن بهِ قدميه فانهُ يمشي على اي بحر خلقهُ الله تعالى ولا تبتلُّ قدماه ولا يقدر أن يحصل انسان على هذا العشب الاَّ اذا كانت معهُ ملكة الحيات . . . . . وثمة كثير من هذه الاساطير الاسرائيلية . ومن الادلة على انها اسرائيلية وان كاتبها اسرائيلي معنوي انهُ جاء في هذه القصة ان « بلوقيا » عند ما دخل بيت المقدس كان يقرأ في التوراة وقد سئل عن اسمه فقال « بلوقيا» وانهُ من مدينة مصر

هذا ورغم كل هذه الجهود التي بذلها العلماء في البحث في هذا الكتاب لا يزال اسمه مجهولاً ومؤلفه مجهولاً والزمن الذي كتب فيهِ مجهولاً ايضاً

ولقد يلتمس الانسان عذراً لبعض الباحثين الذين قالوا ان الكتاب حديث العهد بالتأليف فان حكاياته على اختلافها في الموضوعات متشابهة الاسلوب في جملتها حافلة بروح العامة من الكتّاب المسلمين خاصة بلهجاتهم . وقد يكون اكثر هذا الروح انتشاراً هو الروح المصري

والغالب على ظننا ان « هزار افسانه » الذي يقولون انه اصل هذا الكتاب ذاع امره بين الخاصة في العصر العباسي ولم تنشر النسخة الاصلية منهُ كما نشرت «كليلة ودمنة» وغيره

ثم اعجب الناس بما نشر من تلك الاحاديث لغرابتها وانتشرت في المجالس والمحافل وزاد عليها الفرس وابناؤهم من التجار [redacted] الخاصة كما فعل [redacted] الذي كتب كتاباً « اختار فيهِ الف سمر من اسمار العرب والعجم والروم وغيرهم . واحضر السامرين فأخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون »

ولعلَّ الكتاب كتب اولاً بعبارة صحيحة ثم تناوله الناس وغيروا وبدلوا فيهِ واضافوا اليهِ كثيراً من احاديثهم وحكاياتهم العامية ليكون اوقع في نفس العامة فظهر على ما هو عليهِ الآن

شخصية شهر مارس — ٣

ليون دوديه

LÉON DAUDET

لمراسلنا « س »

جزنا بالموضوع السابق حدود اسبانيا الى هانذي قسار بنا السبيل السوي والجوار الجغرافي الى أدباء فرنسا . وكنتُ في شاغل من التخيُّر بين ذوي الشأن الأدبي الخاص عندما رأيت برقية بتاريخ ٢٦ يناير تنبىء بأن المحاكم الفرنسية العليا أيَّدت الحكم الابتدائي بتغريم ليون دوديه خمسين الف فرنك تعويضاً للجنرال دبلانج والكولونيل كرلومبو اللذين كان اتهمهما بقتل ولده فيليب

أليست هذه الشخصية تفرض نفسها في هذا الظرف على نوع ما ؟ وهي وان لم تكن ذات نزعة متفردة في الادب الاّ انها من اغرب الشخصيات وأغناها ومن اوفرها تنوعاً وانتاجاً ، ولصاحبها موقف خاص بين كتّاب فرنسا من الوجهة السياسية ، وصبغته السياسية كثيراً ما تتسرب الى مختلف كتاباته ولكنها بوجه عام لا تحدُّ من حريته الفكرية ونزعاته الانسانية . فكأن السياسة كلما تحاشيتُها تعمدتْ النكاية بي فامتزجتْ بالشخصية التي أقلّبها . كذلك اغرتني المفارقات بين اوناموندو ودوديه الذي هو ، عدا العقيدة السياسية ، اقرب الى ايقانييث . ولئن كان دوديه ايضاً في سن السبعين او يزيد قليلاً فهو مع ذلك في تطور مستمر وعلى مروءة عقلية وعاطفية دونها مروءة الشباب احياناً : « كلما تقدمت في السن زدتُ ابتعاداً عن الاساليب المألوفة وأمعنت في الاستعداد لتقبل الصيغ الجريئة وتعرُّف المواهب الصادقة مع العطف على الذين يبحثون فلا يجدون ... »

***

هو زعيم حزب الملكيين بفرنسا . وهذا الحزب ضئيل العدد الاّ انه كثير الجلبة وصيحات « سرّيحة الملك » (Les Camelots du Roi) وهو الاسم الذي يطلق على انصاره من طبقة العمال والفقراء والباعة المتجولين) تدوي عالية ويتناقل البرق انباء صولاتهم وبغاماتهم ومظاهراتهم في كل ظرف سياسي مؤاتٍ . وأهمية الحزب في اقلام زعمائه وبينهم ، مع دوديه ، نفر من امهر الكتاب . وليون دوديه هو صاحب جريدة « لاكسيون فرانسيز » ، لسان حال الحزب ، ومناصرة

الدين الكاثوليكي لأنه دين ملوك فرنسا . فهي تحمل الحملات العنيفة على سياسة الجمهورية عموماً وبخاصة لانها تنفصل بين الدولة والدين ، وقد اضطهدت المدارس الدينية ورجال الدين في وقت ما. فكان المنتظر ان تكون الكنيسة ذات عطف خاص على تلك الجريدة التي تخدم مصلحتها في نزاهة واخلاص وتجرد من المنفعة . ولكن لا ، وذلك بعض الوقائع الغريبة في شؤون دوديه ! لان الكنيسة التي تجامل حتى مضطهدي رجالها ، تناهض جريدة « لاكسيون فرانسيز » وترشقها بالحرم الاكبر وتحظر على الكاثوليك مطالعتها والاّ كانوا خارجين عن حظيرة المؤمنين !

لا يتسع المجال لذكر الاسباب الداعية الى هذه المقاطعة . والذي يهمنا من الامر هو قول دوديه : « تلك الاضطهادات لم تؤثر فيّ لحظةً ولم تزعزع من ايماني . بل بالعكس تبدو لي كتجربة من العناية الالهية تعدنا للظفر النهائي بعودة الملك الى عرشه ... يجب ان لا نحنق . فقد قال موراس ان الحنق والغضب والازدراء ليست من اللياقة السياسية في شيء »

وشارل موراس وئيس تحرير « لاكسيون فرانسيز » من ابرع الكتاب ومن القليلين الذين يعجب بهم دوديه ويتعصب لكرامتهم . فمن تحدّاه او اساء اليه فقد أثار سخط دوديه عليه ونبه بداهة السخرية والهجو التي لا تحتاج عند دوديه الى تنبيه . من ذلك ما يتصل باعلان رأيه في الاكادميا الفرنسية مع اعترافه اولا بأنهُ كأبيه (الكاتب القدير الرشيق المرحوم الفونس دوديه) لايطمع في عضوية الاكادميا ولن يكون يوماً في عداد متسولي المناصب والوظائف والاوسمة . ولئن قبل عضوية اكادميا جونكور فلصداقة صميمة بينه وبين مؤسسيها ولأن أحد الاخوين جونكور جعله قيّماً على تنفيذ وصيته بعد وفاته

« الاكادميا الفرنسية لا تقبل إلاّ كل مذكوك من متقني المص واللحس حيال أولي الامر . لم يكن لها بلزاك ، ولا بودلير ، ولا برودون ، ولا ميشليه ، ولا ألفونس دوديه ، ولا فلوبير ، ولا جونكور ، ولا ميسترال كيلا نذكر غير اولئك الثمانية . الاّ أنها حوت أمثال إيكار ، واميل اوليفيه ، وبوانكاره ، وبارتو ، وهانوتو — وما هم الاّ مرقة غَرْ ماؤها جديرون بغسيل أواني الصفيح ، عصابة الشعراء الملفقين ، ديدان (larves) المحابر وساسة أغبياء من الذين يُريّلون و... وقد آثرت الاكاديميا أخيراً خردة من خرداوات باخرة «السوبيس» ، سليستان جوفار الذي لم يكن له ذكر في لغة من اللغات ، على شارل موراس صاحب العبقرية العالمية ... انها لا تقوم بخدمة ولا تمثل شيئاً . . . . وبعض ذوي الحيثية الذين جنحوا في مقاعدها لا يعوضون عن فناء الآخرين وانتفاخهم ، هؤلاء حُطام الصالونات والجمعيات والسكريتيات والمحاكم ومجالس الادارة . . . غبار المحابر والحصر والنهاليز ...

«والاكاديميا تغض من الشخصيات ... فاذا رغب فيها رجل فلا تردُّهُ عنها حقارة وصارت عنده

فكرةً ملازمة وهوساً . وقد تعلبتُ من أميل زولا عند ما كان فريسة ذاك الداء الغريب . . . . تلقيت عن والدي عدم الاكتراث بما يسمونه «مجداً» وأنا في سعةٍ من العيش نلتها بكدي فأتاح لي ذلك الاعراب بحريةٍ عن عقائدي وآرائي وعما أشعر به من ميل أو نفور فلا يهمني أرضيت هذا أم اغضبت ذاك . فكرة التوسل لنيل غرض ما بغيضةٌ اليَّ . احترم الاشخاص او احتقرهم وفقاً لمقياسهم (الادبي) لا لهندامهم او وظيفتهم او ثروتهم »[1] ...

***

وهذا موقفه حيال الأموات ايضاً . فهيبوليت تين مثلاً الذي هو عند الكثيرين إمام في دراسات النقد ذي الصبغة الفلسفية والعلمية في الادب والفن والاجتماع ، ليس في نظر دوديه سوى «مؤرخ حاذق وكاتب في الدرجة الثانية واستاذ ولكنهُ ليس بفنان ، فهو لم يفهم شيئاً من الأدب الانجليزي وكتابهُ في هذا الموضوع عجز فاضح» . أما الامة الانكليزية وبلادها وآدابها واخلاقها وجمال نسائها واصناف المآكل في مطاعمها فتثير كلّها تطلعهُ واعجابهُ . فيفسر عادات الانجليز والبريطانيين عموماً وميلهم الى الكآبة والسآمة (Spleen) وجهم للكتة تفسيراً علميًّا على نقيض الالمان الذين يرى فيهم حيواناً لا يركن اليهم . وفي الرسالة التي نشرها ابان الحرب [2] دعا الى مقاطعة الروح الالماني واللغة الالمانية والفلسفة الالمانية التي انتشرت في الشبيبة الفرنسية بعد حرب السبعين والتي لا تتفق في نظره والنفسية الفرنسية

وقد كتب في منفاه ببلجيكا قبل سبعة اعوام : « لا اريد بعد اليوم ان ارى المانيًّا ولا آن اتحدث مع المانيٍّ ، وان كنت احبُّ الشعر الالماني والعلم الالماني واللغة الالمانية وكنت احفظ عن ظهر قلب من قصائد جوته ولياو وهاينه بقدر ما احفظ من قصائد بودلير وميسترال واوبانيل وهوجو » . والداعي الى ذلك النفور هو استنكاره لما اقترفهُ الالمان ابان الحرب . كأن الحرب ليست كلها آثاماً وكأن الالمان وحدهم يأتون فيها بالفظائع ! وقد نسي دوديه ان الشعوب جميعاً في ذلك سواء تكشف عن الهمجية المرعبة في الانسان وتفاخر بأعمال الوحشية متغنية بالكلمة المأثورة « كل شيء مباح في الحبّ والحرب» ...

أما ما يهمهُ هو فصلحة فرنسا أولاً . ويبتّ بضرورة الحرب وينفي مكان السلام : « قرأت في جريدة «الطان» التي لديها ورق تنفقهُ ، كلاماً عن خيرات العلم الباهرة . . ان العلم لا يبالي بالخير ولا بالشرّ . هو بعيد في تجاربهِ وظنونهِ ولو الى وقت ما ولوسط فكري ما . ولكنهُ كشف عن

(١) الجزء الثاني من كتاب (Paris Vécu) (٢) كتاب (De Kant à Krupp)

نتائجه التي قد تجيء حسنة وقد تجيء سيئة . تلك المبصرات البشرية القنابل ، والمناطيد الحربية ، والغازات المهلكة تكوّن جميعاً جزءاً من العلم العالي شأنها شأن الكرسي الكهربائي . . . في منطقة الاختراع الميكانيكي كما في منطقة الكيمياء العضوية ، كل سم يمكن تحويله الى دواء . ان الانسان ليخجله التذكير بهذه الحقائق الاولية . . . عندما الساكنين المتحدثون عن نزع السلاح يذهبون الى جنيف او لندن او غيرها لعرض هذا الوهم العتيق كالعالم على الجمهور الطائش ، هم لا يفكرون ان نزع السلاح يفرض نسيان مختلف العلوم المستخدمة لتسليح الشعوب ويفرض اهمال جميع الصناعات الثقيلة التي تدعم الحركة المالية خصوصاً في المانيا . التخلي عن التسلح الفتاك يعني اقفال صناعة الغازات والقنابل والطيارات والسيارات والقطارات وكل ما يعتبر مظهراً للتقدم خلال المائة الاخيرة من الاعوام

ويكفي هذا الكفاية للدلالة على سخافة هذا الرجاء . وتبقى بعد ذلك الاسلحة والحراب والسهام المسمومة وغير المسمومة والبنادق القديمة والحصى وأسقاط (bric-à-brac) أرخميدس التي اصطنعتها الشعوب في القتال منذ اكثر من عشرين قرناً . حقاً ان الطفل الذي يشيد قصراً على الرمل لرد اقتحام الامواج ، لمثال ادراكاً عصابة جامعي شمل «اليوتوبيات» من اهل اشدود الذين خرجوا من الحرب خروج الحزون من صدفته بعد المطر . . . ويبقى شيء اكيد ، وهو ان الذي يبدأ بنزع السلاح يسارع جاره الى الدخول عنده كما في السمن . فيضطر عندئذٍ الى التسلح بعد المجازفة بخسارة نصف قومه وثلاثة ارباع اراضيه . . .[1]

***

لم اذكر الى الآن ان دوديه طبيب ولهُ خطير الابحاث في العلوم الطبية ، لا شك إن الموهبة الادبية اوسعتها دقة وحذقاً . وقد اسهب في الكتابة عن ايام دراسته ووصف اساتذته وزملائه واصحابه بطريقته الموفورة الحياة فأغدق على هؤلاء الثناء ونال من غيرهم بالسخرية والهجو . ومن هؤلاء الطبيب العالم « شاركو » الذي اشتهر بأبحاثه في الامراض العصبية ، ابحاث لم تسفر في نظر دوديه الا عن « خرائب مذهبة » . وذكر حوادث انتحل فيها المرضى الاعراض العصبية لتضليل شاركو ، فكان ذلك افكوهة الاطباء والممرضات وطلبة الطب . وتقرأ في مذكراته في المنفى :

« لا أصدق ان العمل غاية الانسان ، غاية الانسان هي بذل النفس لذويه ولوطنه في مستوى النشاط الارضي ، أما في مستوى النشاط الروحي فبذل النفس لله . غير أن العمل منذ ضروري لمختلف النعوم التي تنتابنا في هذه الدنيا . وفريضة كسب الخبز بعرق الجبين خير ممهّد لذلك المنفذ . . .

(١) كتاب (Vingt-Neuf-Mois d'Exil)

منذ ما ابتدأ سقطي يصور عمدت الى النشاط العقلي أصرّفهُ في النقد العام وفي الأدب الوجداني وفي الطب . لأني منذ اربعين عاماً أبحث ولا عن علاقة الامراض بعضها ببعض . ثانياً عن طبيعة الاورام الخبيثة الحديثة التكوُّن ووسائل معالجتها ... وفي مقالاتي وتأملاتي واجهت داء السرطان على ضوءٍ جديد وبخاصة من حيث علاقته بداء السل ... وقد تلقيت عديد الردود على مقالاتي عن السرطان منها المرافق ومنها المعارض ومن كثيرين من الاختصاصيين . وهذا ما كنت أتوقعه ، لان في الطب كما في الفن لا بدَّ من التدرُّب على المهارسة لذلك الاصنام وقلب القيمات ، كما كان يقول نيتشه . وبديهي في مغامرات كهذه حدوث فترات نشاط وفترات إهمال ... معركة حامية مستمرة حيث الباحثون والمغامرون يلاقون النكبات ويقاسونها على غير استحقاق : نظرية جذابة تنهار فجأة . اختبار ذو شأن يفضي الى نتائج سلبية ... إن ذلك الداء المفجع قد روقب وحوصر ولكنهُ لم يُقهر بعد ... »

أو ليس الطبيب الصالح منهُ هو الذي يكتب : «ابقِ لي في الحياة مسرة ، وهي مساعدة زميل شيخ أو شاب لم ينل المكافأة الواجبة على جهوده ومواهبه ، وقد أغفل النقاد الرسميون وشبه الرسميين بفعل الغباوة أو بقصد الأذى . رجال الأدب مفكهون . فكل مقال نوهت فيهِ بكاتب من هذا النوع وردت عليَّ بعده الرسائل تقول : كيف تثني على من يبغضك ، أو من هو يهودي ، أو من هو جمهوري أو غير ذلك . كثيراً ما فكهني هذا القسم من بريدي قبل ان يطرح في سلة المهملات ... »

وهذا الرجل الرحيب القلب بعينهِ هو الذي اتهم مالفي وزير الداخلية بفرنسا مدة ثلاثة اعوام خلال الحرب ، بتهمة الخيانة في خطاب وجههُ إلى مسيو بوانكاره في ٣٠ سبتمبر ١٩١٧ . « وقد حُكم على المتهم بالخيانة وجاءت اكثر حيثيات الحكم تؤيد ما ورد في خطابي » على قول دوديه

وانتخب في تلك الآونة نائباً عن باريس تحت راية الحزب الملكي فأثار عنفه وقوة حجته في مجلس النواب عديد المشكلات والمناقشات . وها هوذا يتحدث في ذلك :

« مجلس النواب ! دار لجميع الدور يجب ان تسكنها لتعرفها . وقد سكنتُها أربعة أعوام ونصف عام من دسمبر ١٩١٩ إلى ١١ مايو ١٩٢٤ فاحتفظتُ منها بذكرى مفكهة قلقة : مفكهة لان المجلس «كلوب» تتحادى فيهِ وتتلامس شتى الآراء والعقائد ، وقلقة نظراً لعجز الجهود ومستقبل البلاد... أدركت ولمست الفناء (néant) التام والغرور الاساسي في هذا النظام ... في المجالس النيابية رجل موهوب لا يستطيع إظهار كل قيمتهِ إلاَّ في ظروف استثنائية ليست ميسورة التحقيق . مناورات الاحزاب والشيع ، والاطماع الحقيرة والدسائس من كل صنف ولون تسدُّ الطريق على الارادة الصالحة والعاطفة الوطنية والمصلحة العامة . أجل ، أذكرُ قول كاثور انهُ يفضل المجالس النيابية على قاعات الانتظار في بلاط الملك . وأذكر كزازة بسمارك في آخر عمره من جراء وشايات

السلطانة والاميرات في القصور . ولكن نظام الملكية الفرنسية بجميع عيوبه الشريرة والأرضية ، أثبت في القصور قدرتهُ في التكوين الفوري بفضل جدد المتواصل واجتهاده ونشاطه وفنانيه »

هكذا زعيم الحزب الملكي يتحين الفرص للاشادة بمحاسن الملكية . وعندما تقبض على قلبه وحشة المنفى يذكر المنفيين من امراء فرنسا : « لا شيء يوازي الاحتباس الشخصي ، قبل ان أقضي اسبوعين في السجن . لم اعرف ما هو السجن رغم عديد زياراتي للسجونين . وقبل عامين ونصف عام في المنفى لم يكن لدي من المنفى سوى فكرة مشوّشة ... مع اني اقتربت من الدوق دورليان الشهم الذي عاش في المنفى ٤٠ عاماً

« وكلما غاصت ذاك الامير العظيم كنت أطالع في عينيه كآبة عميقة وحيرة مريرة كالأوقيانوس ... وحشة المنفى اضطراب في المزاج ولوعة ، فهي صنف من الكدر الأدبي لا العقلي . لأن العقل يظل على صفاء تام ورؤى الاستقراء والاستنتاج فيه أشد جلاء . ولكن في أعماق الوجدان شيء متزحزح غير مستقر ، شيء يستاء ويزبئر . وكان المنفي المبجل الدوق دورليان يعبر عن ذلك الشعور بطريقة موثرة في تكلم ملوكي خاص به ، وهو انهُ يحمل دائماً في جيبه كيساً صغيراً مملوءاً من تربة الوطن ... أنا طيب بطبيعتي ، ولكن ليس لوحشة المنفى من دواء ناجع ... »

***

وعلام السجن والمنفى ؟

ليس بين قراء الصحف في الاعوام الاخيرة من يجهل خيبة ليون دوديه بولده فيليب في أحوال مثيرة للشبهات ، فقبل ان الفتى انتحر في حين الوالد اتهم البوليس الفرنسي باغتياله . ثم حوكم الوالد بتلك التهمة وحكم عليه بالسجن خمسة أعوام ونصف عام ، فعمد أنصاره بعد اسبوعين إلى تدبيرات شيطانية فاختطفوه من السجن واخفوه خمسة اسابيع ثم هرّبوه إلى « منفاه » في بروكسل التي كتب فيها كثيراً وأحبها واحبّ أهلها والامة البلجيكية عموماً — كثيراً . وأبى الاصغاء إلى موضوع التوسط لاستصدار العفو عنهُ . غير ان جمعيات الكتّاب وصحف فرنسا وبلجيكا وسويسرا والاصدقاء والانصار لم يكفوا عن السعي والمطالبة . فتوسط لدى مسيو دومرج نفر من كبار رجال السياسة وفي مقدمتهم مسيو هيريو الذي طلب ان يردّ إلى وطنه ذاك الذي هو « خصمٌ ، لا عدو » . فكتب دوديه :

« صدق هيريو . لا أعداء لي غير أعداء وطني من ابناء البلاد ومن الغرباء ، وغير قتلة ولدي والذين شاءوا تبرئة ساحتهم . كنت في شبابي راديكالياً مثل دالاديه وهيريو وشببت في الوسط الراديكالي . وفي ١٩٠٤ فقط بتأثير موراس وفوجوا صرتُ من الخصوم في قضية دريفوس ووقفت

في صفوف الوطنيين وكان ذلك سبيلي الى حزب الملكيين . فقد نطق هيربو بالحق بقوله اني خصمٌ لا عدوّ . هو أزرق وأنا أبيض ، وهذا كل ما في الامر

«... وفي اول يناير ١٩٣٠ وقد صدر العفوُ — سريحة الملك الذين اختطفوني واخفوني ثم هرّبوني ، حضروا الى بروكسل لتسلم طريدهم «ليون» ، وفي طليعتهم زعماء الحزب... فتوجهنا الى باريس في صباح الغد . كان قلبي يقفز في صدري فأقول لهُ : رويدك يا هذا ، فالناس ينظرون الينا والمصورون حاضرون ... وجاء الاصدقاء إلى محطة بروكسل يشيعونني بصورةٍ مؤثرة ... وفي محطة أخرى مشيعون غيرهم يحملون طاقات الازهار وينشدون الاناشيد النصر . فأزجر دموعي قدر المستطاع . وجاء في موظف يخبرني في تأدُّب بأن دومرج يخوّلني حق الدخول في وطني ان لم يكن حق مشاركته في طعامه ... ثم كان الوصول الاپيكي الى محطة الشمال بباريس وزوجتي المحبوبة تتكىء على ذراعي ..... فكأني هبطتُ منطقة الأنواء في البحار بين عشرات الالوف من الملكيين والمواطنين وكانوا يلمحون نباحاً ، فتخيلتُ نفسي فلّينة تتقاذفها رؤوس الامواج ... وبعد دقائق قليلة رأيتني في مدفن «پير لاشيز» بعد كلّ تلك الشهور قبر فيليب مزدانًا بالأزهار فكان لي أن أصلي قرب ولدي ...»

لغة دوديه تستحيل ترجمتها ولا يتيسر فهمها كلها الاّ للمتشبع من روح الأدب الفرنسي والشعب الفرنسي . لان تعبيراته بديهية غير منتقاة . ومع جمال انشائه وصلاعته ، فهو لا يتورّع عن استعمال الالفاظ الزقاقية وتعبيرات غلمان باريس ، ويكتب كثيراً من الكلمات مقلداً لفظ قائليها ، وفي هذا ما فيه لاثارة الضحك . على ان هذا الانشاء بجملته من الحياة والحركة والتشويق ونشاط الذهن ووفرة المعلومات بحيث يسيطر عليك من جميع النواحي . ويحفز فيك شتى القوى النفسية من غضب وانفعال واستياء ورغبة في المقاومة — أو من حنين ولذة واعجاب ورغبة في الاستفادة . وهو في كل ما يكتب يرسم من شخصيته خطوطاً واضحة بألوان زاهية مشبعة و— مهاجمة عنيفة...

كذلك هو في ما لا يحصى من مقالاته في الصحف والمجلات وفي كتبه السبعين أو تزيد : عشرون منها روايات ، والباقي أبحاث في النقد والأدب والاجتماع والتاريخ والفن ووصف رحلات وأسفار ودرس أخلاق الشعوب وعاداتها وتحليل ميولها ، وأبحاث علمية ولغوية وطبية . فهو في الواقع يجمع بين الضلاعة العلمية والقدرة الخيالية . وذكرياته من أشهى وألذ ما يقرأ ، رغماً عن — او ربما بسبب طريقته في النقد والمهاجمة واللذع والهجو . وبعد فما أصفى مجالي العنفاء في بيانه !

ومع تدينه فهو مغرم بأحاديث الغرام ويتلذذ بمرأى العشاق متناثرين في امساء الربيع بين متنزهات بروكسل وميادينها « حيث لا ترى الاّ العناق ولا تسمع سوى الهمس والزفرات . لا تغضب ايها

الرقيب القاسي ! إذا أنت أردت كثرة المواليد وجب التسليم بما يمهّد لها ، والطبيعةُ تحسنُ صنع ما تصنع . في بروكسل كما في باريس ومرسيليا يتبادل العاشقون القبل علناً في الطريق ، وليس من يحد في ذلك ما يقال . . . » .

وكما يفاخر بذكرى والده يفاخر بذكرى والدته (وهي ادبية ايضاً) وينوه بتأثيرها في مواهب والده ومواهبه . ويذكر فضل زوجته في مثل ذلك ويبلغ تأثيرها في حياته وما أدلته من السلوى والهناء . ويمكن إدماجه بين كبار أنصار المرأة وان ضحك من فكرة « المساواة السياسية » وأبى للمرأة الترجل والتخشن في الاعمال الشاقة خارج البيت وفي غير الدوائر المتناسبة وأنوثتها . الا انهُ يطالب بجميع حقوقها الادبية والاجتماعية لان حياة المرأة في الحب وسحرها في الحب « والحب يرد المرأة الى جوهرها » . . . « الرجل هو المراك والمجازفة والنزاع الغشيمة وهو احياناً التوازن الفظ . والمرأة هي اللذاذة والعذوبة والنياب القطة وهي احياناً الحكمة والصفاء . . . عندما يصدر الرجل حكمه ، المرأة تتوسط وتتوسل . . . اللانهاية التي نبحث عنها في الله تمثلها المرأة على الارض . . . هي مدّى لا حدود لها . . . هي قابلية رحيبة للحياة . . . ونحن الرجال نقيدها ونحدها . . . »[1]

***

منذا الذي يبتُّ في الحكم على مزاعم المنجمين ؟

في حسابات المنجمين ان المريخيين اي الخاضعين لتأثير المريخ ، يكونون عادة بدنيين اقوياء شرهين شغوفين بالهيكل اللساني . وهم اهل عنف وشراسة مفرمون بالمهاجمة والتعدي وان كانوا على مقدرة عظيمة للانصاف . هم سريعو الغضب سريعو التأثر ، وان استطاعوا احياناً التغلب على النفس بقوة . هم قساة وأريحيون في آن واحد . شجعان في الحرب وفي كل مغامرة واقتحام ، متطرفون في الصراحة وفي العناد ، لا يبالون بالمال ولا بالفخار في المعنى المألوف لأنهم يأخذون بالمثل العليا ويستهضون الآخرين للاخذ بها . يحبون اللذة حبهم للتقدم . لهم ثقة بنفوسهم وتعنتٌ لآرائهم ويتزعمون كل حركة يشتركون فيها او يكونون على الاقل بين النابهين . موهوبون بسلطان الادراك والقلم والبيان ومنهم كبار رجال العلم والجراحة والطب . لا تندر الفواجع في حياتهم ، وقد تنجم بعض مصائبهم عن تهجمهم وتهوُّرهم واستهجانهم للملاينة والمداورة . . . في كل مجهول هم الرواد المغامرون . . .

انظر الى صورة ليون دوديه ، واقرأ ولو في هذا البحث فقط نتفاً من كتاباته ، ثم قل لنفسك رأيك هلاّ توافقت شخصية دوديه وشخصية المريخي كما يزعمها المنجمون ؟

(١) La Femme et l'Amour

مواطن النباتات الزراعية

للدكتور مصطفى الشربيني

نشر المقتطف في عدد تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٣٤ بعنوان « الزراعة والحضارة : كيف نشأت زراعة الذرة وأين » مقالاً قال إنهُ خلصهُ عن بحث للاستاذ ايست بجامعة هارفرد . والمقال ثمين طلي يستلذه هواة النباتات ولا سيما هواة ما كان منها عظيم الفائدة كالذرة الاميركية . هذا من حيث الموضوع أما من حيث نسبة البحث الى الاستاذ ايست بجامعة هارفرد فليعذرني صديقي محرر المقتطف اذا ذكرت له انني لم أجد في مقاله كله فكرة واحدة لم ترد في كتاب « المنابت الاصلية للنباتات الزراعية » تأليف دوكندول A. de Candolle العالم النباتي السويسري المشهور الذي يعد واضع تاريخ النباتات الزراعية بلا مراء . وقد ألف كتابه المذكور في أواخر القرن التاسع عشر فترجم الى معظم اللغات الحية . وفي خزانة كتبي نسخة بالفرنسية من طبعته الخامسة طبعت سنة ١٩١٢ . وأظن ان الاستاذ ايست نقل عنه بحثه أو زبدة بحثه [1]

ولما كانت معرفة المهد الأصلي للنباتات الزراعية تفيد الزارع والنباتي والفيلسوف والمؤرخ وكل من يتحرى أصل المدنية وفجر الانسانية ، رأيت ان ألخص بهذه العجالة رأي دوكندول في الوسائل التي تتبع لمعرفة المواطن الاصلية للنباتات الزراعية ولا سيما المهم من تلك النباتات كالحنطة والشعير وانواع الذرة والتبغ والبطاطس وامثالها من المزروعات المفيدة

﴿ طرائق البحث ﴾ اذا أراد العالم معرفة منشأ النبات الزراعي وتاريخه عمد الى طرائق أربع يبلغ باتباعها غايته وهي : اولاً تحري البلاد التي ينبت فيها ذلك النبات الزراعي طبيعيًّا أي بريًّا دون ان يكون للانسان يد في زراعته . فوجود نوع زراعي نابت نباتاً طبيعيًّا في أرض ما دليلٌ قوي على ان تلك الأرض هي مهده الأصلي . مثاله اننا اذا عثرنا على حنطة برية تنبتها الطبيعة في الشام والعراق رجحنا كون هذين القطرين هما مهد الحنطة الاصلي او أنهما في جملة البلاد التي تعد مهدها الاصلي وهكذا . لكن اتباع هذه الطريقة لا يخلو من صعوبة فقد تنقل الطيور أو الرياح مثلاً بزور نبات زراعي الى ارض بعيدة فتنبت فيها برية فيظن النباتي الذي يعثر على تلك النبتات أنها هنالك نابتة نباتاً طبيعيًّا منذ القديم فيخطىء ويضلّ سعيه

(١) المقتطف : اذا كان الغرض من البحث ذكر بسائط الموضوع — وهو ما نرجح — فلا ينتظر من الاستاذ ايست أن يأتي بشيء جديد . والطالب انما ذكر اسم دوكندول عند الكلام على طرائق البحث فلم نشر نحن اليه في التلخيص . اما الجانب الاكبر من بحث الاستاذ ايست فقد كان معروفاً على الذرة الصفراء وهو ما أوجز الكثير في تلخيصه

وقد تختلط البزور بضاعة المراكب التي تمخر البحار الى بلاد بعيدة فتنبت وتتكاثر في تلك البلاد فيذهب الباحث الى ان ذلك النبات قديم فيها وهو ليس بقديم . فيتضح من هذا ان على النباتي ان يكون فطناً حاذقاً قادراً على تفريق النبات الوطني عن النبات الجلوب ، ولا شك انهُ لا يطلب منهُ في هذا الباب معرفة البلاد الأصلية للنبات الزراعي قبل ان بدأ الانسان يزرعه في فجر الانسانية، فذلك يذهب بهِ بعيداً الى ما قبل التاريخ في الحقب الجيولوجية الخالية. وهنالك قواعد عامة لتطور الانواع في الاحياء لا يهمنا ذكرها

أما المهم فمعرفة مهد النبات منذ ما أخذ الانسان يزرعه . وفي هذا الصدد قواعد عامة يجب على النباتي والعشاب معرفتها ، كأن يكون النوع النباتي كثيراً شائعاً في قطر من الاقطار وقليلاً متفرقاً في قطر آخر بعيد جدًّا عن الاول ، ففي هذه الحال يرجح ان المهد الاصلي لذلك النوع هو القطر الاول . وكذلك اذا كانت الانواع النباتية التي هي من جنس واحد متأصلة في قطر ما فان وجود أحد تلك الانواع متفرقاً في قطر آخر بعيد يدلّ على ان هذا النوع قد يكون مجلوباً الى هذا القطر البعيد لا أصليًّا فيهِ . وتفيد الجغرافية النباتية كثيراً في هذا الموضوع ولا بدّ لمن يتحرى تاريخ النباتات من ان يراجعها . وعلى كل يظهر ان العدس والحمص زالا بتاتاً في الطبيعة أي كفّت الطبيعة عن إنباتهما بريين . أما الحنطة والفول والقرطم وغيرها فقد قلّ إنباتها طبيعيًّا وصارت نباتاتها البرية على وشك الانقراض

والطريقة الثانية لمعرفة المهد الاصلي للنبات الزراعي تحريه او تحري صوره أو متحجراته في المصانع والهياكل والاضرحة القديمة او في الطبقات الجيولوجية ، وذلك كالثمار والحبوب وغيرها من اعضاء النباتات التي وجدت في المقابر المصرية القديمة ، وكصورها في جدران الاهرام وقبورها . ولا بدّ هنا ايضاً من الاحتراز لئلاّ تكون هذه الحبوب او الثمار وضعت حديثاً في أضرحة المحنطات القديمة كالتمرة الاميركية مثلاً فان وجود حبوبها في تلك المقابر لا يدل على انها قديمة . ولا شك ان من وضعوها هنالك (وربما كانوا افراد قبائل بدوية) يعيشون في القرون الأخيرة لا في ايام الفراعنة . وقد وجدوا في المساكن المائية القديمة في انحاء اوربا بقايا نباتات كانت تزرع في تلك العصور السحيقة، واستدلوا بوجودها فيها على منابت تلك النباتات . أما الطبقات الجيولوجية فعهدها أقدم بكثير من عهد الزراعة ، ولم يعثروا فيها على متحجرات نبات من النباتات الزراعية التي تزرع في أيامنا هذه لكنهم عثروا على متحجرات نباتات غير زراعية كما هو معروف

والطريقة الثالثة مراجعة كتب التاريخ لمعرفة استعمال الاقوام القديمة لاحد النباتات الزراعية او لمعرفة انتقال ذلك النبات مع الفاتحين والمهاجرين في الموجات البشرية المختلفة . وهنا ايضاً ربما أخطأ المؤرخون في ذكر المهد الأصلي للنبات الزراعي . فالروم واليونان مثلاً كانوا يسمون الفرّاق (الخوخ في مصر) تفاح ايران لانهم رأوه يزرع في بلاد فارس على حين أن مهده الأصلي

في الصين . ونحن في الشام نسمي الذرة الاميركية ذرة صفراء . والمصريون يسمونها ذرة شامية ، والعراقيون ذرة مصرية والتينيون ذرة رومية (انظر مقال العلامة أمين باشا المعلوف في عدد ينابر ١٩٣٥ من المقتطف) . فيتضح من هذا الاختلاف في التسمية ومن هذه البلبلة أن النبات المذكور جديد ما كان يعرفه أجدادنا العرب الاقدمون ولم يضعوا له اسماً . والحقيقة ان مهده في أميركا كما اتفق عليه علماء النبات . والادلة على ذلك كثيرة جامعة

ومن المعروف ان اقدم البلاد بحضارتها وباستعمالها للنباتات الزراعية الصين وغربي آسيا ومصر ثم الاقاليم الاستوائية في أميركا . فالصين ازدهرت فيها الزراعة من ألوف من السنين . وتدل بعض الوثائق التاريخية الصينية على ان بعثة المسمى شنغ كيان Chang-Kien نقلت من آسيا الغربية الى الصين في القرن الثاني قبل الميلاد الفول والقصفصة (برسيم حجازي) والخيار والسمسم والاسبانخ والبسلة والجوز والقرطم وغيرها من النباتات التي كانت مجهولة في الصين . وعمل هذا السفير الصيني لا يستغرب فقد ذكروا ان أحد ملوك الصين كان احتفل بزراعة بعض النباتات احتفالاً عظيماً قبل عهد المسيح بألفين وسبعمائة سنة . أما الدراق (الخوخ في مصر) والمشمش فمهدهما الأصلي في الصين ومنها نقلا الى غربي آسيا

هذا في الصين أما البلاد الواقعة غربي آسيا فقد حدث فيها موجات بشرية كثيرة بين الشعوب الطورانية والآرية والسامية . فتاريخ هذه الاقوام في بابل وآشور ثم أسفار النبليقيين وحروب الفرس واليونان وغزوات الاسكندر الكبير واستعمار الرومانيين وانتشار الاسلام والحروب الصليبية كل ذلك جمع لمراجعة التاريخ قيمة لا تنكر في تحري انتقال النباتات الزراعية وانتشارها في غربي آسيا وفي اوربا وشمالي افريقية

ولما كشفت اميركا سنة ١٤٩٢ نقلت منها نباتاتها الزراعية الى أنحاء العالم كالبطاطس والذرة الصفراء والتبغ والصبّار وغيرها كما نقل الى اميركا عدد كبير من زروع العالم القديم . ثم لما كشفت جزائر البحر المحيط الهادي في القرن الثامن عشر من الميلاد وسهلت سُبُل المواصلات انتشرت النباتات القابلة للزراعة في جميع اقاليم الارض الزراعية

والطريقة الرابعة التي يرجع اليها النباتي تحري اسم النبات ووصفه في اللغات القديمة ، فيستدل بذلك على كون ذلك النبات معروفاً ومستعملاً عند الشعوب التي كانت تتكلم بتلك اللغات . وهذه الطريقة كالتي سبقتها لا تخلو من صعوبة ، لأن اسماء بعض النباتات قد تتبدل لدى الشعب الواحد في اللغة الواحدة ، ولأن وصف النبات ما كان شيئاً علمياً لدى كثير من الشعوب القديمة ولذلك ليس من الهين تعيين نوع النبات الذي كان يُسمى بكذا او كذا من الأسماء . هذا عدا ان اسماء بعض النباتات قد تكون واحدة لدى شعوب مختلفة فيكون من المتعذر معرفة الشعب الذي اقتبس تسمية النبات من الثاني . ومهما يكن فالعالم النباتي لا يعوّل في هذا الصدد إلاّ على الاسماء

الواردة في كتب النبات القديمة ككتب دسقوريدس وتيوفرسطس في اليونانية وكاتون وبلينيوس في اللاتينية وابن البيطار وابن سينا في العربية . فهؤلاء وبعض الصينيين الأقدمين وصفوا الانواع النباتية وصفاً لا بأس به يتمكن به العالم النباتي من معرفة تلك الانواع والاستدلال على انهم كانوا يزرعونها في تلك الايام . وتأتي في الدرجة الثانية لغات قديمة ليس في كتبها علم ولكن فيها شعراً وأدباً واموراً دينية وردت في تضاعيفها اسماء بعض النباتات وصفاتها كالسنسكريتية والعبرانية والآرامية . وفي مصاف الدرجة الثالثة لغات لا آداب فيها ولا علوم كالطورانية والآرية القديمة والعقلية القديمة واضرابها . فهذه اللغات لا يعتد بألفاظها الا باحتراز وعلى وجه التقريب . ويجب الاحتراز من اسماء النبات العامية فهي كثيراً ما تكون مغلوطة كتسمية الذرة الاميركية باسماء مختلفة في انحاء البلاد العربية وهو ما سبقت الاشارة اليه . وكتسمية النبات نفسه في الفرنسية Blé de Turquie اي حنطة تركيا على حين ان الذرة المذكورة ليست حنطة وان مهدها في اميركا لا في تركيا . ومن هذا القبيل شيء كثير في جميع اللغات الاوربية

***

﴿ الخلاصة ﴾ ليست طرائق البحث الاربع التي مرَّ ذكرها على درجة واحدة . فأهمها واعظمها شأناً الدلائل الاثرية اي العثور على النبات او على صوره او نقوشه في المصانع والهياكل الاثرية والقبور القديمة . فهذا دليل لا غبار عليه يدل على ان النبات المذكور كان يزرع في ايام الذين حفظوه او صوروه او نقشوه . ويليه الدليل النباتي اي العثور على افراد برية من النبات الزراعي . فهو دليل له شأنه . اما ورود ذكر للنبات في الكتب القديمة فدليل يأتي في الدرجة الثالثة . واما الاسماء العامية للنبات فدليل ضعيف الشأن لا يعول عليه الاَّ نادراً . ولا شك أن كل دليل من هذه الادلة ناقص وحده . اما اذا اجتمعت الادلة وتضافرت اقترب بها العالم النباتي من حقيقة مهد النبات الاصلي او بلغ تلك الحقيقة . وتاريخ النباتات الزراعية هو بعد كتاريخ الشعوب فتاريخ الشعوب الثقة لا يدوّن فكرته ما لم يراجع ما كتبهُ الاقدمون في تواريخهم وما هو محفوظ في السجلات القديمة او مرقوم في الاحجار الاثرية او مدوّن في الجرائد والمجلات والمذكرات والكتب الخاصة . وبعد ان يزن كل ما يجده في هذه المراجع بحكم بما يراه صحيحاً . هكذا يفعل العالم النباتي الذي يتحرى مهد النباتات الزراعية فانهُ يرجع الى كل الطرائق التي تكلمنا عليها . وبهذه الطرائق تمكن دوكندول من كشف الغطاء عن مهد النباتات على وجه الضبط في بعضها وعلى وجه الترجيح في بعض آخر . وقد سهّل عمله توافر الادلة الاثرية والنباتية واللغوية مما خلفهُ العلماء منذ اواخر القرن الثامن عشر الى اليوم الذي ألف فيه كتابه الخالد

***

﴿ مواطن بعض النباتات الزراعية ﴾ اذا اردنا سرد الادلة التي تثبت موطن كل نبات من هذه

النباتات والتي ترينا تاريخ زراعته لدى الشعوب القديمة والحديثة وجب تأليف كتاب برأسه . لذلك نقتصر على ذكر بعض النتائج التي حصل عليها دوكندول ودوَّنها في كتابه المذكور . واهم النباتات الزراعية الحنطة فهي تزرع منذ فجر الانسانية وقد وجدت حبَّاتها في اهرام مصر وفي مخبرات سويسرا . وورد ذكرها في كتب الصينيين والعبرانيين ولها اسم في كل اللغات القديمة والحديثة وموطنها الاصلي في العراق وفي الشام الجنوبية لانهُ عثر على نباتها البري قديماً في العراق وحديثاً في الشام

والشعير قديم ايضاً . وقد وجد الشعير ذو الحرفين بريًّا في آسيا الغربية ومنها جزيرة العرب وسيناء . اما الذرة اي الذرة البيضاء في الشام والبلدية في مصر فالارجح كون بلادها الاصلية مصر العليا وجزيرة العرب واما الذرة الصفراء في الشام والذرة الشامية في مصر فهي اميركية الاصل كما قلت وهي لم ترد في مفردات ابن البيطار وما كان اجدادنا يعرفونها . والرز او الارز من اقدم النباتات الزراعية . فقد كان مبذولاً في الصين منذ نحو ٢٨٠٠ سنة قبل الميلاد . ومهده الاصلي في الهند على الارجح . والعرب هم الذين نقلوه الى الاندلس . ومهد القطن العشبي في الهند . وربما كان موطن القطن الشجري في مصر العليا . والى العرب يرجع فضل اذاعة القطن وزراعته في الغرب . والاطريفل السكندري اي البرسيم مهده الاصلي في الشام والاناضول . والشام ايضاً موطن الفستق والخرُّوب والتين والزيتون . ومهد الكرمة آسيا الغربية وشواطىء بحر الروم وكذا السماق . والشاي من الصين ومنشوريا ، والقهوة من افريقية الاستوائية ، والتوت الابيض من الهند وبلاد المغول اما التوت الاسود اي الشامي فمن ارمينيا وايران . والنخل الذي عُرف بنا وعرفنا بهِ تمتد بلاده الاصلية من جزيرة العرب والعراق الى المغرب الاقصى وجزائر كناريا . ولاشك انهُ كان موجوداً في شمالي افريقية قبل عهد العرب والاسلام ببضعة الوف من السنين . ولم يعرف اين كان مهده الاصلي على الضبط قبل عهد الفراعنة اي هل كانت كل هذه البلاد موطناً له ام كان ينبت نباتاً طبيعيًّا ويزرع في قسم منها لا فيها كلها . ولعلَّ العثور على متحجراته يكشف الغطاء عن ذلك في يوم من الايام

والهند موطن الكبَّاد (أترج في مصر) والنارنج والأُتْرُج (منجا) والقرفة والفلفل والخيار كما ان الصين موطن البرتقال والمندرين والدرَّاق (خوخ في مصر) والمشمش . اما النباتات الزراعية التي منابتها الاصلية في اميركا فكثيرة منها الكينا والذرة الاميركية والأناناس والفليفلة والبندُورى (طماطم في مصر) والبطاطس والصبَّار والجوافة والقشطة والتبغ الخ . وقد كنت بينت بأدلة ساطعة ان التبغ غير الطُّسَّاق (انظر عدد ابريل ١٩٣٠ ص ٤٥٥ من المقتطف) . وأقول إن الصَّبَّار اي التين الشوكي ما كان معروفاً قبل كشف اميركا . فلفظة الصُّبَّار (بالضم) إذن التي وردت في المعاجم العربية وفي مفردات ابن البيطار لا تدل على هذا النبات بل تدل على التمر الهندي فينبغي لعلمائنا ان ينتبهوا الى ذلك

الشعبية والشعوبية

العالم يهجر الاولى ومصيره الى الثانية

Internationalism Versus Nationalism

بقلم نفرلد الحرار

من النكات المضحكات اننا نضطر أحياناً الى تفسير لفظ عربي بلفظ أعجمي مصطلح عليه لمعنى حديث ، فظنا ان الجانب الاوفر من القراء يعرفون احدى اللغات الاوربية المشتركة بذلك الاصطلاح لفظاً ومعنى

فضلت لفظ شعب مرادفاً لفظ Nation لانه يعبر عن أهل وطن واحد يكثر فيهم اختلاف السلالات وامتزاجها ولا سيما في عصرنا حيث لا نجد أمة بقيت محافظة على عصبيتها أو سلم دمها من الامتزاج بدماء سلالات أخرى . والامة في عرفنا الحاضر تحد بحدود جغرافية اكثر مما تحد بحدود سلالية تاريخية (انثولوجية) . وكذلك نستعمل لفظ « شعبي » مرادفاً لفظ National ولفظ شعوبي مرادفاً للفظ International الى ان يقرر المجمع العلمي لفظين آخرين اذا لم يقرّ هذين اللفظين . وبهذا الاصطلاح نتخلص من اللبس في لفظة « أمية » نسبة الى امة ، لان الشائع ان الامية تعني جهل القراءة والكتابة

متن الموضوع

العالم صائر حتماً الى الشعوبية Internationalism أي تآلف الشعوب وتضامنها وتعاملها على قاعدة الخضوع لقوانين عمومية عادلة منصفة . ليس العالم صائراً الى هذا النظام الاجتماعي من تلقاء نفسه بل بحكم العوامل العمرانية والاجتماعية ، ولا باختيارنا ولا بارشاد « العقل الاجتماعي » الواعي بل بغريزة اجتماعية غير واعية . هذه العوامل محتمة على المجتمع ان يسير في هذا الطريق بالرغم من العقول الفردية الواعية — عقول الساسة والاداريين والاقتصاديين وجميع أهل السلطات — المقاومة لهذا المصير بكل ما أوتيت من قوة وحيلة . هذه العقول تقاوم مؤتمرة بأمر التقاليد المتحجرة التي تصر على بقاء القديم على قدمه . ولكن بالرغم من جهادها في سبيل الحرص على التقاليد يندفع تيار الغريزة الاجتماعية (غريزة التطور والتجديد الراضخة لاحكام العوامل العمرانية المتجددة) مجتاحاً أنظمة الشعبية وقاذفاً بها الى بحر النظام الشعوبي

نظام الشعبية جعل كل شعب مستقلاً بنفسه مطلق الحرية . وهذان الاستقلال والحرية يفضيان الى احتكاك الشعوب فتتصادمها فتنازع الحدود الجغرافية والاقتصادية . وأما نظام الشعوبية فيحاول

انه يدك هذه الحدود والاستقلالات ويوحّد الامم في شبه أمة واحدة أو في تحالف واحد عام فيما بينها

في هذا المتن الاجمالي نقط قليلة الوضوح . فلا مناص لايضاحها من الشرح والتمثيل بالأمثلة التي يعلمها الجمهور . ولا بدّ انه يكون قد لاح لقارىء السطور الآنفة ان يسأل الاسئلة الرئيسية التالية

١ً — ما هي العوامل العمرانية القاضية حتماً بمصير العالم الى الشعوبية ؟

٢ً — ما هي الأدلة على ان العالم مهاجرٌ الشعبية المتنازعة الى الشعوبية المتحالفة ؟

٣ً — لماذا تتحكم التقاليد بالعقول الفردية الواعية وتضطرها الى مقاومة العوامل العمرانية والاجتماعية المسيرة العالم في طريق الشعوبية ؟

٤ً — كيف تتغلب الغريزة الاجتماعية على العقل الفردي الواعي ؟ وبعبارة أوضح : كيف تنهزم تدابير الساسة واضرابهم أمام تيار النظام الشعوبي خائبة المسعى ؟

٥ً — واخيراً كيف يستقيم نظام الشعوبية وبأي شكل يتم ؟

في الشرح التالي الاجوبة عن هذه الاسئلة

كيف اشتبكت العوالم الشعوبية

لا بدّ من نظرة عامة الى النظم العمرانية المتقادمة العهود لكي نعلم كيف نشأت العوامل الاجتماعية المتنوعة التي تسيّر العالم في طريقه بالرغم من ارادة العقل الاجتماعي وحريته

في العصور السابقة أيام كانت المعرفة سقيمة كانت اسباب تحصيل الرزق بسيطة جداً ، وبالتالي كانت الحياة ساذجة والمعيشة تشقة وانواع الترف قليلة جداً . وكذلك كانت الاقوام أو الأمم محصورة في حدود جغرافية طبيعية . فقد يكون الفاصل بين أمة واخرى سلسلة جبال صعبة المرتقى أو صحراء شاسعة أو بحر خضم . ولذلك كان الاتصال بين الامم ضعيفاً جداً . كانت كل أمة تقتصر في أساليب معيشتها على ما تجود به أرضها من الرزق وما تستطيعه عقولها الساذجة وعضلاتها من اصطناع الادوات والسلح . كانت مستقلة في اقتصادياتها فلم يكن بنقصها نتاج أو متاع موجود عند غيرها لكي تقايض به نتاجاً عندها وهو ليس عند غيرها . ولهذا كان التعامل بين الامم حتى المتجاورة بطيئاً ويسيراً . فندر جداً ان تحتاج الى عهود وقوانين (كالقوانين الدولية) بينها تحفظ السلم . بل بالعكس كان يغلب الغزو بينها بسبب الحاجة قليلاً وبسبب الطمع كثيراً

والعقل البشري الذي برز من صميم الحياة هو انشط ظاهرات الحياة حركة . فما فتىء منذ ظهوره يتفاعل مع حركة الطبيعة المادية ويستنبط منها نواميسها ليستغلها فمنذ استتم العقل وعيه جعل يخترع وكان الاختراع الواحد يمهد السبيل الى اختراعات اخرى ، الى ان بلغت اختراعاته العجب العجاب الذي نراه الآن

مع تقدم العقل في طريق الاختراع كان بفضل اختراعاته انهُ : — ١ً — توافرت أسباب

المعيشة ووسائل تحصيل الرزق وانواع الترف والبذخ الى ان بلغت شأنها الحالي : ٢ً — جعلت الصناعات تتنوع . وبتنوعها صارت تتزوج مختصة بأفراد وفئات ، الامر الذي وسع دائرة المقايضة فالتجارة : ٣ً — تقدمت وسائل الاتصال بين الأمم تقدماً عجيباً جعل الكرة الارضية كأنها « متمركزة » في أي نقطة في سطحها : ٤ً — هذا الاتصال العجيب هدم كل ما كان يعتبر حداً فاصلاً بين الأمم . أصبحت الأمم جميعها كأنها تعيش في اقليم واحد صغير : ٥ً — هذا الاتصال وسّع دائرة التعامل بين الامم على تباعدها الجغرافي بالسرعة العجيبة : ٦ً — هذا التعامل الشامل السريع زاد أسباب تحصيل الرزق واساليب المعيشة وانواع الترف والبذخ أضعاف الأضعاف : ٧ً — هذا التنوع في أساليب المعيشة والترف وفي وسائل تحصيل الرزق ، جعل كل قطر من أقطار المعمورة مختصاً بانتاج أنواع من النتاجين الزراعي والصناعي دون أنواع اخرى : ٨ً — هذا الاختصاص جعل كل شعب محتاجاً حتماً الى مقايضة غيره من الشعوب الاخرى فلم يعد في طوق أية امة اخرى ان تستقل اقتصادياً استقلالاً مطلقاً مهما بذلت من الجهد في ان تنتج كل ما تحتاج اليه بنفسها لنفسها : ٩ً — و اخيراً ان اضطرار كل شعب الى استيراد شيء من نتاج غيره واصدار منتجاته الى غيره زاد حدة التنازع بين الشعوب الى حد شبوب الحروب فتحاً واستعماراً والقارىء يعلم جيداً تفصيلات هذا البند التاسع

أليست هذه البنود التسعة عوامل عمرانية واجتماعية كانت قاضية حتماً ببلوغ المجتمع البشري الى اشتباك العلائق بين اممه كما نرى الآن ؟ وهل كان للعقل البشري حرية في اختيار مصير آخر غير هذا المصير ؟ أليس ان هذا التطور مقتضى غريزة اجتماعية هي من صميم طبيعة الحياة والعقل ؟ واذا كان لا بد للمجتمع البشري ان يسلك هذا الطريق الى هذا المصير فهل يبقى شك بانه مطلقٌ نظامُ الشعبية رويداً الى نظام الشعوبية ؟

الرد على هجوم نظام الشعوبية

الحقيقة ان النظام الاجتماعي الآن هو نظام شعوبي بحت لا ينقصه الاّ ان يؤيد السلم فيه النظامُ الادبي Ethics . النظام شعوبي برغم انوف الشعوب . وانما الشعوب — او بالاحرى قادة الشعوب — ينتفضون ضمن هذا النظام انتفاضاً جنونياً كما تنتفض الاسماك المتزاحمة المحصورة في شبكة ضيقة عليها . ولكن بالرغم من هذا الانتفاض هي مضطرة ان تستسلم لهذا النظام الشعوبي تفادياً لآلام الاصطدام العنيف . واليك الادلة على استسلامها وفيها الاجابة عن السؤال الثاني بكل اختصار

يمكنك ان تقول ان العالم طفق يدخل في نظام الشعوبية منذ نشأت القوانين والمعاهدات الدولية. وكان انهُ كلما اشتبكت صلات الامم الاقتصادية اشتد احتكاكها بعضها ببعض وحمي وطيس تصادمها فاضطرت الى تلافي آلام الاصطدام بعقد المعاهدات والمحالفات . وكان احترام المعاهدات يتوقف على

توازن قوى المتعاهدات ، حتى اذا اختلَّ هذا التوازن ورجحت قوة على اخرى ضعف ذلك الاحترام الى حد التلاشي لان قوة المجتمع الادبية — وبعبارة اصح — الضمير الاجتماعي ضعيف

وعندنا ادلة تحملنا على الظن ان هذا الضمير الاجتماعي صار الآن اقوى منهُ قبلاً ولو قليلاً . لاننا نرى بعض الدول تحترم اليوم عهودها بعضها تجاه بعض حتى تجاه التي هي اضعف منها تحترمها الى ان يطرأ طارىء يجعل العهود خطراً على حيويتها فعندئذٍ تعدها قصاصة ورق . ولكن ليس احترام العهود هذا كل الدليل على استقواء الضمير الاجتماعي لان هذا الاحترام لا يكون دائماً ناتجاً عن فضيلة تقيه بل يكون احياناً كثيرة لاستدراك عواقب سيئة . وانما هناك ادلة اخرى عديدة على ان الضمير الصالح اخذ ينتعش حتى في وسط شياطين المطامع . ولا مجال في هذا المقال لشرح هذه الادلة . فيكفي هنا ان نوجه نظر القارىء الى المؤتمرات الدولية المتعددة — لا اعني المؤتمرات السياسية ، لان هذه لا تزال تعقد في دار الشيطان — وانما اعني المؤتمرات الاجتماعية المتنوعة التي يقصد بها الاصلاح والتفاهم والتعميم الخ . فمنها (المؤتمرات العلمية المختلفة المواضيع واهمها المؤتمرات الطبية والصحية . والمؤتمرات الاقتصادية العديدة الانواع من انتاجية زراعية وصناعية الخ . والمؤتمرات الاصلاحية — كمؤتمرات المخدرات والمسكرات الخ . والمؤتمرات الفنية العديدة التعرف الى غير ذلك مما لا يستطاع احصاؤه — جميع هذه المؤتمرات تدل على ان الشعوب شعرت بضرورة التفاهم والاشتراك معاً في مهمات الاصلاحات وفي اجتناء ثمراتها . فهي اذاً قوى ادبية تعمل لتطبيق نظام الشعبية والدخول في نظام الشعوبية

ليست هذه المؤتمرات التي سردنا رؤوسها كل الادلة على انتعاش الضمير الاجتماعي الذي يكبح جماح التنازع الاممي ويرشد الى محامد تحالف الشعوب ووئامها وسلامها . فهناك ايضاً جمعيات واتحادات شعوبية (دولية) عديدة متنوعة تنتشر في الممالك المتمدنة انتشاراً دولياً ينتظم فيها فروع من ممالك مختلفة ولا محل لسردها . فهي ترمي الى نفس الغاية التي ترمي اليها المؤتمرات المارُّ ذكرها

اضف الى ما تقدم انتشار الثقافة الحديثة على سطح الكرة الارضية — ثقافة راقية تطبع عقول الامم المختلفة بطابع واحد تقريباً وتسبكها في قوالب متماثلة . فهي اهم عامل من عوامل تفاهم الامم وتخلقها باخلاق متشابهة تسهّل تآلفها وتحالفها وتعاونها . وفيما تقدم كفاية للتدليل على ان العالم داخل الآن في دائرة النظام الشعوبي . فلا موجب للتفصيل الذي لا يؤذن به المجال

تأثير التقاليد المتصلبة

نأتي الآن الى بيان العوامل التي كانت دائماً تقاوم تيار النظام الشعوبي المسوق بحكم الطبيعة الاجتماعية ولا تزال

لم يبق اقل شك عند سواد الناس ان الوسيلة الوحيدة لتلافي الحروب وتأييد السلم العام هي

تأليف حكومة دولية تطرح الدول سلاحها لديها وتخضع لاحكامها وأوامرها . فقد اصبح إمكان تحقيق هذه النظرية بالفعل عقيدة دامة عند كل طبقة من طبقات الامم وكل فئة من فئاتها . فما هو الحائل دون تحقيقها ؟

بتحليل المسألة نصل الى ثالث الاسئلة التي تصدّر بها هذا البحث — نصل الى شيطان التقاليد المتصلّبة التي تعند لقاء كل تطور اجتماعي . فالتقليد العنيد الذي يحاول صد تيار الشعوبية مصدره الغريزة الحيوانية التي لم تزل قوية في الحياة الانسانية — غريزة الأثرة — الأثرة النفسية التي تبتغي التمتع بثمرة عمل الغير . لشأ من هذه الغريزة فرعان : نزعة الى الاستئثار بالمال الذي هو مدار عرق العامل ، ونزعة الى السؤدد والجاه . وكلتا النزعتين متعاونتان متضامنتان . ولا بحر لتفصيل شئونهما . بتحريض هاتين النزعتين كان رؤوس القبائل والامم والشعوب يغزون بعضهم بعضاً . ولما كان المقاتلون يتوانون عن القتال حين يرون ان نصيبهم من الغنائم ضئيل وان النصيب الاوفر ذاهب الى الرؤوس صار هؤلاء يستنزلون فيهم النعرة الدينية ويحرضونهم باسم الدين على الجهاد . والقارىء يعلم جيداً كم من الحروب اثيرت باسم الدين ، ولم تكن الآلهة راضية ، لان الجهاد كان لاشباع شهوات الرؤوس لا لان الآلهة جائعة للغنائم . وكان الله غائباً لانهُ لا ينحاز الى جانب واحد من بنيهِ دون الآخر

اله الوطن

بقيت الحروب تثار باسم الدين والدين براء منها ، حتى العصر المنصرم حين بدأت العامة تفهم مخادعة الرؤوس هذه . فاستنبط السادة من فئة الرؤوس اخيراً الهاً جديداً للبشر وهو « الوطن » وجعلوا يمجدونهُ ويعظمونهُ في نظر العامة حتى صار هؤلاء يرونهُ اعظم من الله (اللهمّ غفرانك) بل اصبح الله ثانويًّا عنده اذ اطلقت ألسنتهم بالقول « الدين لله والوطن للجميع » . وأصبح التعصب للوطن اضعاف ما كان للدين . وارتفعت رايات الوطن وتنكست رايات الاديان وصار الجهاد لأجل الوطن مبرّة والتفاني في الجهاد له مفخرة وشرفاً وجزاؤه اكاليل توضع على قبر « الجندي المجهول » . وفعل « اله الوطن » من فظائع الحروب وويلاتها اضعاف ما فعله « اسم الدين » . والحقيقة الناصعة ان ابليس الرجيم لم ينجح في ما اخترعه لافساد البشرية عشر نجاحه في اختراع « تأليه الوطن » و « عقيدة الوطنية » . بهذا الاختراع الهائل صدّ ابليس تيار « الشعوبية » المتدفق اكثر مما يصد خزان اصوان تيار النيل

ألا تقول ان « اله الوطن » هذا سحر عامة الامم او اسكرهم بخمرة حبه ! ولا يزالون حتى اليوم سكارى لأن شيطانهُ اخترع الرأسمالية الهاً للمفتونين بإدخار الذهب او ما يمثله ، واخترع البروقراطية الهاً للمشغوفين بحب السيادة والجاه . وجعل ارباب الاموال يسكبون الخمرة في كؤوس في ايدي ارباب السؤدد وهؤلاء يديرونها على العوام كلما اوشك هؤلاء ان يستفيقوا من سكرتهم . والى هذه الساعة لا يزال سواد العامة سكارى بخمرة اله الوطن

منذ ظهر اله الوطن جعل يسحق نفوس الناشئة الحديثة بحب الجندية والغرام بالثوب العسكري والحسام والبندقية، والحماسة للنضال والنخوة للقتال حتى اذا اوشكت حتى الخمسة ان تهبط استنبط «اله الوطن» طقساً جديداً لعبادته. فلما قاربت حرارة «البتريوتزم» الفرنساوية التي هبت على اوروبا في القرن الماضي — لما قاربت تهبط استنبط اله الوطن الفاشستية والنازية ونحوهما تحل محل البتريوتزم. وكادت الفاشستية تجتاح كل اوروبا. وما هي الا سم من اصنام الوطن

ولكيلا تفتر النخوة الجهادية او لكي تثار في صدور الاحداث الذين كان يجب ان يتربّوا على المحبة والاخاء الانسانيين اخترع اله الوطن نظام الكشافة شاملاً للجنسين. وهو شر نظام تسمم به نفوس الاحداث لاثارته روح العداء بين الجنسيات الوطنية بالرغم من الدعوى الكاذبة في انه يراد به تربية الشرف النفسي والنشاط القلبي الى غير ذلك من اساليب التربية العسكرية المصطنعة، ووراء هذه الدعوى المزينة تحريض لنعرة التعصب للوطن وحض النخوة للقتال لأجله. ووراء هذا التعصب الوطني ابليس يثير العداء بين وطن ووطن ليجعل نار القتال دائمة الاستعار بين الاوطان. وهو يستخدم لهذه الغاية العمي المال والسؤدد

لا ريب ان عقيدة «الوطنية» جاءت اعظم نكبة على الجنس البشري في تاريخه لانها ليست الا تحريضاً على الحروب وعداة السلم العام. لماذا؟ ولأجل من؟ — لاشباع شهوات ذوي الأثرة وذوي السؤدد. ردّت نظام الشعوبية — تآلف الامم وانضمامها الى الوراء شوطاً كبيراً. وكان من اهم نكباتها: اولاً الامعان في التسليح بالرغم من مؤتمرات الدول العقيمة لتخفيض السلاح. لتخوّف الامم بعضها من بعض وايجامها من مكايد بعضها البعض. وثانياً تعليته الحواجز الجمركية في كل مملكة انتقاماً وسوء مظنة. وثالثاً تهييج الممالك بسياج قوانين ضد المهاجرة. ورابعاً اهباط قيمة العملة تنافساً في الاحتيال على اغتيال حقوق الغير. وخامساً اضعاف عصبة الامم سياسيًّا وأدبيًّا — هذه العصبة التي تعد الجرثومة الاولى لنظام الشعوبية

واخيراً ماذا كانت نتائج هذه المكايد؟ — عرقلة النظام الاقتصادي الى حد الجمود. وكان من اهم مظاهر هذه العرقلة ويل، واي ويل، لجانبي الرأسمالية والعمل على السواء. فدولاب العمل سكن وملايين العمال يتضورون جوعاً وصروح الاعمال انهارت. وانهارت معها صروح الثروات التي كانت مرتكزة على عواتق العمال حتى صار كبار المتموّلين يفتحرون هرباً من هذا الويل. هذه كانت آخرة نتائج عقيدة الوطنية التي دسها ابليس في الحياة الانسانية

اتأسف ان المجال لا يتسع للجواب على السؤالين الاخيرين. ولابد ان القارىء يستطيع استنتاج جوابيهما مما تقدم. وربما عدت اليهما في مقال آخر. ولا يخفى ان هذا الموضوع الخطير متشعب الاطراف جدير بكتاب او كتيب لا بمقالة او بمقالتين. فعسى ان يبدو من اهتمام القراء به ما يشجع اي الاكفاء على الخوض فيه

لعلي محمود طه

الى موسيقية عمياء

إلى عوّادة حاز ألقتيا

إذا ما طافَ بالأرضِ شعـــاعُ الكوكبِ الفضّي
إذا ما أنّتِ الريحُ وجـــاشَ البرقُ بالومضِ
إذا ما فتّحَ الفجرُ عيـــونَ النرجسِ الغضّ
بكيتُ وهزةٌ تبكي بدمـــعٍ غيرِ مرفضّ

* * *

زواها الدهرُ لم تسعدْ من الاشراقِ باللمحِ
على جفنينِ ظمآنينِ للأنـــدادِ والصبـــحِ
أهذا الشورُ ما للّيـــلِ قد لفّكَ في جنحِ ؟
أضيءُ في خاطرِ الدنيا وصبُّ الشورَ في جرحي

* * *

أمري الاقدارَ يا حسناءُ مثوى جرحكِ الدامي
أريها موضعَ السهـــمِ الذي سدّدهُ الرامي
أنيلي مشرقَ الأصـــباحِ هذا الكوكبَ الظامي
دعيهِ يرشفُ الأنـــوارَ من يلبوعها الساجي

* * *

وخلي أدمعَ الفجرِ تقبّلُ مغربَ الشمسِ
ولا تبكي على يومكِ او تأسي على الأمسِ
اليكِ الكونُ فاشتفّـــي جمالَ الكونِ باللمسِ
خذي الازهارَ في كفيـــكِ فالاشواكُ في نفسي !

* * *

اذا ما أقبلَ الليلُ وشاعَ الصمتُ في الوادي
خذي القيثارَ واستوحي شجونَ سحابهِ الغادي
وهزّي النجمَ اشفاقاً لنجمٍ غيرِ وقّادِ
لعلَّ اللحنَ يستدني شعاعَ الرحمةِ الهادي

اذا ما ستق العبقور في اعشاشه الغُنّ
وشقّ الروض بالألحان من غصن الى غصن
أتتك خواطري العزّافة الزفّافة اللحن
تغنّيك بأشعاري وترعى عالم الحسن

* * *

إذا ما ذابت الانداء فوق الورق النضر
وصبّ العطرَ في الاكمام إبريقٌ من التبر
دعوتُ شوادي الاطياف من فردوسها البحري
تذيبُ اللحنَ في جفنيكِ والاشجان في صدري

* * *

عرفتِ الحبَّ يا حوا ء أم ما زال مجهولا ؟
ألمّا تحملي قلباً على الأشواق مجبولا ؟
صفيه ، صفيه ، فرحاناً ومحزوناً ومخبولا ؟
وكيفَ تعارفَ الروحان عند النظرة الأولى ؟

* * *

ومَن آدمك المحبوب أو ما صورةُ الشبّ ؟
لقد أُلهمتِ والألهامُ يا حواء بالقلب
هو القلبُ ، هو الحبُّ ، وما الدنيا لدى الحبّ
سوى المجلوّة الأسرار والمهتوكة الحُجُب

* * *

سلي القيثارَ بين يديكِ أيَّ ملاحنِ غنّى
وأيَّ صبابةٍ سالت على أوتارهِ لحنا
حوى الآمال والآ لام والفرحة والحزنا
حوى الآباد والأكوان في لفظٍ وفي معنى !

* * *

تعالى الحسنُ يا حسناء عن إطراقِ محصورِ
أيشكو الليلَ في كونٍ من الأنوار مغمور !
وما جلاهُ من سواهُ غيرَ إلاهة النور ؟
وما عمّاهُ إذ ناداهُ غيرَ الأعينِ الحور !!

الطرائق المتبعة

في الإشباب واطالة الحياة

عمل الخصية في الانسان وأثرها في جسمه وعقله

للدكتور سوكت سرفي الشطي

عمل الانسان على إطالة الحياة منذ تكامل ادراكه ورأى الموت امامه يفغر فاه في كل يوم فيبتلع العدد العديد من ابناء هذه البشرية فكان يعمد الى امور شتى لا يلبث المستقبل ان يبين فسادها واذا تصفحنا تاريخ هذه القضية التي نحن بصددها واعني بها محاربة الشيخوخة رأينا ان عدداً من النوابغ استلّوا سيف الجهاد وتركوا أثراً لم تنبث ريح تحقيق ان عصفت عليه فمحته. ولا يزال الناس يتساءلون هل ثمّة من الوسائل ما يجعل أمد الحياة طويلاً وهل وجد العلماء لتجديد الشباب والتفتية [1] سبيلاً ؟

يصعب في حالة العلم الحاضرة ان يجاب عن هذين السؤالين لان كنه الحياة لم يحلّ بعد وامر الروح ما زال سرّاً غامضاً وسوف يبقى في اعتقادنا لغزاً ما دامت الحياة على وجه الكرة كما جاء في القرآن الكريم : « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي »

على أن حل قضية الاشباب المعقدة وسبر غورها مرتبطان بجواهر الحياة والروح لذلك كان البحث في هذا الامر والتنقيب فيه والاجابة عن هذين السؤالين امراً معقداً. ولما لم يستطع الباحثون ايضاح ذلك وجّهوا ابحاثهم شطر الاسباب التي تحدد عمر الانسان وتؤجل ظهور امارات الهرم وقد اشرنا في المقالين السابقين عن الإشباب الى العوامل العاملة في تنظيم عمر الانسان وانّا ان منها ما كانت باطنية ومنها ما هي خارجية . اما العوامل الباطنية فلا سلطة لنا عليها اليوم وقد يكشف في الغد ما ليس في الحسبان على ان العلماء بعد ان عرفوا ما للغرويات من الشأن في حفظ قوة الانسان سعوا الى ايجاد وسائل تجدد الغرويات في الخلايا الشيخة وقد توصلوا الى ان يهبوا الخلايا وسيلة تساعدها على التكاثر وما ينشأ عنهُ من اكتساب النسج والاعضاء الشيخة قوة ونشاطاً يفتيانها

وقد توصل العلماء الى تحقيق شعار من هذه الفكرة بطرائق خاصة يستند معظمها الى تضريج

---

(١) التفتية يعني الاشباب ولم ترد هذه الكلمة ايضاً في كتب اللغة غير ان قول ادهم بن محرز الباهلي دليل على صحة هذا المعنى والقصة أن عبد الملك عابه شيء رآه وكان كالشامة وقال له لو غيرت هذا الشيب فذهب فاختضب بسواد ثم دخل عليه فقال له يا امير المؤمنين قد قلت بيتاً لم اقل بيتاً قبله والا اراني اقول بعده قال هات فأنشأ يقول :

ولما رأيت الشيب شيناً لاهله تفتيت وابتعت الشباب بدرهم

لجسم رسل (هورمونات) تفرزها الغدد التناسلية ومن هذه الطرائق طريقة براون سيكار وعمليات فورونوف وشتينخ ودوبلر الجراحية

﴿ طريقة براون سيكار ﴾ — اجرى العالم المذكور سنة ١٨٨٩ اختباراً على نفسه كان لهُ دويٌّ هائل في الاندية الطبية والصحف العلمية والجرائد اليومية فأسال المداد وسوَّد كثيراً من الصفحات واصبح في حين من الزمن شغل العلماء الاحيائيين الشاغل . وخلاصة هذا الاختبار ان براون حقن نفسه لما كان لهُ ٧٢ سنة من العمر بعصير الخصى فشعر أثر ذلك بنشاط في قواه وفي غريزته الجنسية وقد ذكر في محاضراته ما توصل اليهِ فأعقب ذلك ذيوع هذه الطريقة بين عدد كبير من الشيوخ ولجأ الى الاستشفاء بها رهط عظيم منهم غير انهم لم يجدوا فيها ما يسلي عزاءهم فأهمل شأنها وعادت نسياً منسيًّا . هذا وان كان اختبار براون سيكار لم يحقق الغاية ولم ينل الارب الاَّ انهُ نبه الفسيولوجيين والاطباء الى عمل الغدد الصم الحيوي فاتجهت الافكار الى الاستعضاء [1] وبعثت من جديد هذه الوسيلة التي كان لها شأن كبير في القرون الوسطى ومقام في الطب القديم وقيل منذ ذلك الحين بالافراز الخصوي الداخلي . على اننا نرى ان فكرة تأثير الخصية في نشاط الجسم ومظهر الذكورة ليست حديثة العهد بل عرف الاطباء الاقدمون الشيء الكثير عن ذلك

ذكر هذا التأثير اطباء العرب وعلماؤهم في كتبهم حتى ان الجاحظ بحث في كتابهِ الحيوان عن الخصاء وما يعتري الانسان وبعض الامم (اجناس الحيوان) بعده بحثاً مسهباً لنقل طرفاً منهُ

كل ذي ربع منتنة وقيل ذي دفر [2] وصنان وكريه المشمة كالنسر وما اشبههُ فانهُ متى خصي نقص نتنه وذهب صنانه غير الانسان فان الخصيَّ يكون انتن وصنانه احدَّ ويعم ايضاً خبث العرق سائر جسده حتى لتوجد لأجسادهم رائحة لا تكون لغيرهم فهذا هذا وكل شيء من الحيوان يخصى فان عظمه يدقُّ فاذا دق عظمه استرخى لحمه وتبرأ من عظمه وماد وخصاً رطباً بعد ان كان عضلاً صلباً والانسان اذا خصي طال عظمه وعرض فخالف ايضاً جميع الحيوان من هذا الوجه وتعرض للخصيان ايضاً طول اقدام واعوجاج في أصابع اليد والتواء في اصابع الرجل وذلك من اول طعنهم في السن وتعرض لهم سرعة التغير والتبدل وانقلاب من حد الرطوبة والبضاضة وملاسة الجلد وصفاء اللون ورقته وكثرة الماء وبريقه الى التكرش والكمود والى التقبض والتحدد والى الهزال وسوء الحال

والخصي لا يصلح كما لا تصلح المرأة واذا قطع العضو الذي كان بهِ خللاً تامًّا أخرجه ذلك من اكثر معاني الفحول وصفاتهم واذا أخرجهُ من ذلك الكمال صيره كالبغل الذي ليس هو حماراً ولا فرساً فصير طباعه مقسومة على طباع الذكر او الانثى وربما لم يخلص لهُ الخلق ولم يصف حتى يصير كالخلق من اخلاق الرجال ويلحق بشيء من اخلاق النساء ولكنهُ يقع ممزوجاً مركباً فيخرج الى ان يكون مذبذباً لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء

(١) تأويل opothérapie عملية العلاج بمفرزات اعضاء الجسم (٢) الدفر من دفر الشيء دفراً انتنت رائحته والدفر على وزن فلس اسم منه

ثم قال وللانسان قوى معروفة المقدار وشهوات بصروفة في وجوه حاجات النفوس متسومة عليها لا يجوز تعطيلها وترك استعمالها ما كانت النفوس قائمة بطبائعها ومزاجاتها وحاجاتها وباب النكح من اكبرها واقواها واعمها ويدخل في باب النكح ما في طبائعهم من طلب الولد لما طبع الله تعالى بني آدم عليه من حب الذرية وكثرة النسل

وعامة اكتساب الرجال وانفاقهم وهمهم وتصنعهم وتحسينهم لما يكون انما هو مصروف الى النساء والاسباب المتعلقة بالنساء[1] ولو لم يكن الا التنعم[2] والتطيب والتطرز والتخضب والذي يعدلها من الطيب والصبغ والحلي والكساء والفرش والآنية لكان في ذلك ما كفى ولو لم يكن له الاهتمام بحفظها وحراستها وخوف العار من جنايتها والجناية عليها لكان في ذلك المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة فاذا بطل العضو الذي من اجله يكون اشتغال النفس بالاصناف الكثيرة من اللذة والالم فباضطرار ان تعلم ان تلك القوى لم تبطل من التركيب فاذا صرفت من وجه فاضت من وجه ولا سيما اذا جمت وغازعت ولا بدّ اذا زخرت وغزرت وطفت وطمت من ان تفيض او تفتح لنفسها باباً وليس بعد النكح باب له موقع كموقع المطعم فاجتمعت تلك القوى التي كانت للنكح وما يشتمل عليه باب النكح الى القوة التي عند المطعم فاذا اجتمعت القوتان في باب واحد كان البلغ في حكمه وابعد غاية في سبيله ولذلك صار الخصي آكل من اخيه لأمه وابيه وعلى قدر الاستيراء يكون هضمه وعلى قدر حاجة طبعه وحاجة الحرارة المتولدة عن الحركة يكون الاستيراء لأن الشهوة من اتون ابواب الاستيراء والحركة من اعظم الحرارة ودوام الأكل في الاناث اعم منه في الذكور وكذلك النساء في البيوت دون الرجال وما ذلك ان الرجل يأكل في المجلس الواحد ما لا تأكل المرأة ولكنها تستوفي ذلك المقدار وتربي عليه مقطعاً غير منظوم وهي بدوام ذلك منها يكون حاصل طعامها اكثر وهنّ يناسبن الصبيان في هذا الوجه لأن طبع الصبي سريع الهضم سريع الكلب قصير مدة الأكل قليل مقدار الطعم فللمرأة كثرة معاودتها ثم تبين بكثرة مقدار المأكول فيصير للخصي نصيبان نصيبه من شبه النساء ثم اجتماع قوى شهوتيه في باب واحد اعني شهوة النكح التي تحولت وشهوة المطعم

ويعرض للانسان عند قطع ذلك العضو تغير الصوت حتى لا يخفى على من سمعه من غير ان يرى صاحبه انه خصي وان كان الذي يخاطبه ويناقله الكلام اخاه او ابن عمه او بعض اقرابه من لحمة جنسه. ومتى خصي قبل الانبات لم ينبت واذا خصي بعد استحكام نبات الشعر في مواضعه تساقط كله الا شعر العانة فانه وان نقص من غلظه ومقدار عدده فان الباقي كثير ولا يعرض ذلك لشعر الرأس فان شعر الرأس والحاجبين واشفار العينين يكون مع الولادة وانما يعرض لما يتولد من فضول البدن وتكون مقاطع شعر رأسه ومنتهى حدود قصاصه كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قصاصها. ثم يتول والخصيان مع جودة آلاتهم ووفارة طبائعهم في معرفة ابواب الخدمة وفي استواء حالهم في باب

(١) ليس في ذلك ما يشير الى مذهب فرويد (٢) التنعم نتف الشعر في سبيل الزينة على ما تفعل النساء الآن بحواجبهن

المعاناة لم نرَ احداً منهم قط نفذ في صناعة تنسب الى بعض المشقة وتضاف الى شيء من الحكمة مما يعرف ببعد الروية والغوص بادمة الفكرة الا ان الخصي من صباه يحسن صنعة الدبوق ويجيد دعاة الحمام الضواري وما شئت من صغار الصناعات. ورأيت ان الخصاء جذب الخصي الى حب الحمام وعمل الكك والهراش بالديوك وهذا شيء لم يجر منهُ على عرق واغا قاده اليه قطع ذلك العضو وتعرض للخصي سرعة الدمعة وذلك من مادة طبائع الصبيان ثم النساء فانهُ ليس بعد الصبيان اغزر دمعة من النساء وكفاك بالشيوخ الهرمين ويعرض للخصي العبث واللعب بالطير وما اشبه ذلك من اخلاق النساء وهو من اخلاق الصبيان أيضاً ويعرض لهُ الشره عند الطعام والبخل عليه والشح العام في كل شيء وذلك من اخلاق الصبيان قال الشاعر

كأن ابا رومان قيساً اذا غدا خصي براذين يقاد رهيص
له معدة لا يشتكي الدهر ضعفها وحنجرة بالدورقين خموص

ويعرض للخصي سرعة الغضب والرضا وذلك من اخلاق الصبيان والنساء ويعرض لهُ حب النميمة وضيق الصدر بما اودع من السر وذلك من اخلاق الصبيان والنساء. ومن العجب انهم مع خروجهم من شطر طبائع الرجال الى طبائع النساء لا يعرض لهم التخنث وقد رأيت غير واحد من الاعراب مخنثاً متفككاً ومؤنثاً يسيل سيلاً ولم ار خصيًّا قط مخنثاً ولا سمعت به ولا ادري كيف ذلك ولا اعرف المانع منه ولكن كان الامر في ذلك الى ظاهر الرأي ولقد كان ينبغي ان يكون ذلك فيهم عامًّا وما اكثر ما يعرض للخصيان البول في الفراش وغير ذلك ولا سيما اذا بات أحدهم ممتلئاً من النبيذ ويعرض لهم ايضاً حب الشراب والافراط في شهوته وشدة النهم ويعرض للخصي شدة الاستخفاف بمن لم يكن في سلطان عظيم او مال كثير أو جاه عريض

لقد اكثرنا من أقوال الجاحظ أمام الاديب والعالم ولنا في ذلك عدة غايات: أولها لنثبت أن علماء العرب وادباءهم وصفوا ما يعتري الانسان بعد الخصاء من اضطراب حالتيه الروحية والجسدية وصفاً مسهباً لا نجد في الكتب المتداولة بين أيدينا ما يماثله ولو اكتفينا بالتلميح الى ذلك تلميحاً بسيطاً لشك الكثيرون في هذه الدعوى ولكان من يناهضها لا من المؤلفين الاجانب فحسب بل من الكتّاب الوطنيين ايضاً. ثانيها لنظهر ان الطريقة المستحدثة في الكتابة العلمية التي وسموها بعناق العلم والادب هي طريقة قديمة جرى عليها الجاحظ وغيره من علماء العرب وذلك لانهم تذوّقوا الادب والعلم معاً. على ان اكثر أدبائنا كما يقول العالم والاديب اسماعيل مظهر لم يتذوّقوا العلم ومعظم علمائنا لم يتذوّقوا الأدب في الغالب. ثالثها لنبين ان مذهب فرويد ليس من مبتكرات المؤلف المذكور بل قال به الجاحظ من قبل كما أشرنا الى ذلك في هذا المقال

فلو تبصرت أيها القارىء الكريم بعد ذلك في كتب الجاحظ وفي بعض ما نقلته لك من كلامه ونقبت عنهُ تنقيباً لرأيت انهُ قد استهلَّ بعضه بقوله زعموا فذكر اموراً غريبة رغب في نقلها ليجيء

كتابهُ جامعاً بين الادب والعلم والرواية لم يفرط في شيء مما قيل في عهده وانهُ استهزَّ البعض الآخر بقوله قالوا وكأني به يقصد أموراً لا يبعد وقوعها ويقول لك تارةً ورأينا ويعني به ما اختبره بنفسه

أرجع بك الآن أيها القارىء الكريم بعد أن بينت لك أقوال هذا الامام ونقلت لك ما ذكرهُ عن صلة الخصية بالنشاط والصفات الجنسية الى بعض الطرائق الحديثة وهي تستند كما بينت لك في صدر هذا المقال الى عمل الخصية وأثره في الجسم

﴿ طريقة شتيناخ ﴾ : بحث النسل وبوان منذ ربع قرن عن بناء الخصية النسيجي فوجدا في باطنها خلايا مفرزة خاصة سموها الخلايا الخلالية وقد عرفا ان هذا الافراز يحفز الصفات الثانوية والغريزة الجنسية على الظهور ثم بحث شتيناخ عن هذا الافراز واثره في الوجود فاتضحت لهُ حقيقته واطلق اثر اقتناعه بوجود هذا الافراز على الغدة الخلالية اسم غدة البلوغ . ثم نقَّب هذا الاستاذ عن اختبار بروان سيكار فلم يجده عارياً عن الصحة . ففكر حينئذٍ في ايجاد وسيلة لايقاف الغدة المذكورة وتأجيل فسادها الشيخي فوجد ان خير وسيلة لذلك هي قطع الأسهرين[1] لأن قطعهما ينبه العناصر الخلالية ذات الشأن في هذا الافراز ثم جرَّب هذه الطريقة في الكلاب الهرمة فكانت نتائجها حسنة ثم حقق اختباره كثير من الفسيولوجيين وذكر كنود ساند Knud Sand من كوبنهاغن ما طرأ على كلب اجريت لهُ هذه العملية فقال : اخذت كلب حرس عمره اثنتا عشرة سنة وكان نشيطاً قوياً حتى سنته العاشرة ثم اخذت علائم الهرم تدبُّ فيهِ فصار ضعيفاً هازلاً مغمض العينين كسولاً ، متناثر الشعر ، جاف الجلد ، مجمده وعادت حركاتهُ صعبة لا يحسن بوله وبرازه . ولم يكن لضعف الحيوان من سبب آخر غير هرمه لانهُ كان سليماً من جميع الأمراض العضوية فكان بذلك خير حيوان للاختبار. اجريت العملية لهذا الحيوان وقطع اسهراه فتحسنت حالته بعد اربعة اسابيع وعادت اليهِ قواه الطائرة وشهوته للاستسراء . وكان قد راقب الاستاذ هنسن Hansen هذا الكلب وفحصه قبل العملية ورأى عجزه فكتب عنهُ ما يأتي : لقد تبدَّل طرف (اسم الكلب) تبدلاً عظيماً فصارت نظراتهُ حادة وعيناه يقظتين ونما شعره وعاد دهنيًّا لامعاً وزالت البقع الجرد من جسده واصبح جلده ليناً وصار اغتذاؤه طبيعيًّا كأن الحياة قد دبَّ دبيبها فيهِ

وذكر أيضاً فالديمر برغاور (Valdimir Bergauer) نتائج اختباراته في الكلاب الهرمة فكانت مطابقة للاختبار المار الذكر . وكان الكلب المجبور مصاباً بساد[2] مركزي في عينه اليسرى فشفي منه . وقد شاهد هذه الحادثة هارمس (Harms) وشتيناخ (Steinach) ثم اختبر العلماء تأثير هذه العملية في الجرذ . فجاءت النتائج مؤيدة لما تم في الكلاب. ولما تحقق العلماء اثر هذه الطريقة الطيب في الحيوان جربوها في الانسان ولكنهم لم يحصلوا على نتائج مشجعة . وقد شاهد ليختنشتين Lichtenstein بعض آثار التفتية في ثلاثة من مبضوعيه [للبحث تتمة]

(١) تأويل Canal déférent (٢) تأويل Cataracte

الفارابي

احوال العصر العامة — حياته وأخلاقه —

كتبه ، اسلوبه ، قيمة كتاباته

لاديب عباسي

أحوال العصر

عاش الفارابي في القرن الرابع الهجري ، وهو عصرٌ لا تميّزه من الوجهة السياسية ما ترة ، فهو حلقة من تلك السلسلة الواهنة من تاريخ الاسلام التي يمسك طرفها الواحد الخليفة المتوكل وطرفها الآخر هولاكو . غير انهُ لابدَّ من الاشارة الى ان هذا الوهن كان على اشدّه في هذه الفترة من تاريخ الاسلام . وقد تألّبت شتى العناصر على إحداث هذا الوهن والاضطراب . فالخليفة امسى ولا شأن لهُ في الخلافة الاَّ شرف الانتساب اليها ، ونيط به بدل شؤون الخلافة الخطيرة يديرها ، تصدُّر الاحتفالات والقيام بالصلوات وخلافها من الشؤون الثانوية . ولم تأت سنة ثلاثمائة واربع وثلاثين حتى كان ضعف الخلفاء قد بلغ مداه الأبعد ، فتمّ لآل بويه ان يؤسسوا في بغداد ملكاً لهم منهُ جسمهُ والخليفة رسمه فقط . ثم لقد كان القرن الرابع الهجري قرن ظفر للروم بينما كانت الدول الاسلامية تمزقها مطامع الأمراء والقوّاد فكان هذا — مضافاً الى ضعف الخلفاء — من أدعى الاسباب في تقويض بنيان الامبراطورية الاسلامية . ومما يزيد الباحث شعوراً بفساد الحياة السياسية اذ ذاك هذه الجمعيات الهدّامة التي امتدَّ شرُّها الى اكثر انحاء العالم الاسلامي ، كالاسماعيلية والحشاشين والقرامطة ، خصوصاً هؤلاء الاخيرون الذين ظلوا زهاء قرن ينشرون الرعب والتدمير اينما حلّوا وحيثما توجهوا

وفي الناحية الاقتصادية يلحظ المتتبع لاحوال العصر مثل ما يلحظهُ في الناحية السياسية ، وهناً على وهن وسوءاً الى سوء . ولا عجب ان تكون هذه حال العصر ، فالامن غدا والعدم سواء لذهاب هيبة الحكومة وانصراف اولي الشأن الى قمع الفتن ومشاغلة شتى الخصوم في الداخل . والسلم لم يكن اسعدَ حالاً ، فان هذا العصر — كما اسلفنا — كان عصر ظفر للروم ، كثرت فيه مغازي الافرنج وغاراتهم على البلاد الاسلامية مما لم يدع للسلم سبيلاً . والعدل كذلك آل الى اسوأ الدرك لاستبداد الامراء بالأمر دون الخلفاء واسرافهم في تحميل العامَّة ما لا قبل لهم به . كل هذا وخلافه قسَّم المجتمع الاسلامي الى قسمين : قسم تكاد تقتله التخمة وقسم تكاد تفنيه المجاعات . ومما زاد

الشؤون الاقتصادية سوءاً ما حدث من انسلاخ كثير من الولايات من جسم الامبراطورية الاسلامية فقلّت بذلك موارد الخزينة وصغرت الخلفاء والامراء مدداً للحجز الى فرض الضرائب الباهظة على الفلاحين مما ثقل كاهلهم ودفع بالكثيرين منهم الى احضان الثورة على الحاكمين . وفي رأي كثيرين من المؤرخين ان ثورة القرامطة كانت ثورة اقتصادية قبل ان تكون شيئاً آخر . ويؤيد هذا الرأي ان السواد الاعظم من القرامطة كانوا من فلاحي العراق الذين ارهقهم عسف الحكام واضطرهم الى الثورة واعتناق الحسام

وامتدّ الفساد في نواحٍ اخرى من شؤون الاجتماع، ولم يسلم على هذا الفساد الناحية العقلية، على الرغم مما كان من اغراء شديد بالفلاسفة والمفكرين ، وظلّ درس الفلسفة في بغداد والبصرة وخلافهما من الحواضر الاسلامية حيّاً نامياً يؤتي اكله الشهي الطيب بعد الطيب

واهم مصادر الفكر الاسلامي في هذا العصر كانت الافلاطونية الحديثة والفلسفة الفيثاغورية ومذهب وحدة الكون (الپانتيزم) وفلسفة افلاطون وارسطو والرواقية واليهودية والمسيحية وغيرها من المذاهب الشرقية . واشهر من تأثر بهذه المذاهب الفلسفية والدينية هم الشيعة ومن جرى مجراهم كالاسماعيلية والقرامطة والحشاشين واخوان الصفا . فنظرية الحلول عند الشيعة ومن ذهب مذهبهم مقتبسة من الافلاطونية الحديثة لتفسير نظرية الامام المنتظر، وفلسفة فيثاغورس تشغل القسم الاول من رسائل اخوان الصفا ، وارسطو يشغل قسماً آخر منها ؛ والمدينة الفاضلة للفارابي تأثّر بها مؤلفها بعض الشيء جمهورية افلاطون ، ومذهب وحدة الكون يظهر في آثار الفارابي اجمالاً وفي شطر كبير من رسائل اخوان الصفا وفي مذاهب الاسماعيلية والفاطميين والحشاشين

وقد امتاز هذا العصر عن غيره ظاهرتان طاشتا كل الطيش، وهما شيوع الجمعيات السرية الفلسفية وذيوع النزعة « الانسكلوپيدية » بين المفكرين . فمؤلفات الفارابي وابن سينا واخوان الصفا ، والجمعيات الفلسفية والفلسفية السياسية كجمعيات اخوان الصفا والاسماعيلية والحشاشين هي اوضح دليل على تفشي هاتين النزعتين وتمكنهما من نفوس القوم يومئذٍ . وذلك — في رأينا — ناشئ من التضييق على الفلسفة اشدّ التضييق حتى اضحت كتبها من الندرة بحيث لا تطولها ايدي جميع الراغبين فيها ، فقام الفارابي وابن سينا واخوان الصفا واضرابهم وجمعوا للناس اشتات العلوم والمعارف على نحو قريب من دوائر المعارف والموسوعات الحديثة ، فسدّوا بذلك حاجة العصر وسهّلوا على الدارسين دراسة الفلسفة والعلوم والفنون . ولم يستطع الفلاسفة والجامعون أن يقوموا باعمالهم من دراسة وجمع وتأليف الا بالتكتم الشديد ، فنشأت هذه الجمعيات السرية التي نقرأ اخبارها معجبين بما كانت تصرفه من جهد وبذله من اخلاص في دراسة الفلسفة وتيسيرها للدارسين

في مثل هذه البيئة الاجتماعية والفكرية نشأ الفارابي . وسوف نرى عند تحليل فلسفة الفارابي ان قد كان لعناصر هذه البيئة آثار ملحوظة في فلسفته وفي نسق تفكيره

حياة الفارابي و خلاقه

هو ابو نصر محمد بن اوزلغ بن طرخان من مدينة فاراب . ولد في عائلة تركية واخر القرن التاسع الميلادي في بلدة واحدي من اعمال فاراب ، وهي ولاية تركية في خراسان . ويقال ان والده كان قائداً من قواد الجيش . والراجح انهُ من عائلة تركية مع ان كثيراً من المؤرخين يلحقونهُ بالامة الفارسية

والفارابي — ككثير من العصاميين — لايعرف تاريخ ولادته بالضبط ولا الاحوال التي مرّت عليهِ في طفولته وشبابه . وقد تُوفي عن ثمانين سنة او ما هو دونها (سنة ٩٥٠ ميلادية) ويدلك على انهُ بلغ هذا العمر او ما يقاربهُ ان تلميذه ابا زكريا يحيى توفي عام ٩٧١ ميلادية عن ٨١ سنة اي ان الفارابي حينما توفي كان عمر تلميذه نحو ستين سنة . وهذا يعني — في الراجح — ان الفارابي كان اكبر منهُ بعشرين سنة . وهي نسبة معقولة بين سن المعلم وتلميذه . على ان هذا لا يعدو باب الترجيح والاحتمال ، اذ ليس بعيداً ان يكون الفارابي وتلميذه من سن واحدة

والذي يعلم علم اليقين من حياة الفارابي انه رحل في صباه عن مسقط رأسه الى بغداد ، مدينة العلم والنور اذ ذاك ، ودرس فيها على الطبيب يوحنا بن حيلان . واشتغل تعليمه هناك على الادب والرياضيات واللغات . وقد نسب اليهِ اهل زمانه الالمام بجميع لغات العالم ، على انهُ لم يقم على هذا الزعم دليل . بيد انهُ يتضح من كتبه انهُ كان يعرف التركية جيداً ويعرف اليونانية بعض المعرفة . وقبل ان يدرس الفارابي على يوحنا بن حيلان كان قد تتلمذ لابي بشر يونس الحكيم المشهور ، وهو شيخ كبير . وكان الناس يقرأون على هذا الاخير كتب ارسطو في المنطق ويستملونه شروحه عليها . ذلك انهُ كان يستعمل في تصانيفه وطريقة شرحه ، البسط والتدليل حتى قال بعض علماء هذا الفن : « ما أرى ابا نصر الفارابي اخذ طريق تفهيم المعاني الجزلة بالالفاظ السهلة الا من ابي بشر » . وكان الفارابي يجتمع ايضاً بأبي بكر السراج في بغداد ، فيقرأ عليهِ المنطق . ويقال ان كتاب النفس لأرسطو وجد وعليهِ بخط الفارابي « اني قرأت هذا الكتاب مائة مرة » . ونقل عن الفارابي ايضاً قوله : « قرأت السماع الطبيعي لأرسطو الحكيم اربعين مرة واري اني محتاج الى معاودة قراءته » ويروى عنهُ انهُ سئل : من اعلم انت ام ارسطو ؟ فأجاب : لو ادركته لكنت اكبر تلاميذه . يريد انهُ كان لا يفارقه ولا يرى انهُ يستطيع الاستغناء عنه مهما تقدمت بهِ سنه وعظم علمه

ولم يزل ابو نصر في بغداد مكبّاً على الدرس والتحصيل الى ان برّز في جميع العلوم . وفي بغداد الّف معظم كتبه ، واكثرها شرحٌ لكتب ارسطو . ومن هنا دعاه العرب المعلم الثاني

ثم انتقل الفارابي من بغداد الى حلب لفتنة حدثت هناك ، والحقه سيف الدولة برهط الادباء والفلاسفة الذين كانوا ينوّرون بلاطه ويكسون مجتمعات القصر حللاً زاهية من مختار القول ومصطفى

التفكر ، وظنَّ يعيش هناك عيشة الزهد والتقشف الى ان وافاه اجله المحتوم في دمشق . وقد مكث الفارابي بقية حياته في حلب مكرَّماً معزَّزاً . وذلك ان سيف الدولة كان الى اجلاله للعلم وحدبه على الأدب شيعيًّا كالفارابي الذي كان شيعيًّا ايضاً . ويدلك على مكانة الفارابي عند الامير انهُ لما توفي قام سيف الدولة في مسوح الصوف خطيباً على منبره

ويؤثر عن الفارابي الهدوء والانصراف الشديد الى العلم دون غيره من شهوات النفس . ويذكر المؤرخون انهُ لم يكن يتناول من سيف الدولة الا اربعة دراهم في اليوم ، وهذا لم يكن شحًّا من سيف الدولة انما كان استجابة رغبة الفارابي نفسه عن اعراض الدنيا . ولم يكن الفارابي يعتني بهيئته ، وكان لباسه لباس الصوفية الخشن . ويدلُّك على عفة الفارابي عما يتهالك عليه الناس من حطام الدنيا واعراضها أبيات أثبتها له ابن أصيبعة قال فيها :

لما رأيت الزمان نكساً ... وليس في الصحبة انتفاع
لزمت بيتي وصنت عرضاً ... له من العزَّة اقتناع
اشرب مما اقتنيت راحاً ... لها على راحتي شعاع
واجتني من حديث قوم ... قد اقفرت منهم البقاع

وقد اورد له المؤرخون غير هذا المقطع من الشعر ، وكلها على العموم ، لا تنطوي على كبير شاعرية الا انها في معظم الاحوال ناطقة بمتانة خلقه وسمو نفسه

وروي عن الفارابي اخبار كثيرة أحقُّ بالخرافة منها بالواقع : منها انهُ حضر ذات يوم مجلساً لسيف الدولة ولعب على آلة موسيقية معه ، فبكى كل الحاضرين . ثم فكها ولعب عليها لحناً آخر فضحك جميع الحاضرين . ثم فكها وركبها من جديد ولعب عليها لحناً ثالث ، فقام عليهِ الجميع

كتب الفارابي

﴿ أسلوبه — قيمة كتاباته ﴾ الكتب التي ألفها الفارابي تربي على المائة كتاب . والترتيب التاريخي الذي تعاقبت عليهِ هذه الكتب غير معروف تماماً . ولكن الراجح ان كتبه التي كتبها وهو تحت تأثير المتكلمين « Dialectics » والطبيعيين « Naturalists » من الفلاسفة كانت اسبق كتبه الى الظهور . أما كتبه التي يظهر فيها نضوج الفكر فيرجح انها كتبت في زمن متأخر ، وهي الكتب التي لقب من أجلها بالمعلم الثاني ، وجلها شروح لمنطق ارسطو وفلسفته في السياسة وما وراء الطبيعة . وكتبه ، على العموم ، تقع في ثلاثة أقسام : الكتب المنطقية ، وكتب ما وراء الطبيعة ، وكتب الفلسفة العملية — أي فلسفة الأخلاق والسياسة . واكثرها محفوظ في المكاتب الاوربية . ومن هذه الكتب المطبوع باللغات الافرنجية ومنها المطبوع باللغة العربية ، ومنها

لا يزال مخطوطاً . ومن أشهر كتبه ما يلي :

١ — التوفيق بين رأيي الحكيمين ، أفلاطون و ارسطو

٢ — فيما ينبغي الاطلاع عليه قبل قراءة فلسفة ارسطو

٣ — رسالة في ماهية الروح

٤ — آراء أهل المدينة الفاضلة

٥ — رسالة في المنطق (خطية) في اوربا

٦ — رسالة في القياس

٧ — احصاء العلوم (خطية)

٨ — السياسة المدنية

٩ — مجموعات كتب في موضوعات متفرقة

ومن اهم ما صنّفهُ الفارابي ويذكر له مع الشكر والتقدير كتابهُ في احصاء العلوم والتعريف باغراضها وقد قسّم الفارابي العلوم في هذا الكتاب المختصر الى ستة فروع : ١ — علوم اللغة : ٢ — علم المنطق : ٣ — الرياضيات : ٤ — العلوم الطبيعية : ٥ — العلوم المدنية : ٦ — علم الكلام وما وراء الطبيعة . وهذا التقسيم قريب من التصنيف الحديث للعلوم والفنون

ويذكر المرحوم جرجي زيدان ان الفارابي كتب كتاباً في الاقتصاد السياسي سبق فيه جميع علماء الغرب الى هذا البحث الجليل

***

هـذا من حيث مادة الكتب التي صنفها الفارابي ، اما اسلوبه فيعتوره شيء من التناقض والارتباك في كثير من الاحيان . على ان عبارته عربية لا غبار عليها ، انما يؤخذ عليه كثرة الترادف المعنوي مما ينأى به احياناً كثيرة عن الدقة الفلسفية ويحمله على التوسّع في المعاني . ومن خصائص اسلوب الفارابي ايضاً طول العبارة وكثرة المعترضات . على ان هذا ليس مما انفرد به الفارابي دون غيره من الفلاسفة . والواقع ان طول الجملة وكثرة الاعتراض ضرورتان تلازمان الكتابات الفلسفية والعلمية في اللغة العربية واللغات الاجنبية على السواء . وذلك ان بسط الفكرة العلمية او الفلسفية الدقيقة يقتضي الكاتب ، في كثير من الاحوال ، تطويل العبارة وايراد المعترضات موارد عديدة من الجمل

ويصطنع الفارابي في بعض الاوقات صيغاً وتعابير غير فصيحة كبنائه الفعل للمجهول مع

ايراد الشاهد مجروراً بحرف الجر او الاضافة . وهذا لا شك راجع الى دراساته في اللغات الاجنبية وتأثره باساليبها

وقد كلف الفارابي نفسه فوق وسعها في محاولة التوفيق بين الفلسفة والقرآن من جهة وبين افلاطون وارسطو من جهة اخرى ، فجاء كثير من كتبه مضطرباً متناقضاً وفي كثير من الاقتسار والتعقيد . يقول ما كدونلد : « في الحق ان النظام الذي تسلّمهُ الفارابي كان نظاماً معقداً . ولم يكن هذا النظام اقل تعقيداً من النظام الذي خلّفه هو . ان فلاسفة المسلمين ابتدأوا فلسفتهم بما يأتي : القرآن حق والفلسفة حق ، ولكن الحق واحد لا يتجزّأ ، فلذا وجب ان يتفق القرآن والفلسفة » . وقد كان ايمان الفارابي بافلاطون وارسطو ايماناً لا حدّ له مما جعله يقبل قضاياهما وفروضهما الفلسفية من دون مناقشة ولا حساب . وهذا في الحق من اكبر عيوب الفلسفة العربية ومن آكد الاسباب في وقوفها عند حد الاحتذاء والتقليد دون ان تتعدّى ذلك الاّ في القليل القليل . ودليلنا على ذلك من الفارابي ما أوردناه له من قوله انه قرأ كتاباً لارسطو مائة مرة وكتاباً آخر اربعين مرة وهو لم يزل في حاجة الى معاودة قراءتها !! ويروى مثل هذا القول عن ابن سينا ايضاً . وقد أخذ الفارابي على نفسه فضلاً عن شرح الفلسفة اليونانية — التوفيق بين فلسفتي افلاطون وارسطو ، وجاهد في ذلك جهاد الجبارة حقّاً ، ولكنهُ في ذلك كله كان ادنى الى الخيبة منه الى النجاح . وذلك ان افلاطون غير ارسطو وارسطو غير افلاطون ، وكل سعي للتوفيق بين الاثنين هذا نصيبه . وقد كان الفارابي يلقب افلاطون وارسطو بالامامين ويقول ان اتباعهما اولى من اتباع امام واحد . وذلك — في رأيه — ان الاثنين اذا اتفقا على امر فحكمهما اصح واولى ان يُتّبع ، والشاهد الواحد يجوز الشك في شهادته ، اما الشاهدان المتفقان فلا يصح الشك في شهادتهما . بل لقد ذهب الفارابي الى ابعد من هذا المذهب في تقدير الفلسفة اليونانية مثّلة في أبمّتها ، فكان يقول ان الفلاسفة القدماء هم على العموم انبياء يصلح اطلاق لفظ الامامة عليهم فيقال : الامام فيثاغورس والامام افلاطون والامام ارسطو كما يقال الامام علي والامام الحسن والامام الحسين . والكتب التي ألفها الفارابي في محاولة التوفيق بين آراء الفلاسفة القدماء عديدة ، منها كتاب التوفيق بين افلاطون وارسطو ، والوسيط بين ارسطو وجالينوس ، ومقاصد ارسطو وافلاطون وخلافها . وجميع هذه الكتب تشهد على مقدار ما عاناهُ الفارابي في محاولة التوفيق بين آراء الفلاسفة اليونان . وهذا المسلك الوعر الذي سلكه الفارابي كان من اهم الاسباب في التناقض والاضطراب اللذين يكتنفان فلسفتهُ في كثير من المواضع (١)

(١) — سنعمد في مقال تال الى تحليل نواح من فلسفة الفارابي في بعض شؤون الاجتماع والنفس وفي فلسفة التكوين والاخلاق

سرّ النواة

العلماء يفتتحون المعقل عنوةً

ليس تشبيهُ نواة الذرّة بالمعقل الحصين تشبيهاً مبتدعاً . فقد اشرنا اليهِ في المقتطف مراراً وعقدنا لهُ فصلاً في كتابنا « فتوحات العلم الحديث » متأثرين بذلك علماء الغرب الاعلام . ولكنهُ على كل حالٍ تشبيه مفيد ، لانهُ يقرّب مكان النواة في الذرّة من الاذهان. فاذا اعتبرنا الذرّة الكاملة حصناً كانت الكهارب اشبه ما يكون بالقلاع والطوابي الخارجية ، وكانت النواة بمثابة قلب الحصن او معقله المركزي . فلما تهاوت القلاع الخارجية بين ايدي العلماء — اي لما علموا كثيراً مما يريدون ان يعلموهُ عن طبيعة الكهارب — وجّهوا قواعم الى قلب الحصن يبغون افتتاحه ، والجلوس خلاله ، لانهم عرفوا بالتجربة والامتحان ، ان سرّ المادة فيهِ ، بل وسرّ الطاقة كذلك ، وفي ما يلي بيان موجز لما احرزوا من النصر في هذه الحرب العلمية

منشأ البحث

كان لابدّ للعلم من بصر شديد الثقوب، لكي يتبيّن «الذرّة» في كتل المادة المتنوعة الاشكال. ولكن علم الطبيعة الحديث امدّ ابناءهُ ببصر يخترق الذرّة ، ويكتشف العناصر التي تتركب منها ، وتصرّف بعضها. والرأي الحديث ان الذرّة اشبه ما يكون بنواة صلبة مندمجة تحيط بها طبقة هشّة. فالذرّة من هذا القبيل ، كالخوخة . فنواة الخوخة تقابل نواة الذرّة . وجسم الخوخة الريان يقابل جوّ الذرة الكهربائي المؤلف من كهارب وعجال كهرطيسي

كان العالم الفرنسي بكرل اول من عني بنواة الذرة . وذلك في سنة ١٨٩٦ . ولكن رذرفورد كان اول عالمٍ تصوّر الصورة الحديثة السائدة للذرّة وبنائها . على ان الصورة التي تصوّرها رذرفورد لم تكن حزراً اطلقهُ في الظلام ، يصيب بهِ اذا كان موفقاً ولا يصيب اذا اخطأه التوفيق. ولكنها كانت مبنية على النتائج التي اسفرت عنها تجاربهُ العديدة الدقيقة . كان بكرل قد اكتشف ظاهرة الاشعاع ، فعنيت بها مدام كوري وزوجها ، ووسّعا نطاقها وبوجهٍ خاص بعد ما كشف الراديوم . واثبت رذرفورد في سنة ١٩١١ وبضع السنوات التي تلتها ، ان الاشعة المنطلقة من الراديوم وغيره من المواد المشعة ، انما تنطلق من نواة الذرّة لا من جوّها الخارجي . فلما ثبت ذلك اصبحت

خواص هذه الاشعة — طبيعتها وقوتها وسرعتها — اشبه بالرسل تحمل انباءً عن المصدر الذي انطلقت منهُ

وقد دلّت البحوث الطبيعية ان هناك ثلاثة ضروب من الاشعة . اشعة موجبة تدعى دقائق الفا . واشعة سالبة تدعى دقائق بيتا . واشعة لا هي موجبة ولا سالبة بل من قبيل الاشعة السينية (اشعة اكس) تدعى اشعة غما . فالاولى تنطلق بسرعة ١٢ الف ميل في الثانية . والثانية تسير بسرعة الاشعة السينية اي سرعة الضوء ولكن لا تبلغها تماماً . والثالثة تسير بسرعة الضوء اي بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية

وعند التعمق في البحث ظهر ان دقائق الفا هي نوى ذرّات الهليوم . وان دقائق بيتا هي الكهارب والعجيب في كل هذا ان نوى الذرّات نفسها تبرعت بهذه الحقائق للعلماء اي انها اطلعتهم على انها مؤلفة من كهارب ودقائق الفا . ولكن البحث لم يقف عند هذا الحدّ . ففي تلك الآونة عني السر جوزف طمسن والاستاذ أستُن بوزن الذرّات بطريقة عجيبة . وكان رذرفورد قد اثبت ان وزن الكهارب شيء لا يعتدُّ به في وزن الذرّات . فكأنّ طمسن وأستن كانا يزنان نوى الذرّات فعلاً اذ كانا يزنان الذرّات . فلما عرفت اوزان النوى ، اصبح في وسع البحّاث ان يعلموا هل النوى مؤلفة من دقائق الفا وكهارب دون اي شيء آخر . ولكن ذلك لم يكن في اليسير مستطاعاً لان جدول الاوزان الذرية الكيميائية يعين لذرة الهليوم وزن ٤ حالةً ان هناك ذرّات وزنها واحد ، او ٦ او ٧ او ٩ . فكيف يمكن ان تتألف هذه الذرّات من وحدة وزنها ٤ على القياس نفسه ، واذن لا بدَّ من وحدة يكون وزنها رُبْع وزن دقيقة الفا اي واحد ، لتكون اساساً لبناء نوى الذرّات جميعاً

هذه الوحدة هي نواة ذرّة الايدروجين المعروفة باسم « بروتون » Proton ولما كانت دقيقة الفا (أو نواة ذرة الهليوم) تزن أربعة أضعاف وزن البروتون ، بل لما كانت نوى العناصر المختلفة ليست الاّ أرقاماً مضاعفة للرقم واحد — وهو وزن البروتون — كان من الطبيعي ان يعتقد علماء الطبيعة ان نوى الذرّات مركبة من بروتونات وكهارب ليس الاّ . ولكن الامتحان يدل على أن دقائق الفا تدخل في تركيب نوى بعض العناصر . لذلك اعتقد العلماء ان البروتونات تتحشك أحياناً فيتألف من انحشاك اربعة منها ، دقيقة الفا واحدة

بيد ان هذا كلهُ جاء من طريق الاستنتاج ، ولم يقم عليهِ دليل علميٌّ تجريبيٌّ واحد . ذلك ان ذرات العناصر المشعّة ، لم تطلق في خلال اشعاعها الذاتيّ ، بروتوناً واحداً . ومما جعل هذا البحث محدوداً مقيداً ، ان الوسائل التي توسل بها العلماء حتى ذلك الوقت ، لتهشيم الذرّة اخفقت جميعها . فالاشعة المنطلقة من المواد المشعة لم تخضع لاي فاعل من فواعل الطبيعة التي في متناول البحاث كالحرارة والبرد والضغط ، ولذلك عجزوا عن حمل نواة الذرّة على البوح بامرار تركيبها

ولكن في سنة ١٩١٩ ابتدع رذرفورد طريقة عجيبة تمكنهُ من ذلك . فبيّن انهُ متى استعمل

دقائق الفا المنطلقة من الراديوم ، كمقذوفات أو قنابل يطلقها على ذرّات النتروجين ، فأصاب بعض قنابله نوى بعض ذرّات النتروجين وقذف منها بروتونات مفردة ، هي نفس البروتونات التي تصوّر العلماء أنها الوحدة الاساسية في بناء نوى الذرّات . وكذلك أصبح رذرفورد العالم الاول في التاريخ الذي استطاع ان يحوّل العناصر ، لأن انطلاق بروتون واحد من نواة ذرة النتروجين جعل النتروجين عنصراً آخر

ومما كان يقيم الصعاب في وجه علماء يجربون تجارب من هذا القبيل ، ان عدداً يسيراً جدًّا من المقذوفات التي يطلقها العالم ، يصيب احدى الذرات المقصودة ويفوز بتهشيم نواتها . فقد يطلق العالم ما متوسطهُ ٥٠ الف مقذوفة على طائفة كبيرة من الذرّات قبل ان يفوز باصابة احداها وتهشيمها. أما الصعوبة الثانية فهي أن الراديوم — مصدر هذه المقذوفات اي دقائق الفا — عنصر نادر ثمين وما حضر منهُ يعدّ بالغرامات . لذلك تعذّر التوسع في اجراء التجارب التي قبيل تجربة رذرفورد المتقدمة

الجسيمات الجريرة

ثم انقضى ما يزيد على عشر سنوات والعلماء يعتقدون ان وحدات المادة الاساسية هي الكهارب والبروتونات . ولكن في سنة ١٩٣١ اكتشفت وحدة أساسية جديدة هي «النوترون» — المحايدة أو المحايد — فبدا للعلماء عند اكتشافها ان قصة الذرّة ونواتها لم تتمّ . ذلك ان الاستاذ شدويك وهو من أعوان رذرفورد ، تبيّن نوعاً جديداً من الأشعة منطلقاً من نوى الذرات . فقد وجد ان هذا النوع الجديد من الاشعاع ينطلق من ذرات بعض العناصر الخفيفة مثل عناصر البريليوم عند ما تقذف بدقائق الفا . وأشعة النوترون هي في الواقع دقائق او جسيمات . ولكنها دقائق غير مكهربة ، مثل دقائق الفا أو مثل دقائق بيتا . هي محايدة الكهربائية ، أي لا هي سالبة ولا هي موجبة ولذلك دعيت « نوترونات » أي « الجسيمات المحايدة »

وفي سنة ١٩٣٢ اكتشف الاستاذ اندرسن احد اعوان ملكن في باسادينا بكاليفورنيا ضرباً آخر من الاشعاع ينقذف من نوى الذرّات عند ما تصدمها الأشعة الكونية . ثم ثبت حديثاً ان بعض المواد المشعة تقذف مثل هذه الدقائق ايضاً . ووحدة هذه الدقائق لا تختلف عن الكهرب في شيء الاّ في شحنتها الكهربائية . فالكهرب سالب الكهربائية ، ووحدة هذه الدقائق موجبة الكهربائية ، ولذلك دعيت الكهرب الموجب او البوزيترون

وكذلك نرى انهُ يجب علينا ان ننقح قائمة اللبنات التي تبنى منها الاجسام المادية . كنا قبلاً نعتقد ان هذه اللبنات تقتصر على الكهارب والبروتونات فأصبحنا نرى انها كهارب وبروتونات ونوترونات وبوزيترونات . فهذه المكتشفات الجديدة غلبت الطبيعي على امره ، في محاولته ان يجعل

لبنات الكون الاساسية ، صنفين بسيطين من الدقائق. ولكن بعد البحث ثبت ان البروتون ليس وحدة نهائية ، بل هو مؤلف من نوترون وبوزيترون . واذن فلبنات الكون الاساسية هي ثلاث الآن — اي الالكترون (سالب) والبوزيترون (موجب) والنترون (محايد)

اطلاق طاقة الذرة

والبحث متجه الآن الى معرفة ترتيب هذه الدقائق في بناء النوى . والطريقة التي يعمد اليها العلماء هي الطريقة الساذجة التي عمد اليها رذرفورد اولاً ، اي تحطيم الاشياء وتهشيمها لمعرفة سرّ تركيبها

ولكن الوسيلة تغيّرت. فقد كان رذرفورد يحتاج الى دقائق الفا لتهشيم نواة النتروجين . ودقائق الفا كما قلنا عزيزة المنال ، لان مصدرها نادر ثمين . بيد ان علماء اليوم قد بنوا اجهزة كهربائية قوية الضغط الكهربائي ، يستطيعون ان يسرعوا بها ، نوى الايدروجين (البروتونات) ونوى الهليوم (الهليومات او دقائق الفا) ثم يستعملونها كمقذوفات يطلقونها على الذرات التي يريدون تهشيمها

خذ مثلاً على ذلك ما فعلهُ كوكروفت Cockroft وولطن Walton وهما من اعوان رذرفورد ايضاً فإنهما بنيا جهازاً كهربائياً يمكنهما من اسراع البروتونات اسراعاً عظيماً . ثم اطلقوها على قطعة من عنصر الليثيوم . والليثيوم عنصر مركب من نوعين من الذرات (اي لهُ نظيران Isotopes 2) نوع وزنهُ ٦ ونوع وزنهُ ٧ في جدول الاوزان الذرية الكيماوي . وفي خلال هذه التجربة لاحظا ان الليثيوم يطلق اشعةً اعظم طاقة من البروتونات المسدّدة اليهِ . وبعد البحث ثبت ان هذه الاشعة العظيمة الطاقة ، المنطلقة من الليثيوم مؤلفة من هليومات او دقائق الفا (اي نوى ذرات الهليوم) وبعد موالاة التجربة ثبت ان هذه الدقائق تنطلق من الليثيوم ازواجاً وان طاقة حركتها تعدل ١٥ مليون فولط — هذه حقائق جديدة تنطوي على مغزًى عظيم

ويظنُّ ان ما يحدث في هذه التجربة كما يلي : يصطدم بروتون احياناً بنواة ذرة ليثيوم من الوزن ٧ . فيحدث تفاعل داخلي تتحوّل فيهِ النواة بعد ان يلتصق بها البروتون المقذوف عليها ، الى دقيقتين من دقائق الفا . ثم ان هذه الدقائق تنطلق بطاقة اعظم جدًّا من الطاقة اطلقت بها البروتونات على النواة . واذن فالطاقة الكامنة في الذرة قد انطلقت من عقالها في هذه التجربة البسيطة

ولا يخفى ان الطاقة الكامنة في الذرة عظيمة جدًّا ، حتى لقد قيل انهُ اذا استطعنا اطلاقها من عقالها ، لكفتنا الطاقة الكامنة في ذرات كوب من الماء ، لتسيير باخرة كبيرة بين اوربا واميركا ذهاباً واياباً

موت فنانه

رثاء فنان يموت بينما الأفق يردد صدى أغانيه

غناؤك العذب في الظلام يرنّ في مسمع الزمن
وأنت في قبضة الحمام كالحلم في قبضة الوسن

***

أأنت يا صامتاً تؤوب أيامه المدى البعيد
الصادح المرهف القلوب الساحر الفاتن النشيد؟!

***

أأنت؟! لا، أنت غيره فأين لي شدوك الجميل
قد فارق العش طيره وهام كالحائر الضليل

***

كم خيّم الحزن في رحابك ونام في ساحك الرنين
مزّق الليل بانتحابك وترعش النجم بالأنين؟!

***

يا مغرق الكون في الاغاني الكون يشتاق للهزار
غرقت في لجة الزمان فهل تعشقت للقرار؟

***

هجرت الحانك العذاب وعشت في صمتك الحزين
تجرع اليأس والعذاب وتشرب السقم والمنون

أأنت مَنْ حرَّكَ النفوسْ بصوته الساحر او تُومْ ؟!
أأنتَ من أرقص الكؤوسْ أأنت من أرّق النجومْ ؟!

***

أأنت ؟! لا ، أنت غيرُهُ فأين لي صورتُكَ الحنونْ ؟
قد بان بُلبلٍ خبرُهُ وأنتَ مُستَسلِمُ الجفونْ !

***

أصمتُكَ الموحشُ الكئيبْ يا هاتف الأمس سخريهْ
بعالمٍ مغرمٍ يذوبْ على ترانيم أُغنيهْ ؟

***

قد فاتك النُّغْمُ واستبدْ وأنت في مِيعة الشبابْ
سألتَ فيثارة الأبد لجاهلٍ لحنُهُ اضطرابْ

***

يطوف في ساحك القَدَرْ مجنَّد الجبهة اكتئابا
يضمُّ من كُوبكَ الزَّهَرْ ويحطمُ الفنَّ والشبابا

***

فمدمرٌ في سمتك المنون برُوحك الحيِّ الصَّدَى
فتٌ في الليل ، والسكون يكفكف الطلَّ والنَّدَى

***

غناؤك العذبُ في الظلامْ يردُّ في مِسْمَعِ الزَّمنْ
وأنت في قبضة الحمامْ كالنُّغْم في قبضة الوَتَنْ

فصلان عراقيان[1]

لامين الريحاني

— ١ —

— وكان الكهان في معبد عشتليل بأور ونيبور يأمرون ملوك سومير الدولة الاول في وادي الرافدين (٣٥٠٠ قبل المسيح)

— وما الذي صنع اولئك الملوك والكهان لخير السواد من الناس؟

— ومرجون الاول ملك أكاد اكتسح السومريين، وفتح بلادهم ومدّ ملكه جنوباً الى الخليج، وشمالاً الى الجبال (٢٧٥٠ ق. م.)

— وما الذي قام به سرجون وخلفاؤه لخير السواد من الناس؟

— ومن الجبال في الشرق والشمال انحدر بجيشه كدُور ناخُنتا ملك عيلام، فغزا بلاد سرجون واكتسحها، وحمل تماثيل آلهتها الكلدانيين الى أشمونا عاصمة عيلام (٢٢٨٦ ق. م.)

— وما الذي صنع كدور هذا وما الذي شاد خلفاؤه العيلاميون لخير السواد من الناس؟

مدنية القصور والمعابد للملوك والكهان،

والجهل والفقر والعبودية للسواد من الناس

— وكان كهان عشتروت بلينوه، وكهان مردوخ ببابل، يتعاطون السحر والشعوذة، ويملأون بطونهم من ضحايا الهيكل، بينما ملوك بابل وآشور يحتربون ويتطاحنون من اجل السيادة والمجد

— السيادة والمجد للكهان وللملوك، والسحر والنير للسواد من الناس

— وحمورابي اول المشترعين، وآشوربنيبال اول المحبين للعلم والعلماء —

— واحتان في البادية، مصباحان في الليل الدامس

— وسنحاريب الفاتح، ونبوخذ نصر المصلح —

— ناهب فينيقية، ومذلّ اسرائيل

من جبال الشمال تدفق التتيون، ومن جبال الشرق انحدر اكزارس يقود جنوده الماديين، ومن السهول في الجنوب سارع جيش بابل الى نجدة جيش مادي، وقد حالف النهران المحاصرين — طغى الفرات، وطغى دجله

(١) من كتاب «العراق» تأليف الكاتب الكبير امين الريحاني وينتظر صدوره قريباً

طغيان الجيوش الفاتحة — وصاحوا كلهم قائلين : لتسقط نينوه ! سقطت نينوه (٦٢٥ ق . م .) وبعد ست وثمانين سنة (٥٣٩ ق . م .) سقطت بابل

— دون تدول ، ومجد بعد مجد يحول ، مجد سومر وعيلام ، ومجد بابل وآشور . ثم ينتقل صولجان الملك من يد السامين في وادي الفرات الى يد الآريين من الملوك

— وما الذي صنع الآريون من اجل السواد من الناس ؟ أفي سبيل المجد شُيِّد الدول ام في سبيل الانسان ؟ انهم لظالمون ، الساميون والآريون جميعاً . انهم الهابون الفاسقون . شيدوا المعابد والقصور ، وسخّروا لها العباد . ألّهوا انفسهم ، وكانوا قساة عتاة ، وكانوا عبيداً للشهوات

— ومن مهد الثقافة الغربية جاء تلميذ ارسطو ، الشاب العجيب اسكندر المقدوني . اجتاز البحر الى الشاطىء الاسيوي . قاد الوفه الثلاثين ، وكان ظافراً في كل مكان . هزم الفرس في واقعة الغرانيق وفتح فيليقية ، واستولى على مصر ، وتعقب الملك دارا الى بلاد الرافدين ، فأدركه قرب اربيل ، وكانت الوقعة الفاصلة بين الشرق والغرب (٣٣١ ق . م .)

— في اربيل أُبدل نيرٌ من حديد عتيق بنيرٍ من حديد مصقول . راح الفرس وجاء الاغريق

— كان الاسكندر فاتحاً باسم العلم والنور

— كان الاسكندر مصاباً بداء الصرع . غزا الشرق باسم الآلهة ، وعاد منهُ ناقماً على الارض والسماء

— ولكنهُ في بابل كان مجدداً

— شاء الاسكندر ان « يُأغرق » العالم ؛ فكانت بابل النهاية لصرعة — لسكرة — مفجعة ، وكانت النهاية لحلم ذهبي

— قد تحقق قسم من ذلك الحلم ، فبدت بعد الاسكندر دلائل التآخي بين الشرق والغرب بدت ثم ردّت . فقد تغلب البرثيون التورانيون على السلوقيين الاغريق (١٢٦ ق . م .) يوم كان ذاك التآخي في ازدهاره الاول ، فقضوا عليه

زُرعت بذوره في ارض طيبة في الشرق الادنى

— جاءت رومة بجيوشها تدوسهُ وتسحقه سحقاً . وما كانت رومة ممن يحلمون الاحلام

— ومع ذلك فقد كان للرومان فضل يذكر في الرقي والعمران

— عمروا المعابد لآلهتهم ، وعبّدوا الطرق لجيوشهم . وكانت الآلهة ، مثل الجيوش ، تستولي على الشعوب والامم باسم رومه ، ومن اجل رومه ، بل من اجل القياصرة في رومه

— مدنية المعابد والطرقات هي خير من مدنية القصور والمعابد . القصور للملوك والطرقات للملوك والصعاليك

— ولكن السواد من الناس في عهد الرومان كان كالسواد في عهد بابل وآشور — عبيداً للكهان والملوك ، وحطباً للحروب

وما افلح الرومان في وادي الرافدين . بعد مائتي سنة من الاغارات والحروب سلمت رومة الى سلوقية . وما خلا الجو لسلوقية طويلاً . عاد الفرس الى العراق (٢٢٦ ب.م.) فاستولوا عليه ، واستمرت فيه الدولة الساسانية اربعمائة سنة

— والنزاع بين الشرق والغرب ، ذلك النزاع الذي كاد ينتهي بعد واقعة اربيل ، تجدد بشكل ديني بين المسيحية والوثنية . وما الذي أثر جدالُ ارباب الدين ، المتنطعين والمتعصبين ، لخير السواد من الناس ، بل لخير الناس جميعاً ؟

وفي ظلمات الجاهلية ، في سماء الحجاز ، سطع نور النبوّة ، نورُ دينٍ جديد . ومشى المؤمنون مكبرين ، وسلاحهم الاسلام وكلمة التوحيد ، فاجتازوا البوادي الى الارض الخضراء يرومون الفتح لله ، والخلاص للناس . فغلبوا على الروم في سورية ، وعلى الفرس في العراق . فكسروا جند هرقل في اليرموك (١٢ هـ ٦٣٤ م) وبددوا جنود فارس في القادسية (١٤ هـ ٦٣٦ م) وبعد عشر سنوات من وفاة النبي رُفعت اعلام العرب فوق قصور فارس ، وفوق حصون دولة الروم

— هي نار النزاع بين الشرق والغرب تزداد اضطراماً . وهي كذلك اول شعلة من نزاع يجدّد بين الساميين والآريين ، بين العرب والعجم

— ولكن الاسلام دين التوحيد ، ودين العدل والاخاء والمساواة

— المساواة والاخاء في الحروب بين السنّة والشيعة ! والاخاء والمساواة في الحروب بين التتار والترك والمغول والعرب من السنيين !

— انما الحكام المسلمون ، وخصوصاً العرب منهم ، يفوقون سواهم في العدل والانصاف ، بل في كرم الاخلاق والمبرّات . فقد كانوا على الاجمال اكثر حلماً وعدلاً من اكثر ملوك الفرنجة

— يصح هذا في الخلفاء الراشدين ، وفي بعض الخلفاء الامويين والعباسيين . اما الدولة العباسية في العراق (١٣٢ — ٦٥٦ هـ ، ٦٢٦ — ١٢٥٨ م) فما كانت ، على الاجمال ، المثل الاعلى في العروبة ، ولا كانت المثل الاعلى في الاسلام . اول خلفائها « السفّاح » وآخرهم العاجز المستعصم بالله

— وهرون الرشيد ؟ شخصية باهرة اجتمعت فيها الاضداد . فقد كان هارون ورعاً تقيّاً ، وخليعاً انانيّاً . وكان كثير المبرات والبدوات ، عادلاً يوماً ، ويوماً ظالماً . تارةً حريصاً على ابهة الملك ، وطوراً يرمي بها الى الصيادين . . . ولا اذكر بنكبة البرامكة . . .

— والمأمون ، ما تقول في المأمون ؟ المأمون ، غفر الله ذنبه في اخيه ، هو مثل حمورابي في آشور . المأمون نجم العباسيين الساطع ، ونورهم اللامع على الدوام

— وجاء هولاكو بجيشه الجرار فاتحاً

— هولاكو من كبار القواد المسلمين الذين وقف الاسلام على شفاههم ، وما دخل الى قلوبهم . فهو الذي اكتسح بغداد (٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م) — ودمرها ، وأعمل السيف باهلها

— وحكم التتار في العراق نحو مائتين وخمسين سنة ، فعاد الفرس (٩١٤ هـ — ١٥٠٩ م) فنزعوا السيادة منهم . ثم جاء الترك ، بعد ربع قرن ، فنزعوا السيادة من يد الفرس واستولوا على البلاد (٩٤٠ هـ — ١٥٣٥ م) وظلوا اسيادها اربعمائة سنة

— اربعمائة سنة مضت ، يبدو الى جانبها العهد التتاري عهداً سعيداً . ولو استطاع الترك ان يحكموا النهرين ، دجلة والفرات ، لكانا اليوم اجف من رمل البادية ، واقفر من ارض الحداد

وفي السنة السابعة عشرة من هذا القرن العشرين جاءت الجيوش من الغرب — رجال زُرق العيون ، متحدرون من القريد الكبير الكسوني ووليم الفاتح النورمندي — فحملوا على الترك وانتصروا بمساعدة العرب عليهم . وقد قرأ قائد الجيوش على اهل البلاد مادةً من عهد مقدس يضمن للناس حقوقهم ، العامة منها والخاصة على السواء . ولاول مرة في تاريخ العراق ، الاسلامي وغير الاسلامي ، يؤسس في البلاد مجلس نيابي ، ويجلس على العرش ملك دستوري . اجل ، انها المرة الاولى في تواريخ دول هذا القطر كلها — الدول الآرية والسامية والتتارية والتورانية — التي تُسن في البلاد ، وتضمن في دستورها ، حقوق الانسان

— ٢ —

كنت احمل في ذهني ، عند ما أقدمت على رحلتي العربية ، صورة تصوّرتها ، مما قرأت وسمعت ، لكل مدينة زرتها . وما تغير في الصورة بعد الزيارة شيء مهم . بل شاهدت في الصفة البارزة لكل مدينة ، فوق ما تصوّرت . فكانت صنعاء اكثر عمراناً وحسناً ، والحديدة اكثر خراباً وقبحاً ، وعدن اكثر تجارة واقل عروبة ، وجدة اكثر عتقاً ورثة ، وجيزان اشد وحشة ، والرياض اعجب قداسة ، وعنيزة بين نخوصها الذهبية اصفى جمالاً ، والهفوف اكثر غباراً وذباباً مما كنت اتصور او اظن . فما كذّبت هذه المدن ما سمعت ، ولا افسدت ما قرأت

اما بغداد فأمرها غير ذلك . قد جئت بغداد من افق كان في قديم الزمان كثير الانوار والالوان . جئتها وفي القلب أثر شديد مما لا يزال من تلك البهجة في كتب التاريخ والشعر . بل جئتها من عالم الاحلام المذهبة حواشيه بالذهب والارجوان ، وبكلمة اخرى لقد جئت بغداد من عالم « الف ليلة وليلة » . فهل يُعجب اذن لخيبتي ، وهل يُستغرب عني ؟ بيد ان تباين الحقيقة والخيال هو في يومنا هذا كما كان في الماضي ولكن الزمان يلبس الاثنين ثوباً من التقليد والتقديس ، ويرفعهما في عيون الناس الى منزلة الوحي المنزل . يحق لنا اذن ، ونحن في هذا الزمان نعرض للبحث حتى الوحي المنزل ، ان نبحث وننتقد ما يجيئنا به التاريخ قبل ان نقبله معتقدين معجبين ، او نرفضهُ مستنكرين

وليس هذا بالامر السهل . فمن ذا الذي يستطيع ان يجيب مثلاً على هذا السؤال : اين تنتهي الحقيقة في عهد العباسيين الذهبي ، واين يبدأ الخيال ؟ اني اسأل سؤالاً آخر . ولكني اقول قبل ذلك اني اصدق فرضاً كل ما قاله المؤرخون والرواة في ذلك العصر الذهبي . ثم اسأل : هل كانت

اسباب تلك المدنية منتشرة شاملة ؟ هل كانت بغداد كلها ، او هل كان جُلُّها ، على طراز ما كان من بناء وهناء للخلفاء والامراء والاعيان ؟ وبكلمة أخص : هل كانت الطرائف مثلاً واحدة في المدينة ، وهل كانت عامة ، على انواعها ، كما هي في هذا الزمان ؟

وما هي الحقيقة في عصر هرون الرشيد ؟ وما هي الحقيقة في بغداد هرون ؟ هل نكر ما جاء بخصوصها في «الف ليلة وليلة» وفي التواريخ كثير مما في تلك الحكايات ؟ لا شك ان بغداد كانت كالقاهرة او كدمشق او كانت تفوقها في عمرانها وبهجتها . ولا شك ان الرشيد كان يفتخر بها ، ويفاجئها من حين الى حين بطرائفه وغرائبه . ولا شك ان الصيادين كانوا يغوصون بل يناصون على شاطىء دجلة ، وهم يرمون بشباكهم للأسماك . اني اصدق كل ذلك لانهُ الحقيقة بعينها حتى في هذا الزمان . فهناك بغداد تزين البلاد ، وهناك مليك مثل هرون من صميم العرب ، وله مثل ذلك العباسي رغبة في التنكر فراراً من أبهة الملك ، وحبًّا باستطلاع اخبار الرعية . وهناك كذلك الشعراء والصيادون

أما تلك الصلة الاخوية ، الرشيدية ، « الألفليلية » بين الملك والصياد فأنك لا تجدها . قد يكون الملك دمقراطيًّا ، وقد يكون الصياد فيلسوفاً سقراطيًّا . ولكنهما يسيران كلٌّ في سبيله ، في خطٍّ مستقيم أو معوجّ ، ولا يلتقي الخطّان حتى يجيء صاحب (احدبهُ اكذبهُ) أو صاحب الحكايات الشهرزاديات ؛ فيرى ذات يوم ظلّ الملك قريباً من ظلّ الصياد ، فيلفق القصة ، او يؤلف الاسطورة ، التي يتذبذب فيها الخطّان — الظلّان — ويدنو الواحد من الآخر ، ثم يتلامسان ، ثم يلتفان ويشتبكان ، ويتلوّنان بألوان قوس قزح ، ويكونان اشكالاً فنية ، رومنتيقية « ألفليلية » تبهر الابصار ، وتسحر ألباب الصغار والكبار . لست أنكر سحر الآيات ، وأعاجيب الحياة ؛ حتى في هذا الزمان . فالصياد البغدادي موجود كما قلت ، والملك كذلك من حقائق الوجود ، ولا يُستغرب اذا أمسى الصياد في الاحلام ، وودَّ ان يكون ملكاً من ملوك الزمان ، ولا يستغرب اذا اشتهى الملك في بعض الاحايين ، ان يكون من الصيادين . وقد تتحقق رغبة الاثنين ، فيهتف الشعراء قائلين : لا حقيقة ثابتة غير حقيقتنا . الحقيقة الشعرية فوق كل الحقائق

واني اسأل سؤالاً آخر : كم كان حظ عامة الناس من تلك المدنية العباسية الباهرة ؟ هل كان يتمتع الصياد والملاح والاسكاف والفلاح بشيء من تلك النعمة التي كانت تبسط أجنحتها الذهبية في البلاط وفي قصور البرامكة ، وفي كل مكان قريب من ظلال القصور الملكية والاميرية ؟ هل كان للسواد من الناس بعض ما للخاصة من الثروة والثقافة والسعادة ؟ هل عم بغداد ذلك الترف والتأنق في العيش ، وذلك الزهو والسرور ، وذلك المجد والعز والتهذيب ؟

لا يلزم ان نعود الى التاريخ لنجيب عن هذا السؤال . فان لدينا في الحاضر الدليل والبرهان . ان في شرقنا اليوم — في المدن التي لا تزال شرقية ، او لم تمسّ بغير القليل من مدنية الغرب في البناء وفي المرافق العامة والخاصة — ان فيها من ظلمات الأسواق ومقاذرها ، ومن ازدحام الحياة

ومرتفقاتها ، ومن النتانة والعفونة والامراض ، ما لا تجده في مدن اوربة الا في بعض أحيائها التي تدعى Slums وهي مهد الاوبئة الادبية والاجتماعية والروحية والجسدية . أما الفرق بين المدينة الغربية والمدينة الشرقية فهو ان مثل هذا الحي في الاولى جزء صغير منها ، وهو في الثانية الجزء الاكبر

وهذا الجزء الاكبر هو المدينة . أما الدور والقصور وان كانت في قلبها فليست هي منها . في الدور والقصور المرافق والاثاث والاطلاق ، وفي غيرها الفقر والقذاعة والاقذار ، والورع والاستسلام بين الاقذار . هناك أقلية تستمتع بخيرات الارض وطيبات الحياة ، وهنا السواد من الناس وهم قانعون بالنعيم المنتظر ، وبما تعدهم به الكتب المنزلة . هناك الدنيا ، وهنا الدينة

ولما كان السواد من الناس يعيشون محرومين في الدنيا تراهم شغفين اكثر من سواهم بالقصص والاساطير التي تمثل النعيم المنشود

حقيقة النعيم ، او بعض حقيقته ، للامراء والاغنياء . وحديث عنه — حكاية أو اسطورة او قصيدة — للسواد من الناس . ومع ان السينما تغزو اليوم بلاد القصص ، فيتهافت العرب عليها ليروا ويسمعوا شهرزاد هذا الزمان — الشاشة البيضاء وما وراءها من سحر النطق والتصوير — فان القصاص لا يزال مالكاً سعيداً ، وله عرشه في القهاوي . وهذا الشغف بالحكايات والآيات والمعجزات ، هذا التعظيم للخيال ، هذا التقديس للمحال ، لا يزال في الشرق من الخلال البارزة. فهو يقنع بظل الحقيقة . ويقبل متورعاً محجوباً ما يحاك من الظلال كما لو كان حقائق دينية . ثم يعلل النفس بلحم تلك الحقيقة ودمها ، بجسمها المادي . كذلك كان الشرق ، ولا يزال على الاجمال كذلك

وقد شحذت هذه المخيلة منه ، فأصبحت يعامل الوراثة شقيقة العواطف في السيطرة على نفسه — في عقائده واحكامه ، وفي آرائه واهوائه . ولا عجب اذا خضعت كلها للخيال ، واعتصمت بالمحال . فمن يستمتعون بطيبات الحياة لا يضيعون الوقت في أحاديثها . ومن يحرمونها يسترسلون في الاحلام التي تزينها المخيلة وتذهبها الاهواء . فتتمثل أمامهم ، اذ يسمعون القصاص أو يجلسون اليوم أمام الشاشة البيضاء ، صوراً مستغربة ، وصوراً خلابة . ومن هذه الصور صورة بغداد في عهد العباسيين الاول . وحسب اللبيب الاشارة الى ما يولده الشغف بالخيال ، والتلذذ بالمحال من حب المبالغة والغلو ، حتى في النظر الى حقائق التاريخ ، وحقائق الحياة اليومية . فالمؤرخ من هذا القبيل شاعر ، والشاعر مؤرخ ، والقصاص مؤرخ وشاعر معاً . بل هم ثلاثة أقانيم لشخص واحد عجيب

وكلهم مجمعون على ما كان من عظمة بغداد ومدنيتها . فقد كان فيها ، كما يقول المؤرخون ، عشرة آلاف حمام ، وثلاثون الف مسجد ! فاذا كان عدد سكان المدينة مليوني نفس ، كما جاء في التواريخ يكون لكل مائتي شخص حمام ، ولكل ستة وستين من السكان مسجد واحد . والمائتان يقيمون في ثلاثين بيتاً ، والستة والستون في عشرة بيوت . فهل يُعقل ان يكون لكل ثلاثين بيتاً حمام عمومي ولكل عشرة بيوت مسجد ؟

العربي يرى ولا يعد . وهو في التقدير ، اذا كان ما يراه كثير العدد ، يعوّل على الخيال دون العقل . وهاك المثل . اذا دخل اعرابي الى بغداد اليوم من الجهة الغربية يرى في نحبه الكرخ ، عند الجسر ، الى الجانبين ، عدداً من القهاوي . ثم يرى صفين آخرين في ناحية الرصافة كذلك عند الجسر ، بينه وبين شارع الرشيد ، واذا ما مشى في شارع الرشيد الى جامع مرجان يرى بين كل مائة متر واخرى جماعات من الناس يدخنون الارا كيل ويلعبون الطاولة والدومينو . فاذا سئل بعد ذلك ماذا رأى في بغداد يقول : القهاوي القهاوي في كل مكان . فيحدث عنه من يسمعه ويقول : ليس في بغداد غير القهاوي . فيحدث الثالث ويصفها بالمئات . فاذا سمعه المؤرخ يحدد المئات ، وقد يتجاوزها الى الالف او الالفين . . ولكن الشاعر يفضل عليها لفظة الالوف لانها في الشعر اعذب من مائة ، وابلغ من الف . وعند ما يسمع القصّاص الشاعر ، ويطلق يلفق الحكايات ، فحدث عن قهاوي بغداد ولا حرج . كذلك تجيئنا الاحصاءات وقد بلغت عشرة آلاف من الحمامات ، وثلاثين الفاً من المساجد[1] وعشرات الالوف من القهاوي . وليس في بغداد اليوم ما يتجاوز الاربعمائة قهوة ، اكثرها في الشارع الجديد ، شارع الرشيد . وليس فيها من الجوامع اكثر من خمسين ، اضف اليها ضعف هذا العدد أو ضعفيه من المساجد

ويتلي من الارقام . فسيخبري لي غداً احد أرباب التاريخ المحققين المدققين ويرمحني قائلاً : ان في بغداد خمسة وخمسين جامعاً واربعمائة وعشر قهوات . فيخبري له محقق مدقق آخر ويقول : القهاوي هي ثلاثمائة وتسعون عدًّا ، والجوامع تسعة واربعون . وتحتدم بعد ذلك المناقشة ، فيخرج من أحد القهاوي جاحظها ليعدّها . ويتبرع أحد الائمة او المؤذنين باحصاء الجوامع والمساجد

وعندئذ يتبين اننا كلنا في خطأ معيب ، وان كان الفرق ، صاعداً او نازلاً ، لا يتجاوز العشرة او العشرين . بيد ان ذلك في علم التاريخ ارتقاء يذكر . والفضل فيه لمن وجه السؤال ذات يوم الى أحد الصيادين الذي كان يطبخ السمك المسقوف على شاطىء النهر تحت القهوة ، بالقرب من جسر مرد الى جانب الكرخ . سألته : وهل تعرف كم ببغداد من القهاوي ؟ فأجاب : بقدر ما في دجلة من السمك . فقلت : وكم تظن عددها في طرف هذا الشارع ؟ فقال : كله قهاوي ، ولا يحصيها الا الله

فرحت أعدها — أحصيها — فاذا هي ، من تمثال الملك فيصل الى الجسر ، تسع قهوات لا غير

ويلي من الارقام . فقد يتعطل الفونوغراف في احدى هذه القهاوي ، فيولي « ابناء الدومينو والشيشة » وجوههم شطر قهوة اخرى ، فونوغرافها عامر ، والحانه صياحة — كردية تركية مصرية — فيغتر صاحب القهوة المعطل فونوغرافها ان يقفل بابه ، ويودع أصحابه . او قد يجيء كردي بفونوغراف جديد ، وينصبه تحت النخيل ، ويضع حوله طاولتين وديوانين من الخشب العادي

(١) عدد الجوامع التاريخية في القاهرة نحو خمسين . اضف اليها ضعف هذا العدد او ضعفيه من الجوامع الجديدة والمساجد . وفي مدينة نيويورك من الكنائس والمعابد الكبيرة ، المسيحية والاسرائيلية ، مائة وخمسون عدًّا . رجيمها الكبيرة والصغيرة لا تتجاوز الثلاثمائة

المحوّس ، فيزداد عدد هذه النهاوي أو ينقص ، قبل ان يصدر هذا الكتاب قهوة واحدة أو قهوتين

أعوذ بالخيال من الارقام . واعيذك ، أيها القارىء العزيز منها . تعال اذن نعتصم بالخيال الشعري . وعندي منه الآن ما لا ينكره العقل ، ولا ينفر منه التاريخ

هناك دجلة ، وهناك القفة فيه . تلك القفة التي صنعت بعد الطوفان في مرفأ أور الكلدانيين . وهي اليوم ، كما كانت في زمن العباسيين على الاقل ، تصنع من الخوص ، وتطلى بالقار داخلاً وخارجاً . فلو عاد الى هذا الوجود أحد نوتيي بغداد القديمة لكان يهلل للقفة : ويحمد الله انها لا تزال على شكلها الاول ، وان الف سنة لم تغير شيئاً فيها . وقد يكون النوتي البغدادي الذي يحرك مجذافها اليوم من سلالة صياد الرشيد ، وقد يكون الجد كذلك لسلالة مقبلة من الصيادين تستمر الف سنة اخرى . فيجيء رحّالة القرن الواحد والثلاثين ، ويقف فوق دجلة على جسر معلق من حديد ، فيرى القفة ، ويمر بعد ذلك على نسخة من هذا الكتاب ، فيستشهد مؤلفه على الف سنة في الاقل من عمرها

وما هذا كل ما في القفة . فبين صاحبها بمجذاف من حين الى حين ، ليخفف خط سيرها في مجرى النهر ، يبدو لك كنز آخر من الكنوز التي لا تمسها يد الفناء ، ولا تعبث بها يد التغيير . هناك ، على وجه دجلة ، في صباح يوم شمس كريمة ، ترى اللؤلؤ في نقط الماء التي تتساقط من المجذاف ، وهو يرتفع فوق الموجة ، وترى حول الموجة ، وهو يغطس فيها ، ذوب اللجين وقد تخلله الذهب الوهاج . فلو عاد الى هذا الوجود شاعر من شعراء ثينوه ، او بنت من بنات بابل ، او كاهن من كهان أور لهللوا جميعاً — لهذه الشمس الشارقة ، المقيمة على عهدها ، الثابتة في خيرها ، الناثرة على دجلة ، حتى حول مجذاف « القفاف » لؤلؤ الذكريات ، وذهب الآمال — الذكريات والآمال التي تنعشنا اليوم وتحيينا ، كما أنعشت اهل أور ، وابناء بابل وآشور

وفي هذه الأرض المنبسطة ارض العراق تجيء الشمس في الشروق والغروب لطيفة النور ، ناعمة الوهج ، لا تحمل الكنانة ، كما يصورها الشعراء ، لتطارد النجوم ، وترمي بسهامها القباب والابراج

هي شمس الأم تحضن الارض في الصباح ، وتتغلغل حبّاً وحنيناً في قلب العراق وابنائه

هي شمس الفنان ، تلمس اللازورد في قباب الجوامع ، فيستحيل ياقوتاً اصفر ، وتكسو المآذن البيض بحلل من الدمقس المعصفر

هي شمس المحسن الاعظم ، تسير فوق السطوح المسوّرة ، ولا تكشف سرها ، وتقف فوق الجفون النائمة ، فتبشرها بعودة الحياة

ساعة في الصباح من السحر المبرور

ساعة من نعيم الحرارة والنور

أيقال : اكتشف الشيء ؟

للعلّامة الأب أنستاس الكرملي

عضو مجمع اللغة العربية الملكي

١ — مقدمة البحث

كان الكُتّاب — قبل نحو مائة سنة خلت — يستعملون في كتاباتهم « اكتشف الشيء » بمعنى وجدهُ ووقف عليهِ وكان مجهولاً او خفيًّا على اغلب الناس . ثم جاء بعض حملة اليراع من ابناء وادي النيل وقالوا : هذهِ الكلمة لا وجود لها في معاجم اللغة ، فتجنبها المتفصحون ونبذوها نبذ النواة ، واذا جاءت على اسلة قلم احد الادباء ، رموه بالجهل واستعمال كلام المولدين او العوام الذين لا يعرفون من الكلام الصحيح الفصيح شيئاً مذكوراً

٢ — فصحاء الكتاب الذين استعملوها

اشتهرت هذه اللفظة « اكتشف الشيء » في القرن الماضي حتى استعملها السيد ابراهيم ابن علي الاحدب صاحب فرائد اللآل ، والشيخ يوسف الاسير والشيخ الجليل فارس الشدياق اللغوي الشهير والشيوخ ناصيف اليازجي وابناه ابراهيم وخليل والمعلم بطرس البستاني وابنه سليم وغيرهم من البستانيين ، الى كتاب آخرين لا يحصى عددهم ومن بينهم الدكتور يعقوب صرّوف ولا يزال يتخذها فريق من حضنة العلم وحملة اليراعة الفصيحة الى عهدنا هذا . وكان ابراهيم اليازجي ممّن استعملها في مجلته الضياء الى آخر سنة منها اي الى سنة وفاته . وليس الشيخ ابرهيم ممن لا يعتدُّ بكلامه ، بل هو الحجة العظمى والثبت الأكبر

والمعلم بطرس البستاني ذكرها في ديوانه (محيط المحيط) اذ يقول : « اكتشف الشيء بمعنى كشفه . ومنهُ الاكتشافات لما يكشف من الامور الطبيعية والصناعية » . ولعلك تقول : ان البستاني ليس بحجة وهو كثيراً ما أخطأ في محيطه وادخل كلماً عاميًّا واعتبره فصيحاً ووضع الفاظاً لا صحة لها ولا وجود . — قلنا : « ونحن ايضاً على رأيك . لكن اذا قال شيئاً ووافقهُ عليهِ غيره اصبح حجة . وهذه الكلمة استعملها فصحاء الكتبة في القرن الماضي ، اذن لابدَّ من استعمالها وعدها مولدة ألم تقل فصيحة »

٣ — أنكرها ائمة استعملها

وممن أنكرها المرحوم اسعد خليل داغر في كتابه (تذكرة الكاتب) فقد قال في ص ٢٦ منهُ ما هذا نصهُ : « ومما يجب على المجمع ان يوجه انتباههُ اليهِ هو [1] الكلمات الكثيرة المستعملة الآن في غير ما وضعت لهُ . وليس في كتب اللغة ما يُجوِّز استعمالها هذا ، الاَّ على ضعف وتكلف . ولكنها شاعت وذاعت حتى بين بلغاء الكتَّاب وليس من السهل ان يستبدل بها كلمات اخرى . فمنها ... الافعال « تفرج » و « تطوَّر » و « أكتشف » وغيرها » اه .

ومع انكاره هذا الفعل ووضع « كشف » في مكانه (راجع ص ١١٣) يقول في ص ٢٣ : ... « وما يجدّ كل يوم من المكتشفات والمخترعات اه »

٤ — ما وضع في مكان اكتشف

لما اطلع بعضهم على انكار استعمال « اكتشف » لعدم وجوده في دواوين اللغة ، اتخذوا في مكانه « استكشف » وهذه لاتؤدي ابداً معنى اختها . فمعنى « استكشف » طلب او سأل ان يكشف لهُ عنهُ . فأين هذا من ذاك ، ولهذا اصاب صاحب تذكرة الكاتب في قوله : « ويستعملون استكشف بمعنى كشف فيقولون : « يتصرفون في استكشافها والكلام [2] عن الآثار المصرية والصواب كشفها » اه .

لكننا نقول ان كشف واستكشف لايحويان معنى اكتشف ولا يؤديان معناه الاَّ ببعض تكلُّف . اذ في معنى الاكتشاف شيء لايرى في اخويه . فالاكتشاف يكون من بعد ان يزاول الباحث كشف المخفيّ عنهُ ، فيبلغهُ بعد العناء والمعالجة . وهذا سرُّ استعمال الكتبة لهُ وعدم اكتفائهم بالفعلين السابقين . فقد خصَّصوا « الكشف » بالأمور المادية المرئية و « اكتشف » بالامور العلمية والطبيعية والصناعية

---

(١) قوله « هو » بعد ان قال : ومما يجب على المجمع ... هو الكلمات الكثيرة ، زائد لا محل لها هنا والافصح حذفها كما لا يخفى

(٢) قوله « والكلام عن الآثار » غير فصيح ، لانه يقال : تكلم عن فلان أو عن كذا ، اذا كان وكيلا « عنه » أو مدافعاً « عنه » أما اذا كان الكلام بمعنى مجرد القول فيقال : « والكلام على . . . » أو « والكلام في ... » ونحن نذكر شواهد على كل من هذه الاستعمالات الثلاثة . قال الجاحظ (في الفصول المختارة في حاشية الكامل للمبرد ١ : ١٩٥) : « الذين لا يتكلمون عن الكتب المدونة » — وقال ابن النديم الوراق في كتابه الفهرست (ص ٧ من طبعة الافرنج) : « فتكلم عن رسومه وقوانينه » اه — وقال في تاج العروس في مادة (س ل ع) : « ثم رأيت العلامة الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي قد تكلم على البيت الذي انشده الجوهري » وشواهد تكلم فيه ما جاء في لسان العرب في مادة (ك ل م) : « وكأن الكلام في هذا الاتباع انما هو محمول على القول

وشواهد تكلم عنه ما ورد في صحاح الجوهري ومثله في كتاب العين لليث : « عبرت عن فلان تكلمت عنه » . وفي المصباح : « ذبه عن القوم : اذا تكلم عنهم ودفع » — وفي التاج : « مدره القوم . . . المتكلم عنهم » الى غير هذه الشواهد وهي لا تكاد تحصى لتدفق سيلها

٥ — رأي اللغوي فارس الشدياق في تأويل اكتشف

لاحظ الكتّاب منذ بدء استعمالهم « اكتشف » ان فيها بعض التأويل . قال صاحب الجاسوس على القاموس ص ٦١٩ : « اكتشفت زوجها بالغت في التكشف له . وعندي ان المفعول هنا محذوف تقديره : « نفسها » وان الزوج مثال . وهذا الحرف ليس في الصحاح ولا التهذيب ولا المحكم » اه كلام الفارس اللغوي

وانا ازيد على ذلك ان صاحب الجاسوس مصيب في قوله . والدليل ان اكتشف ورد هنا للتمثيل والتنظير لا غير ، اذ قد ورد مستعملاً لغير النساء . قال الطبري في تاريخه الكبير (١ : ١٣١٦ من طبعة اوربة) ما هذا نقلهُ بحروفهِ في حوادث السنة الثانية للهجرة (فتكون الكلمة معروفة في عهد الجاهلية وليست خاصة بالنساء) : « فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرّخ . واعمراه ! واعمراه ! لخميت الحرب ... »

وكان الاقدمون من السلف يفعلون مثل ذلك في المصيبة العظمى او لبثّ التحمس في صدور الشهود . وراجع في كتب اللغة المطولة معنى شمّر به ، وتجزيء بالاشارة اليه عن ايراد النصوص حُبًّا للاختصار

اذن اصاب فارس الشدياق في اعتبار اكتشف من الافعال المتعدية بعد حذف المفعول به . ولاسيما انهُ ادخلهُ في احصاء امثلة « انتعل » المتعدي

٦ — رأي الشيخ عبد القادر المغربي

كان الامير شكيب ارسلان استفتى الاستاذ المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي التي تنشر في دمشق في سنتها ١٣ : ١٤٠ في الفعل اكتشف اذ قال (ص ١٣٩) : « يا أخي ، لفظة (اكتشف) لا توجد في كتب اللغة ، فرأيتها انت في مكان ؟ ومثلها ... » فأجاب الاستاذ الكبير المغربي بقوله (ص ١٤٠) ما هذا نصابهُ بحروفهِ :

« (اكتشف — جاء في كتب اللغة ان للاكتشاف معنى غير المعنى الذي يستعملهُ فيهِ الكتّاب المعاصرون . فالاكتشاف في اللغة ان تبالغ المرأة في الكشف عن نفسها في خلوتها مع زوجها . فهو فعل لازم . اما اكتشف في استعمالنا اليوم فتعدٍّ . تقول : اكتشف كولمبوس بلاد اميركا سنة كذا . واكتشف المخترع الفلاني البارود سنة كذا . واذا اعتبرنا لفظ (المرأة) في تفسير الاكتشاف قيداً غير لازم ، بل كما يقال : اكتشفت المرأة زوجها ، تقول : اكتشف الرجل للغوص في النهر ، واكتشف المريض للطبيب على معنى انهما بالغا في حسر ثيابهما . وفي هذا الحسر ظهور ما كان خافياً — اذا اعتبرنا هذا كان قولنا اليوم (اكتشف) صحيحاً فصيحاً بشرط ان نستعمله لازماً قاصراً على فاعله ،

فنقول : (اكتشف البارود سنة كذا) برفع بارود على الفاعلية ، اي ان البارود ظهر سرّاً للناس تمام الظهور بعد ان كان خافياً . وكذا (اكتشفت بلاد اميركا) و(اكتشف سرّ المسألة) وهكذا ولكن لا نظن ان الناس اليوم يقدرون على هذا الاستعمال بعد ان فشا على لسانهم استعمال (اكتشف) متعدّياً . وعلى هذا يكون فعل اكتشف المتعدّي (مولّداً) ، هدي اليهِ المعاصرون بنابل من ذوقهم . فهو مثل (تفرج) و(تنزه) و(اختار) و(خابر) وكلها من الصنف الرابع (من الاصناف السبعة للكلمات غير القاموسية) وهذا الصنف اقتى بجواز استعماله خمسة عشر عضواً من اعضاء المجمع وانكر جوازهُ ثلاثة منهم . راجع مجلة المجمع (مجلد ١٢ ص ٥٣٠) فالفتوى اذن على استعمال فعل الاكتشاف » . الى هنا كلام الاستاذ المغربي

وزاد على ما تقدم ما يأتي وهو نتيجة البحث (في ص ١٤٦) : « (اكتشف) كلمة مولدة يجوز استعمالها عملاً برأي خمسة عشر من علماء اللغة والادب المعاصرين » اه كل ما ورد في هذا المعنى في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية

٧ — انا والدكتور يعقوب صرّوف

في ٢١ (حزيران) يونيو من سنة ١٩٢٥ زرت الدكتور يعقوب صرّوف في مكتب المقتطف فقال لي : ان فريقاً من الادباء وحملة الاقلام يأخذون عليّ استعمال (احترم) و(اكتشف) في مقالاتي . فقلت لهم : اني اراجع محيط المحيط من كتب اللغة لسهولة طفري بضالتي عند النشادي اياها فيهِ . والكلمتان مدونتان في هذا المعجم . وكانوا يقولون لي : محيط المحيط غير حجة في اللغة . فالكلمتان غير موجودتين في القاموس ولا في لسان العرب ولا في تاج العروس ولا اساس البلاغة الى غيرها من معاجم الاقدمين والمحدثين كالاوقيانوس ومنتهى الارب في لغة العرب الى آخر ما هنالك

ثم قال لي : وما رأيك في هاتين المفردتين ؟ . فقلت له : انهما من افصح كلام العرب ولا غبار عليهما . فقال لي : واين تريان ؟ قلت : اما (احترم) فمدوّنة في اساس البلاغة في غير مظنّتها لكن في مادة (م ل ح) قال : « الملح : الحرمة وان معناه انهُ يحترمك ما دام جالساً معك ، فاذا قام عنك رفض الحرمة » . وذكر الزمخشري ايضاً (احترم) في مقدمة كتاب الادب في ص ٢٣٩ وجاء في المصباح : الحرمة المهابة وهذه اسم من الاحترام مثل الفرقة من الافتراق » اه — وقال البوصيري :

حاشاهُ ان يحرم الراجي مكارمهُ او يرجع الجار منهُ غير محترم

وفي شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (٢ : ٢٠) «ولولا ان اباها الذي كان بيّنها يحترم ويصان لاجله» الى غير ذلك من النصوص الكثيرة

فلما رأى الدكتور صرّوف جميع هذه الشواهد قال : «حسبي شهادة الزمخشري في الاساس وهو

اعظم المحصح . ثم قال بقي علينا ان نثبت وجود «اكتشف» عند الفصحاء . فقلت له : « يا ايها الدكتور ، ايذن لي ان لا اذكرك شواهدي على ذلك الا بعد عشر سنوات ، لان كتابي سيكرونها ويقابلون على هذا الانكار ، الى ان يقوم احد اللغويين المصريين ليثبت لهم صحته اما اذا لم يجيء احد ليوضح لهم هذه الحقيقة فآتي حينئذ ببراهيني المبينة فصاحة الكلمة » . اما الآن وقد مضى على حديثي نحو تسع سنوات ودخلنا في العاشرة ، وقد انتقل الدكتور صروف الى دار البقاء فاجيء بما يؤيد صحة استعمال (اكتشف) التي لا يقوم مقامها (كشف) ولا (استكشف) ولا اي فعل كان

٨ — فصاحة اكتشف الشيء

اكتشف الشيء من افصح كلام العرب ومن اقدمه اذ هو من باب المجاز فمعنى اكتشف الشيء الهجوم على الحقيقة او على الشيء المخفي وإلقاحُهُ وانتاجُهُ وإنماؤه وبثُّهُ في العالم للانتفاع به . وهو من قول السلف : اكتشف الكبش النعجة نزا عليها » . (اه عن اللسان في آخر مادة كشف) وراجع ايضاً القاموس وتاج العروس وسائر المعاجم المطولة كالقاموس والاوقيانوس واللبوس وكتاب العين ومعيار اللغة الى غيرها

وقد قال صاحب الجاسوس لما رأى كثيرين من اللغويين يقدمون المجاز على الحقيقة مع ان المجاز من اقوى دعائم اللغة (في ص ١١ من جاسوسه) : «ومما احسبهُ من الخلل ايضاً تقديم المجاز على الحقيقة او العدول عن تفسير الالفاظ بحسب أصل وضعها ... » وقال في ص ٦٢ : « ان المصنف (أي صاحب القاموس) كثيراً ما يهمل الحقيقة ويذكر المجاز الذي لم تعرفهُ العرب ..... » اه — قلنا : لان من المجاز ما عرفهُ السلف ومنهُ ما لم تعرفهُ والشدياق يشير هنا الى هذا الاخير

وقال الزمخشري في كتابه أساس البلاغة في مادة (ا س ر) : «ومن المجاز : اسروهُ ، ويسروا ماله . وتياسرت الاهواء قلبهُ . قال ذو الرمة :

بتفريق أظعان تياسرن قلبهُ وخان العصا من عاجل البَيْن قادحُ

وهو من فصيح الكلام وعاليه وما فصّحهُ وأعلاهُ الا الاستعارة » اه

قلنا : انظر كيف انهُ قال في الاول : « ومن المجاز . . . . » ثم قال في الآخر : « وما فصحهُ وأعلاه الا الاستعارة » فاعتبر المجاز استعارة وبالعكس وذلك من باب التوسع ولأن المجاز والاستعارة من مصدر واحد . وكذلك يتوسع فيهما أبناء العرب

ونحن أيضاً نقول : ان اكتشف الشيء (والفعل متعدٍ) ما فصّحهُ وأعلاهُ الا المجاز أو الاستعارة . وبهذا القدر ما يثبت ان لغوي المائة الماضية من مسلمين ونصارى كانوا قد وقفوا على أسرار استعمال الكلمة في الاكتشافات العلمية والذين يمنعونها اليوم يختلف ذوقهم عن ذوق العرب السليم ، وعلم ربك فوق كل ذي علم

سيرة ولز بقلمه

Experiment in Autobiography by H. G. Wells.

لبعقوب فام

عند ما تقرأ احدى السير تشعر باحدى عاطفتين ، اما ان الكاتب متحيز لصاحب السيرة يحبه الحب كله ويرى انهُ من خيرة الناس جميعاً ، قد ارتقى الى الذروة برغم الاحوال التي كانت تحيط بهِ ، وبرغم النظم الاجتماعية التي كانت تقيم الصعاب في وجهه وتضطهده اضطهاداً وتنغص عليهِ عيشه

اما انك تشعر بهذا او تشعر ان الكاتب متحامل على صاحب السيرة يظن بهِ السوء ويترجم نوازع نفسه على غير ما يمكن ان تترجم بهِ ، ويرى ان تصرفاتهِ في بعض مراحل الحياة او في كثير منها تصرفات معيبة بذلك لأن فلسفة الكاتب ومنازعه النفسية ومثله الاجتماعية والسياسية قد تغاير فلسفة صاحب السيرة ومنازعهُ ومثله بحيث لو كتبت سيرة موسوليني مثلاً لرأيت العجب ، فبعض الكتاب يحمل عليهِ وبعضهم يدافع عنهُ ، وبالطبع تختلف مراتب الكتاب في الهجوم والدفاع فمنهم من يقسو كل القسوة ومنهم من يتلطف في نقده ولكنهُ ينتقد ويذم على كل حال

قرأت مؤخراً اربع تراجم ، واحدة عن ماري انطوانيت ، واثنانية عن مصطفى كمال ، والثالثة عن فورد ، والرابعة عن هـ. ج. ولز ، وهذه السير الاربع تدعم وجهة نظري التي تقدمت بها الآن ، فسيرة ماري انطوانيت عبارة عن دفاع مجيد شائق عن هذه السيدة البائسة خرجت منهُ اعطف عليها واري ان الزمن ظلمها بوضعها في المكان الذي ولدت له ، واما سيرة مصطفى كمال فهي عبارة عن اتهام للرجل بانهُ انانيٌ تمعن في الانانية منتهك مدمن السكر ، وكل ما له من الفضائل انهُ يحب تركيا باخلاص ، وهاتان السيرتان كتبهما شخصان بعيدان عن صاحبي السيرة فكنت تستطيع ان ترى ميول الكاتب ومشاعره وتلمسها

اما فورد فقد كتب السيرة بنفسه ، وليست في الواقع سيرته هو وانما هي تاريخ حياة مصانعه واغراضها ونظمها . وفي سيرة ولز التي كتبها عن نفسه لا تستطيع ان تتبين تلك المنازع الحادة العنيفة التي سبق ان ذكرناها فليست هي اتهام وتعنيف لولز لانهُ هو الذي كتبها ولا يعقل ان يكتبها ليقول للناس « انظروا يا ناس ما بلغتهُ من الرداءة والشر » وليست هي مدح على طول الخط لانهُ لا يعقل ان رجلاً متقفاً مثل ولز يكتب الفصول الطوال في مدح نفسه ، وانما هي سرد لحياته سرداً هادئاً متئداً ، بعيداً عن المنازع القوية العنيفة : لا بل هي سرد لتطور شخصيته وعقليته وكيف تدرجتا من حال الى حال من دون ان يتورط في التظاهر بالبطولة او بالتضحية

ولد هربرت جورج ولز في سنة ١٨٦٦ في هاي ستريت بروملي بمقاطعة كنت من والدين فقيرين

من طبقة الخدم الراقية ، يعني ان امه كانت رئيسة خادمات احدى القصور في يوم من الايام ، وكان ابوه صاحب متجر لفخار اسمهُ Atlas House لم يكن يدرُّ عليهم كفايتهم من القوت والكساء ، وكانت امهُ امرأة متدينة متعبدة متلهفة الاعلى المسيح اولاً ثم رسله وكتبه ثم الملكة فكتوريا « الملكة العزيزة الصغيرة » . وكانت الملكة العزيزة الصغيرة هذه على لسان امه صباح مساء ، فالملكة حضرت والملكة ذهبت والملكة عملت ، حتى اشمأزت نفس هربرت جورج ولز ونبتت في قرارات نفسه بذرة الكراهية للملكية ، والى هذا يعزو ولز نفسه تمسكه بالجمهورية ومهاجمته للملكية في جميع اطوار حياته

كانت أمه متدينة وتلح على ابنها هربرت ان يتناول بعض الجرعات الدينية ، فكانت تجعله يصلي ، ويحفظ عن ظهر قلب أصول العقائد المسيحية ، ثم ألحقت عليهِ بالمسائل الدينية الحافاً جعله يهرب بمشاعره بعيداً عن هذا العدوان . كان في الجسم جالساً أمامها يستمع لها تصب على رأسه هذه العقائد صبًّا وكان من نتيجة هذا أيضاً أنهُ بعيد عن الاديان والعقائد بعداً كبيراً

كان يرى أمه تجاهد جهاد الأبطال في تدبير الشؤون المادية للمنزل ، من دون ان يكون لهذا الجهاد ، الأثر المادي المحسوس ، ثم كانت تصلي لالهها حتى ييسر أحوال المعيشة لهم ولم يكن الله يستمع لهذا الدعاء ، وكان ولز يسجل هذا في ثنايا عقله تسجيلاً لحساب الله عليهِ حساباً عسيراً عند ما يبلغ أشده ، ولكن الحرارة الدينية فترت نوعاً في والدته عند ما شاء الله ان يأخذ أختاً لولز ، وسجل ولز في نفسه هذا الفتور عند والدته دون ان يتحدث بهِ

ثم كسرت ساق هربرت جورج ولز وهو ابن بضع طفل . وكانت هذه الحادثة بدء حياة ولز الفكرية وهو يشكر طالعهُ أن كسرت ساقه ، (وقد يكون لامه رأي بخلاف هذا) فقد تمدد على كرسي طويل يدفعونه من مكان لمكان وهو منبسط عليهِ لا يتحرك ، وقضى أياماً طوالاً على هذه الحالة بعيداً عن الحركة والنشاط البدني ، فكان أبوه يحضر له الكتب من مكتبة البلدية ليقرأ قتلاً للوقت . ولم يكن الوالد يدري بالطبع ما هو فاعل ، اذ أنهُ في الواقع قد وضع الاسس التي سوف تبنى عليها حياة رجل من أعظم مفكري العالم ، كان من نتيجة هذه المطالعات البسيطة ان أخذت نفسيته تتجه الى المعرفة والى الكتب وصار يشعر ان خير ما تستطيبه نفسه هو ان يقرأ من غير انقطاع ، ونشأت بينهُ وبين الكتب صلة قوية نمت بنموه واتسعت باتساع عقله

وفي دور آخر من أدوار حياته تهشمت احدى كليتيه وهو يلعب بالكرة . ثم أصيب بذات الرئة فعكف على كتبه وانزوى في سريره . وولز شاكر لهذين الحادثين لانهما أوجدا الصلة بينه وبين الكتب تلك الصلة التي وضعته حيث هو الآن في المقام الاول من المفكرين

كان فقيراً جدًّا ، وكانت أمه ككل أم حريصة متكبرة تمنعهُ ان يخلع سترته أمام الصبيان في المدرسة لئلا تنكشف تحتها الملابس الداخلية المهلهلة المرقعة . كانت هذه الملابس الداخلية نظيفة حقًّا ولكن احترام النفس يقتضي عدم اظهار الناس عليها

لا يمكن ان تمرّ كل هذه التقديرات العقلية والاسرار النفسية دون ان تترك اثرها في الطفل. فأقل ما فيها انها لا تترك الطفل على سجيته ، فلا يشعر معها بالحرية والانطلاق والبراءة في الدوافع والنزاعات النفسية ، لان من عناصر هذه الحالة ان الطفل يحيا حياتين احداهما لنفسه ولامه وأبيه والاخرى للدنيا الموضوعية ، للناس وللاوضاع الاجتماعية . هناك ناحية من حياته يخجل ان تظهر للناس على طالتها دون مداراة او مداورة . ثم عند ما يتريب الناس في تصرفاته لا يستطيع ان يتقدم بالاسباب الاصلية لهذه التصرفات ، فيضطر ان يداري ويداور ويتخابث ، او يعرض نفسه لشك والريبة . لست أنكر ان كلاً منا يحيا حياتين احداهما خاصة والاخرى عامة ، ولكن الاحوال التي تضطر طفلاً في الخامسة الى العاشرة ان يعيش على هذا الوضع ، احوال قاسية على نفسية الطفل لا بدّ ان تترك أثرها المستديم في حياته الروحية والعقلية والعاطفية

عجزت عائلة هربرت جورج ولز عن ان تقوم بمطاليه المدرسية ، واضطرت لاستغلاله اقتصادياً ليعين العائلة في كفاحها للحياة والعيش . فأدخلتهُ أمه صبيًّا في متجر للأقمشة ، لينظف الدكان ، ويرتب البضاعة ويناولها للبائعين لعرضها على الزبائن ، فحاول جهده ان يوطن نفسه على هذه الحياة ولكنها حياة لا ترقى أمثال الصبي هربرت ، انهُ يفكر ويغرم بالكتب والمطالعة ويكره هذه الحياة التي اضطرَّ اليها اضطراراً ، فينشب نزاع حاد في نفسه لا قبل له بتسكين نفسه أو بترويضها على الخضوع لنوع الحياة الذي وجد فيه ، فيهرب ويذهب الى المدرسة ، ويكافح ويشتغل ليلا ونهاراً وتواتيه الظروف فينجح

قلت في مقدمة هذا الكلام ان ولز لا يدافع عن نفسه ولا هو معنيٌّ باظهار نواحي العظمة في نفسه ، وانما هو يسرد الاطوار العقلية والنفسية التي مرَّ فيها ويترك للقارىء ان يخرج بالنتيجة التي تروقهُ ، ومن المسائل التي تناولها دون تعليق لتبرير نفسه او تعنيفها ، مسألة طلاقه من زوجته الاولى ، ابنة خاله . معروفه للجميع الآن ان ولز من المتطرفين في التفكير وبخاصة في العلاقات الجنسية كما يتبين من كتاباته الكثيرة ، ولقد اتهم بالاباحية في الاخلاق وهوجم في نيَّاته واغراضه ، وكان منطق الحوادث مما يعين مهاجميه وناقديه ، ذلك لأنه ترك زوجته والتصق بامرأة أخرى وعاش معها بعيداً عن زوجته في منزل مستقل ، ولا يلام انسان بالطبع يزعم ان ولز اباحي لأن الحوادث شاهد على هذا الزعم

انسان يدافع عن الحرية الجنسية ، ويدعو الناس الى التحرر من قيود الاجتماع في الشؤون العائلية وفي نفس الوقت يترك امرأته ليلتصق باحدى الطالبات اللائي كنَّ يدرسن عليهِ في المدرسة — يصعب على الناس الآ يتهموه في نيَّاته واغراضه ، والناس يحكمون بالظواهر وبالتصرفات الواقعية ويستقرئون النيَّات والاغراض من السلوك . حقًّا ان هذا الاستقراء خطأ ، وان الصواب ان تستقرأ التصرفات من النيَّات والدوافع النفسية ، ولكن هذه تخفى على الجماهير في معظم الحالات او في كلها ،

ولا تظهر الا للسكولوجيين الباحثين واذن فمكانة التهم التي تكال لولز اسس تقوم عليها في مسطق عامة الناس ، وكان ولز اباحيًّا هدامًا للاخلاق والفضائل ولولا ان الانكليز متعصبون لحرية الرأي يقدسونها من قديم لما نجا ولز من السجن والتشريد

الواقع ان هربرت جورج ولز لم يكن اباحيًّا ثائراً على الاخلاق والفضائل ، لم يزعم هو ذلك لانهُ لم يكن بسبيل الدفاع عن نفسه ، وانما يقوله كل من يقرأ سيرة حياته دون تعنت او تزمت . ترك ولز زوجته الاولى والتصق بامرأة اخرى ، ثم جيء به الى القضاء وتطلق من زوجته الاولى ، ومع ذلك فقد احاطها بعنايته كل حياتها وقام بجميع مطاليبها ، وابنى لها بيتاً بعد ان تزوجت من غيره ، ثم تكفل بها بعد وفاة زوجها ، ثم تزوج خليلته حالما اصبح حرًّا طليقاً وعاش معها على اتم وفاق وانجب منها اولاداً احدهما الاستاذ ولز استاذ علم الاحياء Biology ومعينه في انتاج بعض اعماله العلمية الكبيرة

سرد ولز هذه الوقائع سرداً بسيطاً دون تعليق او تعقيب ودون ان يدفع عن نفسه شيئاً من التهم التي تكال له بالحق وبالباطل ، لا بل لم يسردها بالتفصيل لانهُ خشي على ما يظهر ان يفيض فيها فيودي بالمسحة العلمية لكتابه وانما ترك للقارىء حريته فيقرأ السطور ويخرج بالنتيجة التي تروقهُ ، دون ايحاء او تأثير ، ودون ان يهتم بتأثيم نفسه او بتبرئتها مما لحقها . فلمن شاء ان يتهمهُ بالاباحية ولمن شاء ان يبرئه منها وولز في الحالين قانع راض . ومن يقرأ سيرة ولز يلاحظ ظاهرة غريبة ، وهي ان كل كتاباته الادبية مؤسسة على قطع من اختباراته في الحياة ، فكان عند ما يعرف شخصية ما ينقلها من الحياة الى الادب في قصة يحوك اطرافها في خياله يدعو فيها الى نوع من الفلسفة التي يدعو اليها في حياته الواقعية ، وبعبارة اخرى كان يأخذ شخصياته من الحياة ويضع على السنتها فلسفته في الاقتصاد والاجتماع ثم يطلقها تبشر برأيه بين جمهور القراء ، فهو لا يعنى بتزويق اللفظ ، او حبك الجمل . لم يكن يعنى بالقالب الادبي او بالمقاييس الادبية في كتاباته وانما يحرص على ان يكون علميًّا في اعماله الادبية ، فهو علمي النزعة بعيد عن الفن الخالص كما يفهمهُ ارباب الفن ، فقد تخيل الطيارات والسفر بها قبل ان تخترع ، وتخيل الدبابات وعاش الى ان رآها تعمل مع الجيوش في الحرب العظمى ، ثم كتب عن القمر وعن المريخ وعن الارض بعد الوف السنين ، كل هذا كتبهُ بطريقة علمية في قالب القصص

وفي هذه السيرة أيضاً تقرأ رأي ولز في طائفة كبيرة من الادباء والعلماء ورجال السياسة الذين عاصروه ، تقرأ عن لنين وستالين وروزفلت وجراي وبلفور ومكسيم جوركي وكبلنج وشو ورسل ، وهو جري في التحدث عن هؤلاء ، لا يداريهم ولا يتملقهم ، ولا يحمل عليهم من غير ضرورة أو مسوّغ ، وانما هو يسرد شئونه معهم في هدوء ووقار ، وتخرج أنت من هذا السرد برأي في كل منهم

بالطبع لا أستطيع ان ألخص سيرة ولز ولا أظن أن أحداً يستطيع ذلك وانما كل ما يمكن أن يضطلع به انسان هو أن يستعرض بعض نواحي هذه السيرة كما استعرضتها أنا ، ثم يعلق عليها كما علقت ولا يغني هذا عن قراءة سيرته أي غناء

مسجد المنصور ببغداد

بقلم جناب الكبتن كرسوين استاذ العمارة الاسلامية بالجامعة المصرية
نقله الى العربية السيد محمد رجب بوزارة المعارف

﴿ وصف المسجد ﴾ ليس لدينا وصف لهذا المسجد الا ما ورد في كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي [1] وقد جاء فيه : —

« كان ابو جعفر المنصور جعل المسجد الجامع بالمدينة ملاصقاً قصره المعروف بقصر الذهب وهو الصحن العتيق . وبناه بالبن والطين ومساحته على ما أخبرنا محمد بن علي الوراق واحمد بن علي المحتسب قالا اخبرنا محمد بن جعفر النحوي اخبرنا الحسن بن محمد النكوني اخبرنا محمد بن خلف قال وكانت مساحة قصر المنصور اربعمائة ذراع في اربعمائة ذراع ومساحة المسجد الاول مائتين في مائتين واساطين الخشب في المسجد يعني كل اسطوانة قطعتين [2] معقبتين بالعقب [3] والغراء وضبات الحديد الاخماساً وستاً عند المنارة فإن في كل اسطوانة قطعاً ملفقة مدورة من خشب الاساطين [4] . قال محمد بن خلف قال بن الاعرابي تحتاج القبلة الى ان تحرف الى باب البصرة قليلا وان قبلة الرصافة اصوب منها [5] . فلم يزل المسجد الجامع [6] بالمدينة على حاله الى وقت هرون الرشيد فأمر هرون بنقضه

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي طبعة Salmon القسم العربي ص ٥٩ — ٦١ وترجمته الفرنسية لسالمون ص ١٤٥—٧ وترجمته الالمانية طرتسفلد في كتاب البعثة الاثرية ج ٢ ص ١٣٥ — ٧ و Streck ص ٦٣ — ٤ وبغداد تأليف لسترنج Le Strenge ص ٣٣—٧

(٢) يرى هرتسفلد ان معنى قوله (قطعتين معقبتين بالعقب) ان القطعتين متصلتان احداهما بالاخرى من طرفيهما اي ان العمود كان يتكون من قطعتين احداهما فوق الاخرى . وهناك امثلة لذلك في الاعمدة الرخامية بسر من رأى فان كلا منها يتكون من ثلاث قطع

(٣) فسر لين Lane قوله بالعقب بأنه الاوتار العضلية التي تصنع منها اوتار الاقواس

(٤) حذف ستريك Streck (ص ٦٣) هذه العبارة الغامضة . وفسرها لسترنج Le Strange في كتابه بغداد ص ٣٤ بقوله « كانت اكثر الاعمدة مكونة من قطعتين او اكثر من الخشب متصلتين احداهما بالاخرى من طرفيهما بالغراءوضبات الحديد الاخماسة او ستة اعمدة وهي التي كانت قريبة من المئذنة فان كلا منها كان يتكون من جذع واحد من جذوع الشجر وكانت جميع الاعمدة تلوها تيجان مستديرة من الخشب » . ويقول هرتسفلد ان الفرق بين الاعمدة التي كانت عند المنارة والاعمدة الاخرى هي ان الاولى كانت تتكون من قطعة واحدة من الخشب بينما يتكون كل عمود من الاعمدة الاخرى من قطعتين » . وان قوله (في كل اسطوانة قطعاً ملفقة مدورة من خشب الاساطين) هو وصف الاعمدة جميعها . وانه يفهم من قوله « ملفقة الخ » انه يريد تاج العمود . وان هذه التيجان كانت مكونة من عدة قطع متصلة بعضها ببعض كما يشاهد ذلك الآن في التيجان الخشبية الحديثة ببلاد ما بين النهرين وفارس

(٥) انظر أيضاً الطبري جزء ٣ ص ٣٢٢ والمقدسي ص ١٢١ سطر ٧ ، وجاء في ابن الاثير جزء ٥ ص ٤٣٩ سطر ٧ — ١٠ ان انحراف القبلة نشأ من بناء المسجد ملاصقاً للقصر بعد ان تم بناء القصر « وكان القصر غير مستقيم على القبلة »

(٦) البناء الذي خط مسجد المنصور هو الحجاج بن ارطاة . راجع الطبري جزء ٣ ص ٣٢١ ومعجم ياقوت جزء اول ص ٦٨١ سطر ١١ وابن الاثير جزء ٥ ص ٤٣٩ سطر ٧

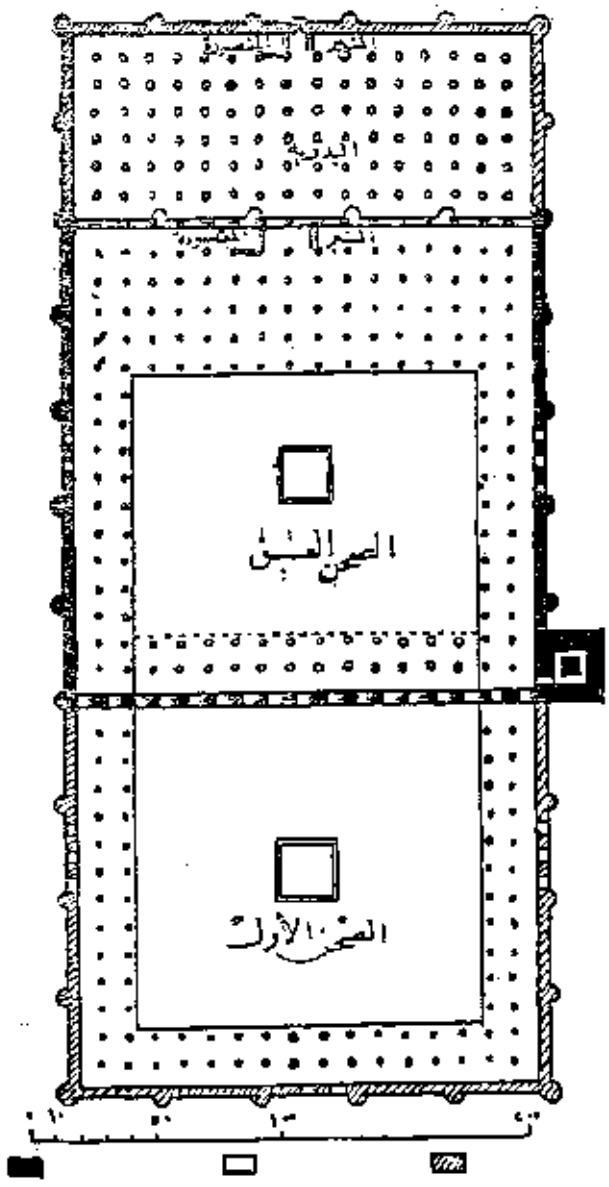

شكل (١٢)

مسجد المنصور سيفاد
بسم الرشيد

العهد الثالث - من بناء العهد الأول : العهدان الأول والثاني
المنشأ وبدء ٦٨٤ هـ - وأدخل في العهد الثالث : المنصور ١٦٩ ، هرون الرشيد ١٩٤ هـ

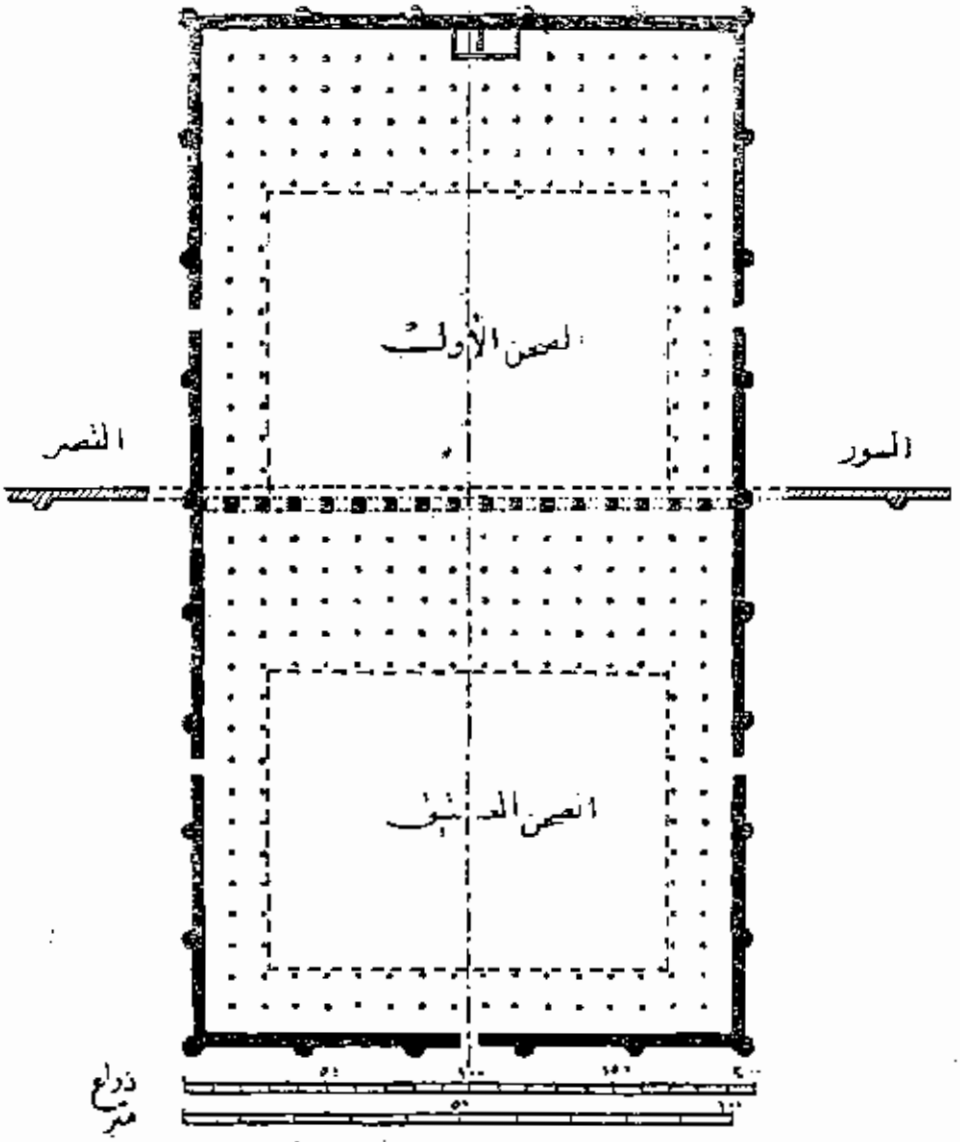

شكل (٩٦)

مسجد المنصور ببغداد
رسم جانب الكتن كرسويل

واعادة بنائه بالآجر والجص ففعل ذلك وكتب عليه اسم الرشيد وذكر امره ببنائه وتسمية البنّاء والنجّار[٧] وتاريخ ذلك . وهو ظاهر على الجدار خارج المسجد مما يلي باب خراسان الى وقتنا هذا . انبأنا ابراهيم بن مخلد اخبرنا اسماعيل الخطبي قال وهدم مسجد ابي جعفر المنصور وزيد في نواحيه وجدد بناؤه واحكم وكان الابتداء به في سنة ثنتين وتسعين والفراغ منهُ في سنة ثلاث وتسعين . فكانت الصلاة في الصحن العتيق الذي هو الجامع حتى زيد فيه الدار المعروفة بالقطان وكانت قديماً ديواناً للمنصور فأمر مفلح التركي ببنائها على يد صاحبه القطان فنسبت اليه وجعلت مصلى للناس وذلك في سنة ستين او احدى وستين ومائتين ثم زاد المعتضد بالله الصحن الاول وهو قصر المنصور ووصله بالجامع وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقاً منها الى الصحن ثلاثة عشر والى الاروقة اربعة . وحوّل المنبر والمحراب والمقصورة الى المسجد الجديد . انبأنا ابراهيم بن مخلد اخبرنا اسماعيل بن علي قال واخبر امير المؤمنين المعتضد بالله بضيق المسجد الجامع بالجانب الغربي من مدينة السلام في مدينة المنصور وان الناس يضطرهم الضيق الى ان يصلوا في المواضع التي لايجوز في مثلها الصلاة فأمر بالزيادة فيه من قصر امير المؤمنين المنصور فبني مسجد على مثال المسجد الاول في مقداره او نحوه ثم فتح في صدر المسجد العتيق ووصل به فاتسع به الناس وكان الفراغ من بنائه والصلاة فيه في سنة ثمانين ومائتين. قال الخطيب الحافظ وزاد بدر مولى المعتضد من قصر المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية في ذلك الوقت »

يستخلص مما رواه الخطيب انهُ كانت هناك ثلاثة عهود في تاريخ بناء هذا المسجد

١ — البناء الاول في عهد المنصور ١٤٩ هـ (٧٦٦ م)

وكان مربعاً طول كل ضلع من اضلاعه ٢٠٠ ذراع (وذلك يساوي ١٠٣٩٦٠ متر باعتبار ان طول الذراع = ٥١٩٨ سم) . وكان مبنيًّا باللبن والطين وعمده من الخشب، يتكوّن كل عمود منها من جذعين متصلين احدهما بالآخر من طرفيهما . وكان سقفه من خشب الساج (كما روى ذلك ابن رسته[٨]) مستوياً ومرتكزاً على هذه العمد الخشبية مباشرة

٢ — البناء الثاني في عهد هرون الرشيد ١٩٢ — ٣ هـ (٨٠٨—٩ م)

وكان يشبه الاول ويساويه في ابعاده مبنيًّا بالآجر والجص وبه كتابة في الجانب الشمالي الشرقي منهُ . وكانت نواة هذا البناء هي الصحن العتيق (الذي هو الجامع)

٣ — وبعد عودة الخلفاء من سرّ من رأى سنة ٨٩٢ م اصبح المسجد يضيق بالمصلين حتى

(٧) يلاحظ هرتسفلد — ص ١٣٦ من كتاب البعثة الاثرية — ان الجدران المحيطة بالمسجد وحدها هي التي أعيد بناؤها بالطوب والمونة وان الاعمدة الخشبية بقيت او استبدل عنها بغيرها من مثيلاتها كما يتضح ذلك من ذكر النجار على مدخل المسجد . ونحن نرى ان ذكر النجار وتسميته لا يستنتج منه حتماً ما استنتجه منه هرتسفلد لان النجار قد احتيج اليه على كل حال في عمل السقف كما انه من المحتمل ان المسجد الجديد كالمسجد القديم كانت أعمدته من الخشب

(٨) ابن رسته ص ١٠٩ سطر ٣ و ٤ يصف ابن رسته هذا المسجد بقوله « انه بني بالآجر والجص ورصع في اساطين الساج وسقف بالساج المرصع باللازورد »

لقد كانت مساحة مسجد سر من رأى أكثر من اربعة امثال مساحته(٩) فاخذ الناس يبنون في بناء مجاور المسجد . لذلك أمر المعتضد بتوسيع المسجد وازيادة فيه (في سنة ٢٨٠ هـ و٨٩٣ م) فبنى على جزء من ارض قصر المنصور المتهدم مسجد ثان ملاصق لصدر المسجد العتيق على منوال المسجد الاول في مقداره او نحوه وسمى صحنه بالصحن الاول تمييزاً له عن صحن المسجد العتيق

أما الجدار الذي كان يفصل المسجدين فقد هدمت منهُ اجزاء فتحت فيها طاقات توصل بين المسجدين . وقد اشار الى ذلك هرتسفلد نقلاً عن المقدسي — الذي كتب بعد ذلك العهد بقرن — فقد روى المقدسي عن مسجد مدينة فسا بمقاطعة فارس « ان له صحنين كمسجد مدينة السلام بينهما سقيفة » . اما المحراب القديم والمنبر والمقصورة فقد نقلت جميعاً الى المسجد الجديد

ويرى هرتسفلد «ان الصحن الجديد ليس وحده الذي اضيف الى المسجد بل اضيفت اليهِ ايضاً في الوقت نفسه دار القطان التي كانت قد اتخذت مصلى من ٢٦٠ او ٢٦١ . ولذلك لا يمكننا ان نعرف بالدقة مقدار المساحة التي ضيفت »

واضافة دار القطان التي يقول بها هرتسفلد . لم يرد ذكرها في جميع المراجع التي اشارت الى هذا المسجد . وسنرى عند مناقشتنا هذا الرأي استحالة التسليم بهِ

ونظرية هرتسفلد في تصميم بناء هذا المسجد هي كما يلي : —

ان فتح سبعة عشر طاقاً في الحائط الذي كان يفصل بين المسجدين — ثلاثة عشر منها الى الصحن واربعة الى الاروقة الجانبية — يدل على ان المسجد القديم لا بد كان يحتوي على سبعة عشر رواقاً من اليسار الى اليمين . وان الاروقة الجانبية كانت اربعة بكل جانب رواقان . وهذا يساعدنا على امكان تصميم هذا البناء وتقسيم الـ ٢٠٠ ذراع وهي طول ضلع المسجد كما يأتي : —

جدران وابراج مستديرة ٢	١٥ = ٢ × ٧٫٥
١٧ مسافة بين الاعمدة كل منها ٩ اذرع	١٥٣ = ٩ × ١٧
١٦ عموداً كل منها ذراعان	٣٢ = ٢ × ١٦
الجملة	٢٠٠ ذراع

غير أن عدد أروقة الايوان الكبير بالمسجد يبقى مجهولاً . ولكن نظراً لان الايوانين الجانبين يحتوي كل منهما على رواقين فلا يمكن ان تقلَّ اروقة الايوان الكبير عن اربعة . ويرى هرتسفلد أنها لا بد كانت خمسة كمسجد الكرفة الذي كان هو الآخر مربعاً . ولان النسبة ١٧ : ٥ توجد ايضاً بمسجد ابن طولون بمصر

(٩) كانت مساحة مسجد سر من رأى ٢٥٠ × ١٦٧ = ٤١٧٥٠ متر مربع بينما مساحة مسجد بغداد ١٠٣٩٦ × ١٠٣٩٦ = ١٠٧٢٣٣ متر مربع أي ان مسجد سر من رأى قدر مسجد بغداد اربع مرات وقد ذكر هرتسفلد (في الجزء الثاني ص ١٣٧) سهواً ان مساحة المسجد الاول قدر مساحة المسجد الثاني ٢٥ مرة والحقيقة أنها اربعة فقط

ويقول هرتسفلد « أما عن ازالة الاروقة الشمالية الغربية فأمر لا يزال قيد البحث . فالخطيب يروي في تاريخه ان ثلاثة عشر طاقاً فتحت الى صحن المسجد وهذا يفهم منه ان الاروقة قد ازيلت. الا ان وجود السقيفة التي يشير اليها المقدسي بين صحني مسجد فسا يجعلنا نرفض هذا الرأي وخاصة لان المقدسي قد ذكر الشبه بين مسجد فسا ومسجد المنصور في نفس العبارة »

وعلى ذلك فقد رسم هرتسفلد هذا المسجد وما ادخل عليه من التعديلات كما هو موضح بشكل (١) وتتلخص نظريته في ان المسجد بني ملاصقاً لجانب الجنوبي الغربي من سور القصر وان الجزء الذي اضيف اليه وهو الصحن الاول قد اضيف الى صدر المسجد وهو يريد بالصدر الجانب الشمالي الشرقي — وان سبعة عشر طاقاً فتحت في الحائط لايصال المسجدين احدهما بالآخر وان دار القطان اضيفت في الوقت نفسه الى المسجد من ناحية القبلة وان سبعة عشر طاقاً اخرى فتحت في حائط القبلة لايصال دار القطان بالمسجد والى هذه الزيادة الاخيرة نقل المحراب والمقصورة والمنبر

ورسم هرتسفلد المسجد الاول متسع الا في نقطة واحدة مثيرة للدهشة هي ان جدار القبلة بالمسجد ليس ملاصقاً للقصر لتمكين الخليفة من الذهاب من القصر الى المقصورة « بعد مباشرة والدخول من الباب الذي كان يوجد عادةً في جدار القبلة كما كان ذلك متبعاً منذ القرون الاولى للاسلام [١٠] وهذه الملاحظة وان كانت بالطبع لا تكفي لتسويغ رفض رسم هرتسفلد ولكنها على كل حال تدعو الى الشك فيه

على اننا اذا عالجنا الموضوع بدقة فاننا نجد عيوباً أخرى في هذا الرسم . فان دار القطان التي كانت من الاماكن التي لا تجوز في مثلها الصلاة . والتي وسع المسجد وزيد فيه تجنباً للصلاة فيها قد اضافها هرتسفلد في رسمه الى المسجد . ومن الواضح ان ذلك استلزم فتح صفين من الطاقات في جداري المسجد العتيق كل منهما سبعة عشر طاقاً يصل اولهما بينه وبين الصحن الاول وثانيهما بينه وبين دار القطان . مع ان الخطيب قد ذكر ان الذي فتح هو صف واحد فقط من هذه الطاقات . ويتضح من الرسم ايضاً (شكل ١) ان المحراب والمنبر والمقصورة قد نقلت الى دار القطان بينما يروي الخطيب انها نقلت الى المسجد الجديد . فاذا كانت دار القطان قد اضيفت فعلاً الى المسجد (وابيحت الصلاة فيها) فلماذا اذن اضيفت الزيادة الاخرى الى المسجد في الوقت نفسه ؟ لاشك انهُ من المتعذر تعليل ذلك

على اننا لانجد مطلقاً في جميع المراجع التي لدينا اية اشارة الى أنَّ دار القطان قد اضيفت فعلاً الى المسجد بل ان الغرض من الزيادة في المسجد انما كان للاستغناء عنها . اذن فلماذا أضافها هرتسفلد ؟

اننا نعتقد انهُ اضطرَّ لذلك ليتغلب على الصعوبة التي قامت في وجه نظريته بسبب ما رواه الخطيب عن نقل المحراب والمنبر والمقصورة الى المسجد الجديد . وان هذا يثبت ان المسجد الجديد لا بدَّ

(١٠) انظر كتاب العمارة الاسلامية للكتف كرسويل جزء ١ ص ١٨ — ١٩

قد أضيف الى المسجد القديم من جانب القبلة لان المحراب لا يمكن نقله بطبيعة الحال الى جانب آخر بالمسجد سوى جانب القبلة

ولكن هرتسفلد في الوقت نفسه قد اوضح في رسمه ان المسجد الجديد لم يضف الى جانب القبلة بل ان الجانب الآخر المواجه له وهذا بطبيعة الحال لا يستلزم نقل المحراب والمنبر والمقصورة

فتعقيباً على الصعوبة التي اعترضت هرتسفلد ازاء رواية الخطيب عن نقل المحراب الخ انبرى القول بأن دار القطان قد ادخلت ايضاً في المسجد في نفس الوقت ونقل اليها المحراب والمنبر والمقصورة

اما نحن فلا نقر هذه النظرية بل اننا نؤكد ان كل ما ذكره الخطيب في هذا الشأن هو قوله « ان المسجد بني ملاصقاً للقصر » دون تحديد الجانب الذي بني فيه وبناء على ذلك فلنا ان نختار الموضع الذي نعتقد انهُ اكثر ملاءمة والذي يرجح انهُ بني فيهِ ثم لننظر الى اي حد يمكن ان يتفق هذا الوضع مع الحقائق التي نعلمها عن هذا المسجد

ونحن نرى ان المسجد الجديد بني ملاصقاً لجانب القبلة[11] ويعزز رأينا هذا ما يأتي :—

اولاً — قول الخطيب « وكتب عليه (اي المسجد) اسم الرشيد وذكر امره ببنائه وتسمية البنّاء والنجّار وتاريخ ذلك وهو ظاهر على الجدار خارج المسجد مما يلي باب خراسان »

وهذه الكتابة كانت بلا شك على المدخل الرئيسي للمسجد الذي كان يقع بالجانب القريب من باب خراسان اي في الشمال الشرقي

ثانياً — يقول الخطيب عن الزيادة التي ادخلت في المسجد

(ا) « ففي مسجد على مثال المسجد الاول في مقداره او نحوه ثم فتح في صدر المسجد العتيق ووصل به فاتسع به الناس الخ » . والصدر هنا هو المكان المواجه للمدخل او البعيد عن المدخل او هو في الحقيقة ما يجب ان نسميه مؤخر المسجد (او الايوان الكبير)

(ب) ويقول ايضاً « ثم زاد المعتضد بالله الصحن الاول وهو قصر المنصور ووصله بالجامع وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقاً منها الى الصحن ثلاثة عشر والى الاروقة اربعة وحول المنبر والمحراب والمقصورة الى المسجد الجديد »

فاذا فتحنا الطاقات في حائط القبلة واضفنا الى المسجد العتيق مسجداً على مثاله في مقداره او نحوه — عدا الرواق الشمالي الشرقي الذي ليس ثمة حاجة اليهِ — ونقلنا المحراب والمنبر والمقصورة الى هذا المسجد الجديد ، فاننا نجد ان هذا يتفق تماماً ورواية الخطيب ، ويتضح ذلك جليًّا في الشكل رقم (٢) ولا تكون ثمة حاجة الى القول باضافة دار القطان الى المسجد في حين ان الغرض الاساسي من الزيادة في المسجد انما كان هو الاستغناء عنها

(١١) يضع لسترنج هذا المسجد في الجانب الجنوبي الشرقي وهو رأي لا نقره عليه (بغداد ٣٥)

وقد روى ابن رسته ان مسجد المنصور كان مزخرفاً ومرصعاً باللازورد[١٢] وهو ما نظنه يشير بقوله هذا الى المسجد الذي رآه في سنة ٩٠٣ م والذي لا يرجع اقدم جزء فيه الى اكثر من عهد هرون الرشيد

(التاريخ اللاحق للمسجد) ورد ذكر هذا المسجد كثيراً في قرون تالية : فقد أشار اليه Benjamine of Tudela[١٣] سنة ١١٦٠ بقوله « وكان الخليفة يغادر قصره مرة واحدة في السنة حين كان يذهب في حفل رسمي الى المسجد الجامع عند باب البصرة »

كما ذكره ابن جبير سنة ١٨٤[١٤] ويظهر انهُ لم يصب بسوء عند ما حاصر المغول بغداد وهاجموها ونهبوها سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) مع ما تعرضت له بغداد من التخريب وما طالته من اهوال . ويستدل على ذلك بعدم ورود اسمه بثبت المساجد والاضرحة التي احرقت بسبب الحرب ثم اعيد اصلاحها بامر هولاكو خان[١٥] وذكره ابن بطوطة[١٦] بصريح العبارة سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧م) عند وصفه للشاطىء الغربي وقال عنهُ انهُ مسجد ابي جعفر المنصور وانهُ كائن بحي باب البصرة

ويرى لسترينج[١٧] Le Strange ان تيمورلنك استولى على بغداد (٧٩٥ هـ ١٣٩٣م) وانهُ امر بعد عام باعادة بنائها وان المسجد قد يكون هدم اثناء ذلك الا اننا نجد بدرو تايكسيرا[١٨] Pedro Teixeira سنة ١٦٠٤ يقول « ولا نزال نرى في بغداد اطلال المباني الرائعة التي خلفتها عصور الحضارة الفارسية كالمسجد الذي يطلقون عليه اسم مسجد الخليفة والآثار الاخرى في الجانب الآخر من النهر والمدرسة التي كانت مستشفى الخ »

ويظهر ان « مسجد الخليفة » هذا هو مسجد المنصور الذي نحن بصدده . وخاصة لقوله عن الآثار الاخرى انها « في الجانب الآخر من النهر كالمدرسة التي كانت مستشفى » ونظراً لاننا نعلم ان المدرسة المستنصرية كان بها مستشفى وكانت تقع على الشاطىء الشرقي . فيستنتج من ذلك ان المسجد كان يقع في الجانب الغربي للنهر . وهذا بالضبط هو موقع مدينة بغداد المدورة التي بناها المنصور وبنى بها مسجده العتيق . ويظهر ان هذا المسجد قد تخرب واحت آثاره نهائياً بعد زيارة تايكسيرا بغداد بعشرين عاماً لان مرتضى نظمي زاده[١٩] يقول : — « وبعد ان استولى الفرس على بغداد سنة ١٠٣٣ هـ ١٦٢٣ — ٤ م عملت فيها يد التخريب والتدمير فهدمت المدارس والمساجد وغيرها من آثار الخلفاء العباسيين واصبحت اطلالاً ينعق بها البوم او اتخذت حظائر للحيوانات بعد ان شهدت حضارة العباسيين وحفلت بذكراهم » . لذلك لا نجد ذكراً لهذا المسجد فيما كتبهُ نيبوهر[٢٠] Neibuhr عن بغداد سنة ١٧٦٥ مما يدل على انهُ لم يكن له أثر ببغداد عند زيارة نيبوهر لها

(١٢) ابن رسته ص ١٠٩ سطر ٤ (١٣) Benjamine of Tudela ترجمة Asher جزء ١ ص ٩٦ — ٧
(١٤) ابن جبير طبعة Wright ص ٢٢٧ و ٢٣٠ وطبعة دوزيه ترجمة شيا باريللي Schiaparelli ص ٢١٤ و ٢١٧ (١٥) لسترينج ص ٣٧ (١٦) ابن بطوطة جزء ٢ ص ١٠٢ (١٧) لسترينج ص ٣٧
(١٨) ترجمة سكلير ٦٤ — ٥ (١٩) ترجمة هوارث في كتاب تاريخ بغداد في العصور الحديثة ص ٥٩
Histoire de Baghdad dans les temps modernes,59
(٢٠) رحلة في بلاد العرب جزء ٢ ص ٢٣٩ Voyage en Arabie

روح الرواد

الاميرال رتشرد برد الاميركي

يقضي الشتاء القطبي وحيداً في محطة نائية

نقلت انباء البرقية في خلال شهر فبراير الماضي ان بعثة الاميرال برد، الرائد القطبي الاميركي، اكتشفت في الاصقاع المتجمدة الجنوبية ارضاً مساحتها ٢٠٠ الف ميل مربع، اطلقت عليها اسم «أرض ماري برد» ورفعت عليها العلم الاميركي. والواقع ان رجال البعثة اكتشفوا هذه الارض في خلال اقامتهم هنالك في السنتين الاخيرتين، ورأوا بعض معالمها. وبعد ما حققت البعثة البرنامج الذي وضعته لزيارة تلك الاصقاع، جمعت معداتها وعادت الى اميركا فبادرت شندكتا بهذه السطور مرفقاً دو بيدن بزيارتها الجديدة

وفي ما يلي وصف لأهم ما قام به رجالها وعلماؤها من المباحث الفنية وقصة الشتاء القطبي المظلم البارد الذي قضاه قائدها الاميرال برد، وحيداً في محطة نائية، رغبة منه في دراسة الظواهر الجوية في تلك البلاد. وهي من أروع القصص في تاريخ الرياضة الحديثة والقديمة على السواء

البعثة وأغراضها العلمية

الاميرال رتشرد اقلين برد Byrd أول رجل طار الى القطبين. فقد طار الى القطب الشمالي في سنة ١٩٢٦ بطيارة صحبهُ فيها زميله وصديقهُ فليد بنيت. قام من سبتسبرجن متجهاً الى القطب الشمالي فبلغهُ وحوّم فوقهُ ثم عاد الى سبتسبرجن بعد ١٦ ساعة من الطيران. وقصة هذه الرحلة مدوّنة في كتابنا «الرواد». ثم نظّم بعثة الى الاصقاع المتجمدة الجنوبية سنة ١٩٢٨ و ١٩٢٩ كان من أهم فعالها طيران برد وبعض صحبهِ الى القطب الجنوبي، وتحديهم لاسلكيًّا وهم محلقون فرق القطب، مع محطة لاسلكية خاصة بمدينة نيويورك. بيد أنهُ لم يقتنع بكل هذا. فعمد من نحو ثلاث سنوات الى اعداد بعثة جديدة لزيادة الاصقاع المتجمدة الجنوبية، بالطيارات والسيارات والمزالق تجرُّها الكلاب. ووضع لبعثتهِ الجديدة برنامجاً يستغرق تحقيقهُ سنتين وغرضهُ العام، البحث في احوال تلك البلاد من النواحي الجغرافية والجوية والبيولوجية وما اليها. وكانت معدات البعثة مؤلفة من سفينتين احداهما من الصلب والثانية من الخشب، واربع طيارات، وست سيارات نقل، و١٥٠ كلباً. وكان رجالها نحو ١٢٠ رجلاً، منهم لعلمهم او نحو النصف من رجال البحث العلمي

وقد كتب الاميرال مقالاً في جريدة النيويورك تيمس، افتتحهُ بقولهِ: — كثيراً ما يوجّه اليَّ السؤال عن الفائدة التي يمكن ان تجنى من زيادة الاصقاع الجنوبية المتجمدة، وانفاق بدرات

الاموال وتعريض ارواح الناس في سبيلها . والردّ على هذا السؤال ان كشف الاراضي الجديدة اقل هذه الفوائد شأناً . بل هو ليس الاّ وسيلة الى مكتشفات ابعد غوراً واعظم شأناً . فالريادة الحديثة لا تبلغ مستوى الكرامة العالية التي تتسق مع همم اصحابها وجهودهم ، الاّ متى تحررت من قيود خطوط العرض والطول . فبين البحوث التي اعددنا لها المعدّات نجد علوماً مثل الفلك والظواهر الجوية والنبات والحيوان والمعادن والاوقيانوغرافيا (علم المحيطات) والآثار المتحجرة والجولوجية الاقتصادية والجولوجية الطبيعية والمغناطيسية الارضية والعلوم او فروع العلوم الخاصة بالجمد والثلج وعلم مواقع النفط وغيرها . فالكشف عن مناطق مجهولة في تلك البلاد ليس الاّ غرضاً واحداً من اغراض عديدة يتجه اليها الروّاد في هذا العصر

والبعثة الثانية التي نظمها الاميرال برد كشفت كما قلنا « ارض ماري برد » واستطلعت احوالها الجغرافية فعرفت السهل منها والجبل والشاطىء ، ويتوقع رجال البعثة ، ان يرسموا لها خريطة على جانب وافر من الدقة ، عند وصولهم الى اميركا ، مستندين الى الحقائق التي دوّنوها والصور التي صوروها في خلال الطيران فوقها او عند ريادتها بالمزالق تجرّها الكلاب

وقد عني هينز وغرمنغر من علماء البعثة بتدوين الارصاد الجوية ، ولم يكتفوا بالارصاد على سطح الجمد بل اطلقوا البالونات في الجوّ ، تحمل الآلة المدوّنة من تلقاء نفسها ، لمعرفة احوال الجوّ في طبقاته العالية . ومن الخطإ ان يظنّ ان احوال الجوّ حول القطب الجنوبي لا صلة لها بالاحوال الجوّية في سائر الاقطار . فاحوال الارض الجوية لا يمكن ان تقسّم الى اقسام منفصول بعضها عن بعض كأنها حُجَرٌ بينها جدران كثيفة فاصلة ولكن ليس بينها ابواب

وقد حملت البعثة الى تلك الاقطار النائية ، احد الاجهزة التي اعدّها الاستاذ آرثر كمتن لقياس الاشعة الكونية ومعرفة هل هي جسيمات دقيقة او فوتونات اي امواج قصيرة تفاذة من قبيل اشعة اكس واشعة غمّا ولكنها اقصر منها امواجاً وأقوى نفوذاً للمواد . ونتائج القياسات التي قامت بها البعثة في هذا الصدد اميل الى تأييد الرأي بانها من قبيل الجسيمات . ولم يكتفَ بقياس الاشعة الكونية على سطح الجمد ، بل ارسلت الآلة في طيارة الى علو ١٢٥٠٠ قدم

ووجّه علماء الحياة من رجال البعثة وهم اربعة جلّ عنايتهم الى دراسة الاحياء المختلفة من حيوان ونبات مما يعيش على سطح الارض مثل الطيور وأخصها طير البطريق والقشّم او مما يعيش في اغوار الماء من الاحياء المكرسكوبية . وقد ظلّ العلماء وتّر وبركنز وسترت ينزلون شباكهم في مياه خليج الحيتان لاخراج نماذج من هذه الاحياء حتى تجمّد سطح الماء ، واصبحت تدلية الشباك في الماء متعذرة

ومما يسترعي النظر في مباحث البعثة العلمية ، ابتداع طريقة جديدة ، تعتمد على قياس سرعة امواج الصوت في الاجسام الصلدة لمعرفة ما تحت الغطاء الجليدي في تلك البلاد . فقد كان الرأي السائد بين العلماء ان الغطاء الجليدي في الاصقاع المتجمدة الجنوبية عند ريف رُس Ross Shelf قائم

على الماء وثبت البحث بهذه الطريقة ان الغطاء الجليدي قائم على دعامات من اليابسة بعضها جزائر قائمة في الماء يغطيها الجمد فلا يمكن ان تكشف حقيقتها الا بالاعتماد على هذه الطريقة العلمية. ومن هذه الدعامات جزيرة قمتها تعلو ١٠٠٠ قدم عن سطح البحر ويغشاها غطاء من الجمد كثافته ٤٠٠ قدم. والحقائق التي كشفت بهذه الطريقة تمكن الماء من تقدير الجمد في القارة المتجمدة الجنوبية، تقديراً قريباً من الحقيقة. وبالطريقة نفسها اثبت رجال البعثة ان القارة المتجمدة الجنوبية، ليست قطعتين من اليابسة بينهما مضيق متجمد، بل هي قطعة واحدة لا فاصل يفصلها

هذا يسير من النواحي العلمية التي عنيت بها بعثة الاميرال برد الثانية الى الاصقاع المتجمدة الجنوبية. ولكن الغرض الاول من هذا المقال ليس ذكر النتائج العلمية فحسب لانها على خطرها ليست الا نتائج اولية للمباحث المنوعة التي قام بها رجال البعثة، وانما القصد ان نروي قصة تتجلى فيها روح الرواد عامرة بفضائل الاقدام والصبر والتضحية في سبيل العلم

برد وعزلته العجيبة

ما قول القارىء في رجل يبتني لهُ حجرة في ابرد بقعة سكنها انسان على الاطلاق، لا تبعد الا قليلاً عن القطب الجنوبي، ثم اذا اقبل الليل القطبي بظلامه الدامس الذي يستمر اربعة اشهر او تزيد، يودّع الرجل رفاقهُ، ومقرّهم يبعد عنهُ مئات الاميال، ويأوي وحيداً الى حجرته، بعد ان يقطع كلّ صلة لهُ بالحياة. هناك تكر الايام والشهور لا يرنُّ في اذنيه الا عصف الرياح وزئير العواصف الثلجية، ولا يطالعهُ من الاحياء وجه ولا يبهجه من الشمس شعاع. فلو انهُ قضى الاربعة اشهر هذه، على وجه القمر المعرض عن الشمس، لما كان اشدّ عزلة مما كان؟

كان روّاد الاصقاع المتجمدة الجنوبية قد اكتفوا بتدوين ارصاد الظواهر الجوية على شواطىء تلك القارة في الغالب. ولكن الاميرال برد أدرك أن الوصول إلى رأي علمي في الموضوع يصح الاعتماد عليهِ، يقتضي انشاء محطة للظواهر الجوية في الداخل على مقربة من القطب، وموالاة رصد تلك الظواهر فيها في خلال الليل القطبي الدامس. فبنيت المحطة واختار ان يكون هو الراصد الوحيد، فعانى من الصعاب والاهوال والآلام في خلال ذلك، ما تتضاءل أمامهُ مشيئة الانسان العاديّ. ولكنهُ قالب الصعاب والآلام، وغلب، بباعث من حسن التدبير وصلابة النفس وقوة الايمان

والظاهر أنهُ كان في خلال الاسابيع الاول من عزلتهِ، متمتعاً بنوع من البهجة لا تبلغها الا نفس الفيلسوف في الوحدة التامة. وكان يرحب بالصعاب، على أنها امتحان لقدرته على مواجهتها. فلما توالت عليهِ الايام والليالي، متشابهة في ظلامها وبردها وانقطاعهِ فيها عن كل سبب من أسباب الحياة التي ألفها، بدأت غيوم الفاجعة تتلبد في أفقهِ. فقد أصيب بتسمم من استنشاقهِ لدخان البترول الذي يحرقهُ في موقده، ومن بين الآلة التي كان يستعملها لتجهيز آلته اللاسلكية بالطاقة التي تحتاج اليها

كان قد فضّل البقاء على الفحم ؛ لانهُ لما شرع في اعداد معداته ، كان الليل القطبي قد اقترب وأصبح متعذراً على رجاله أن يأتوا بالقدر الكافي من الفحم من مقرّهم الى هذه المحلة النائية

كان قد انقضى على بضعة أشهر وهو يستنشق هذا الدخان ، وهو لا يحسّ بأذى في جسمه . فلما كان يوم ٣١ مايو سنة ١٩٣٤ ، أنهى اذاعته اللاسلكية ، ودخل النفق الجليدي ، ليوقف المحرك الخاص بالجهاز اللاسلكي فوقع مغشيًّا عليه . ولما أفاق كان غائر العزم ، فأدرك أن حالتهُ تنذر بالخطر . هل فكّر عندها في نفسه ؟ هل خطر على باله أن يبعث باشارة لاسلكية يطلب بها النجدة ، فيهب فريق من أعوانه الى نجدته ؟ كلاّ . انهُ كان يعلم ان الرحلة من المقرّ الرئيسي الى هذه المحلة النائية ، في ظلام الليل القطبي عمل محفوف بالاخطار . فلماذا يعرّض رجاله للموت في سبيل انقاذه؟ أوى في تلك الليلة الى فراشه ، مريضاً ، ضعيفاً ، وحيداً تواجههُ ثلاثة شهور من الظلام الدامس لا تزال امامهُ . البرد الشديد داخل حجرته وخارجها فاذا اصطلى بالموقد استنشق دخانهُ السام . واذا اطفأ الموقد هرئت اطرافه ومات برداً . ماذا يفعل ؟ أوى الى فراشه واخذ القلم بيد خائرة مرتعشة وكتب تعليماته لرجال البعثة كتابة مفصّلة وختمها بقوله : لا تقلقوا ولا تضطربوا . امضوا في عملكم . لا تنوا في تحقيق برنامجكم العلمي . ابذلوا ما تستطيعون في سبيل مساعدة « الرورث »[1]

وبعد ما أتمّ كتابتها لفّها وربطها وعلّقها بمسمار على الجدار ، حيث يستطيع كل احد ان يراها . وكانت لا تزال هناك ، لما اقبل عليه صحبهُ ، بعد انقشاع الظلام القطبي الدامس

بعد انقضاء يومين على هذا ، اتصل بالمقرّ الرئيسي المعروف باسم « اميركا الصغيرة » اتصالاً لاسلكيًّا ، ولكنهُ لم ينبّه بكلمة واحدة عن حالته . وكذلك قضى اسابيع معلقاً بين الموت والحياة وهو لا يعلم هل يستطيع هذا الجسم الانساني ، ان يتغلّب على بواعث السقم ، ولكنهُ كان يعلم أن الروح الانسانية تستطيع ان تتغلّب على بواعث الضعف . كان عليه ان ينقر على آلته اللاسلكي « S. O. S. » طلباً للنجدة فيفوز بها ، ولكنهُ لم يفعل

بل انهُ فعل اكثر من هذا ! كانت قواه الجسدية على أضعفها . وكان في حاجة الى كل دقيقة من الراحة . بل كان يجب عليه ان يضنّ بأيّ عمل يقتضي انفاق الطاقة ، لعلّ الراحة والضنّ بالنشاط يمكّنانه من التغلب على السقم . ولكنهُ كان يعلم أنهُ اذا توقف عن الاتصال « باميركا الصغرى » في المواعيد المقررة ، يظن رجالهُ السوء فيهبون الى نجدته ، معرضين أرواحهم للخطر . فكان في المواعيد المقررة للاتصال اللاسلكي يزحف زحفاً ، الى المحرك يحمله الى النفق ليذيب الجمد عنهُ بدفء الموقد . وكان وزن هذا المحرّك ٣٥ رطلاً فقط ، ولكن « برد » كان لا يتم نقله بضعة أمتار الاّ في ساعات ، لشدة ما كان يعانيه من الضعف والالم والبرد . والادهى من ذلك ، أنهُ كان يقطّع كلامهُ عن ارصاده العلمية ، بتلميح تثير روح أصحابه

(١) رائد اميركي آخر كان يستكشف ناحية اخرى من القارة المتجمدة الجنوبية

ارصاده العلمية ! نعم ارصاده العلمية ! ذلك ان برد ، مع كل ما عانى، لم يهمل ارصاده العلمية يوماً واحداً ، كلفهُ ذلك من المشقة والالم ما كلف . فكان يخرج خمس مرات في اليوم ، لمراقبة الشفق القطبي وتدوين وصفهِ واتجاههِ وعلوهِ وقوة ضوئهِ . وكان الشفق يطول احياناً ، فيظلُّ برد مدى نصف ساعة او اكثر ، وهو يدوّن ما يطرأ عليهِ من التغير الاخّاذ في شكله ولونهِ . وهذا عدا الارصاد المتيورولوجية المختلفة . ويقول الدكتور بوارتر رئيس علماء البعثة ، انهم لما اقبلوا عليهِ ، وجدوا ارصاده مدوّنة احسن تدوين . وعنده ان ما تنطوي عليه هذه الارصاد من الحقائق لابدَّ ان يكون ذا اثر كبير في ترقيه علم الظواهر الجوية

ظلَّ برد على هذه الحالة شهراً من الزمان يرى الموت امامهُ ولكن ارادتهُ لم تخنه في يوم من الايام . ادرك ان العقل يقضي بتوفير نشاطهِ للاعمال التي لا بدَّ منها كالاتصال اللاسلكي برفاقهِ وتدوين الارصاد الجوية . فتوقف عن ادارة الفونغراف لما تقتضيه تعبئته من الجهد . وتوقف عن اشعال الموقد البترولي ١٤ ساعة كل يوم ، مرتباً ذلك حتى يكون الاطفاء عند ما يكون آوياً الى كيسهِ ، بحيث يستطيع ان يصيب قليلا من الدفء من دون ان يتعرض كل التعرض للدخان السام. وقد كانت درجة البرد خارج الحجرة ، تبلغ سبعين درجة تحت الصفر ، وبلغت مرة واحدة ٨٠ درجة تحت الصفر . وكانت درجة البرد داخل الحجرة ٣٠ درجة تحت الصفر ، مع اختلاف قليل . وتوقف عن طبخ طعام ، مكتفياً بالطعام المقدد المحفوظ تحت سريره ، توفيراً للذهاب والمجيء لغير داع ضروري . وقد كان من اثر ذلك ان اضطرب هضمهُ وصارت نفسه تعاف الطعام ، مع أنهُ كان في اشد الحاجة الى كل ما يغذيهِ ويقويهِ . وتوقف عن القراءة والكتابة ، جهد طاقتهِ ، وكان يزاولها في بدء عزلتهِ . وكذلك استطاع ، بعزيمة تفلُّ الحديد ، وعقل يدرك الحقائق ويواجهها ويختطُّ الطرق للتغلب عليها ، أن يقتصد في نشاطهِ ، فما انقضى شهر يوليو (١٩٣٤) عليهِ حتى استردَّ قواه رويداً رويداً ، فنجا من الخطر المحدق بهِ . فلما وصل صحبهُ اليه في اغسطس ، كان لا يزال ضعيفاً شاحباً ولكن المعركة بين الطبيعة ورجل فرد كانت قد انتهت بانتصار الرجل ، فقاموا وعلى ثغره بسمة تائلا : «اهلا بالصحب »

ومن أقوالهِ بعيد اتصالهِ برفاقهِ وعودتهِ الى المقرّ الرئيسي : «لا يستطيع رجل عاقل مثقف ان يقضي عدة أشهر في حجرة صغيرة ، لا يكتنفهُ فيها الاَّ الظلام الدامس والبرد الشديد ، من دون أن يكتشف شيئاً جديداً في نفسهِ ، فكأنني كنت شجرة ارسلت جذورها في تربة لم تألفها ، أو كأنني كنت رجلا انتقل من الارض الى سيّار آخر . ومع ذلك فقد أتت عليَّ فترات أحسست فيها بطمأنينة وغبطة أعجز عن وصفهما . ولا أذكر أنني سعدت في حياتي قدر سعادتي في الشهرين الاولين من اقامتي هناك »

اننا ـ والحق يقال ـ لا نعرف في قصص الحياة ولا في مبتدعات الخيال قصة اروع من هذه القصة !

سير الزمان

الثورة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

—

أقطاب السياسة الدولية

الرئيس مسارريك

—

الاحوال في اوربا

للجنرال محطس

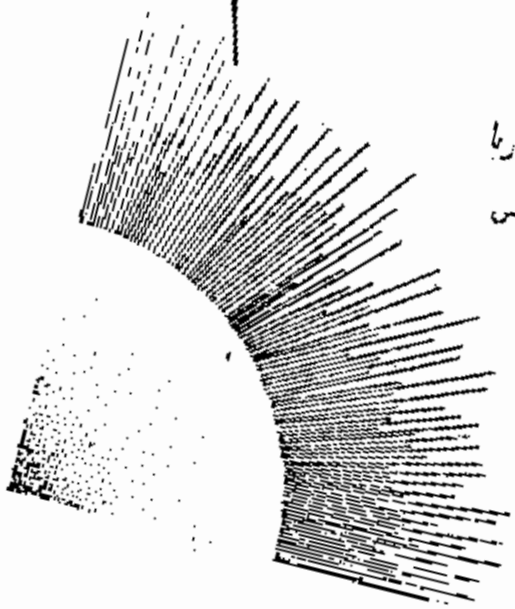

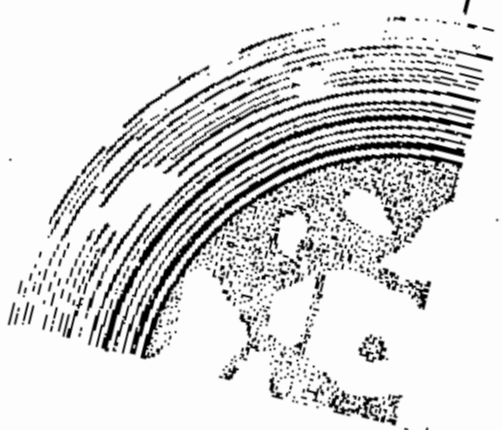

ليون دوديه الكاتب الفرنسي المشهور

Leon Daudet

(انظر مقالة الآنسة مي صفحة ٢٧١)

الثورة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

— ١ —

اذا ضاق بك ثوبك وأصبح خنقاً أكلت جدّته الايام وذهبت برونقه الطبيعة فرقتهُ وخلعتهُ عن جسدك والقيتهُ في الأرض فأنت في شرعة الألبسة ثائر ، وانك في عالم الحياة الطبيعية أشباه ونظائر فان بعض الحشرات تنمو في غطاء قرني قاس الى ان يضيق بها فتمزقهُ بانتفاضة خافية وتخلعه عن بدنها ثم تعود فتفرز غطاء آخر أوسع منهُ ولكنها تنمو ثانية في هذا الثوب الجديد حتى يصير ضيقاً فتخلعهُ كالاول لتكتسي بأوسع منهُ وهكذا تتبدل ثوباً من ثوب الى ان تبلغ رشدها ، وليس كابوس الاوضاع الاجتماعية السياسية والدينية والاخلاقية والاقتصادية متى ضاقت أو هرمت أقل ارهاقاً واخناقاً من هذا الثوب أو الغطاء

حدث لي في حدود سنة ١٩٢٨ ان زارني في مصر صحفي من خيرة أبنائنا في الولايات المتحدة وهو الاستاذ حبيب كاتبه فأخذ مني حديثاً لينشره في أميركا عن سورية وحالها الحاضرة فتطرقنا الى ذكر الثورة السورية الكبرى وأسبابها ودواعيها فرأيت منهُ شيئاً من الوجوم والتردد في ذكرها أو تدوينها فسألتهُ فقال « ان في الولايات المتحدة نفرة منكرة من الثورات جميعها ومن ذكرها وليس من المبالغة في شيء ان أقول لك يكاد يكون (غاندي) معبود الاميركيين لانهُ لا يتوسل الى أغراضهُ بالعنف والشدة » . وغني عن البيان ان مثل هذا الكلام الذي تفضل بهِ الصديق يدل على الذهنية التي يكون عليها الآمن فيفسي كيف يكون الخائف ، والشبعان فيفسي كيف يكون الجوعان ، والحصين فيفسي كيف يكون المهدد . فاميركا كانت يوم جرى هذا الحديث تتمتع برأس مال وبرخاء ونفوذ لا تشق غباره سائر الدول وهي الدولة الدائنة واوربا المدينة ، وكانت الأموال الأجنبية تتدفق على أسواقها لشراء أسهمها ومحصولاتها والاشتراك في المشروعات الصناعية القائمة في بلادها بينما كانت سورية على شفا الهاوية تتجرد من أموالها ورجالها وتهدد في صميم حياتها وقرميتها ولا يكاد يبلغ الصادر منها الخمس من الوارد اليها ، فلا عجب ان تكون سورية ثائرة وأميركا راضية وان ينفر أبناء هذه من سماع أحاديث تلك عن الثورات والانقلابات لان الذي يتمتع بالصحة لا يشعر بآلام المرضى . وفي التاريخ ان الملكة ماري انتوانت لما أتاها الشعب المتظلم يشكو فقد الخبز استغربت فقالت لِمَ لا تأكلون الكعك ؟ !

ومن العجيب ان اخواننا الاميركيين الذين ينفرون اليوم من سماع أحاديث الثورات طلباً للحرية والاستقلال كانوا أول من ثار للخلاص من حكم الانكليز مع أنهم أهلهم وعشيرتهم ، وأول

من سنّ قاعدة لا ضرائب من غير تمثيل ، ولا يقل اعجابهم بواشنطن واخوانه المياسين من رجال الثورة عن اعجاب الفرنسيين بمجان جاك روسو ومن وضع نظريانه في الثورة الفرنسية موضع العمل . وقد رأيت في الاميركيين نفرة خاصة من تلك العادة الصينية الممقتة وهي وضع أرجل البنات في قالب لتضغطها وابقائها صغيرة تسمى لطافة من الحديد فكانوا يثيرون شعور التلاميذ الصينيين لتحطيم هذه العادة ورضخ هذه القوالب الضيقة حتى تتمكن الارجل من النموّ الطبيعي ، أفليس عجباً أن يدعوا الى الثورة العلنية دفاعاً عن حجز حرية الارجل وينفروا من الثورة للدفاع عن حرية الجماجم ؟ وهل قالب من الحديد في الارجل طوله وعرضه ووزنه يقاس بالقراريط والدواهم أثقل على الطبع من مدرعة منيخة على الرؤوس طولها وعرضها ووزنها يقاس بمئات الاذرع وألوف القناطير ؟

ولندع الآن المشاعر التي لا ضابط لها وأسباب الحب والبغض القائمة على الاوهام ولنلق نظرة عامة على ما يجري تحت سمعنا وبصرنا في البيئات البسيطة وبين الجماعات الساذجة لان درس الاوضاع في مثل هذه الاحوال يزوّدنا بالملاحظات القيمة

منذ نحو عشر سنوات غزت قبائل نجد بلاد الحجاز وكانت النهاية التي أثارت الحماسة في هذه القبائل ان أهل الحجاز مشركون مرتدون لأنهم يزورون القبور ويعظمون القباب ويرتكبون من الجرائم المنكرة تدخين التبغ وغير ذلك فبدأت الغارة على مدينة الطائف شنها الوهابيون فقتلوا النساء والرجال والاطفال وكان من بين القتلى شيوخ شهد الجميع بحرمتهم والعلوم النقلية التي امتازوا بها ، ولكن الغزاة المتشددين المتحمسين لم يرحموا أحداً لان المرتدين في نظرهم ليس لهم أمان ولا تجوز عليهم الرحمة ولا الشفقة ؛ ومن بعد ما فتحوا البلاد نبضوا على ناصية الحكم فيها بيد حديدية وطبقوا اجتهادهم الديني عليها تطبيقاً دقيقاً فمنعوا زيارة قبور الاولياء وهدموا القباب ودرسوا معالم الآثار وحتموا على الافراد حضور صلاة الجماعة خمس مرات في اليوم فمن تغيب لغير ما عذر نفذت فيه الحدود ومن وجد يحمل لفافة تبغ سيق الى السجن ، أما الفنون الجميلة فقد أصيب الغناء منها خاصة بأعظم الاضطهاد حتى أن صناع المقول منع استيرادها منعاً باتاً ومن وجدت في بيته كسرت على رأسه ، ولولا حكمة الملك عبد العزيز بن سعود لقطع علماء نجد اسلاك الهاتف لانها في حسابهم بدعة من عمل الشيطان ، وقد اقنعهم بخطئهم في الاجتهاد ان احتجهم آيات الذكر الحكيم بالتلفون ، واجتماعها هي والشياطين على صعيد واحد مستحيل طبعاً

فلنفرض الآن يا معاشر الغربيين عامة والاميركيين منكم خاصة ان افراداً من اهل الطائف تعلموا في مدارسكم على الطريقة الحديثة فنفضوا للدماء المهراقة ولم يصبروا على هدم الآثار وحمل الناس على عقيدة خاصة بالقوة وكانوا ممن أولعوا بالفن وقدروا قيمته الاجتماعية فحاولوا بواسطة التنظيم وبث الدعاية وجمع القوى المتفرقة احداث انقلاب كالتي ما كانت الوسائل المؤدية الى تنفيذه فهل تصمون آذانكم ايضاً عن سماع صياحهم ؟ ام حدوث مثل هذه الفتنة بسبب التعاليم التي تبثونها في بلاد الشرق يرضيكم عن

القائمين بها ؟ وليشق اعداء الانتقاض على الغرب واصدقاء الشدة في بلاد الشرق ان الوضعة التي عليها الأقوام المستعمرة لا تختلف عن الوضعة التي عليها اهل الطائف الا في ان الغزاة في الاستعمار اجانب وهمهم الاول استثمار المال واستنزاف الثروة الموضعية واحتكار المرافق على انواعها ، واذا ما التفتوا الى شيء من العقيدة والدين فانما يلتفتون الى ما يزرع بذور التفرقة بين الاهلين ويقوي النواعي المؤدية الى التنافر والتناحر في افرادهم . ومهما قيل عن الروح المادي في الغزوة الوهابية فان الغاية عند مؤسس المذهب هي على التحقيق مثل الغاية في الاسلام معنوية روحية اخلاقية . ولا عبرة مطلقاً بما يدعيه المحتل المستعمر من انهُ جاء البلاد للأخذ بناصر اهلها وتدريبهم على المدنية وتشجيعهم على الاخذ بأسباب النجاح لأن في افريقيا الشمالية وفي سورية الردّ الملجم على مثل هذه الدعاوي الباطلة

﴿الثورة﴾ «متى كان الشعب مستاءً متنكراً انتهز الفرصة الملائمة فثار في وجه الحكومة» هذه صفوة آراء الكتّاب في القرن السابع عشر في اسباب الثورة ودواعيها ، وقد ايدت العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية هذا الرأي تأييداً كلياً ولكنها اضافت اليهِ عظة بالغة وحكمة جامعة فحواها ان الحكومة التي لا تتصل بالشعب اتصالاً وثيقاً يمكنها من فهم الحالة الذهنية التي هو عليها تكون عرضة للثورة والانتقاض . فقد حدثت مثل هذه الثورة لما كان السلطان عبد الحميد يرتع في قصر (يلدز) لاهياً بين الخطايا غافلاً عما يغلي في صدور الرعية من مراجل النقمة ولا يصل الى يده من الاحاديث والاخبار الا ما جادت به قرائح الجواسيس الوقادة . وحدثت مثل هذه الثورة ولكن على عيار أوسع وبدماء اغزر وبانقلاب ابعد مدى لا يعلم نتائجه العالمية احد وذلك لما كان القيصر نقولا الثاني واهل بلاطه يقيمون حاجزاً كثيفاً بينهم وبين الشعب الفقير المتظلم المستعبد ويسدون آذانهم دون صراخ الاحرار في اعماق السجون ومجاهل سيبريا وهم في بهجة ورخاء يستمعون لخزعبلات (راسبوتين) ويحتمون بتمائم القديسين والتعاويذ من الشياطين والادعية من الدجالين المقربين . وعلى مثل هذا الاساس يجوز للقارىء ان يبني رأيه في تفسير الثورة العراقية في سنة ١٩٢٠ يوم كانت دفة السفينة في الرافدين بأيدي رجال من الجيش لا يفقهون الشيء الكثير من الادارة الملكية وما تتطلبهُ كما قالت (المس بل) من حسن اصغاء الى الرغائب الشعبية الجوهرية . وما الانقلاب الخطير الذي حدث في هذا القطر العربي منذ ذلك الحين الا شاهد عدل كيف يكون ارضاء الشعب في شؤونهِ الحيوية واستيفاؤه من مطالبه الاساسية مدعاة الى هدوئه وانتشار الوية السلام في ربوعهِ . ولو حصل في فلسطين مثل ما حصل في العراق من مراعاة السيادة العربية ما تلطخت سمعة بريطانيا السياسية الى هذا الحدّ ولا حدثت تلك الثورات المحلية . وقس بالثورة العراقية الثورة السورية الكبرى

ومن اهم شروط الثائر في نجاح دعوته الى الانتقاض ألاّ يكتفي بما يرى في الحكومة من منكر واعوجاج بل يتحتم عليهِ ان يقنع الشعب ايضاً ويستميل اليهِ الرأي العام استجماعاً للقوى فيقف الجميع جبهة واحدة والا ضاعت الجهود عبثاً ولم تثمر الثورة غير الانقلاب المؤقت ، لان الشعب

ذا لم يشعر بالمظالم شعوراً صادقاً كانت حركته اقرب الى البرودة والتصنع . ومع اثارة روح الاستياء وزرع بذور الامل لا بدَّ ايضاً من تعيين الهدف امام الرماة حتى تجتمع نبالهم فلا تتفرق من غير طائل . والدهماء من الناس كما قال احد الاجتماعيين يعرفون الشيء الذي لا يريدون واما الشيء الذي يجب ان يبدوا فيتوقف على الزعماء المفكرين — يعني ان سواد الشعب سلبي في غايته والسلبية المجردة لا تأتي بغير الخراب فاذا ما اريد الانتفاع بسبل السلبية الجارف فلا بدَّ من وضع الآلة الايجابية عليه وتركيبها بحيث تأخذ من قوة الجريان اعظم قدر مستطاع . وتكون هذه الآلة من صنع الزعيم والخاصَّة من العاملين . وقد قلنا عن الغاية التي ينشدها الزعماء لا يجوز ان تكون من مسارح الخيال الشعري المجرد لا تقبل التطبيق ولكنها كذلك لا يجوز ان تكون مبتذلة حقيرة تجعل اصحابها والقائلين بها صغاراً حتى في نظر انفسهم . فطلب دولة عربية مركزية كبرى في الآونة الحاضرة تمتد من خليج فارس الى بحر الظلمات لا يختلف عن الاقتصار على حكومة تقام في جبل العلويين حيالها وتمالها بحرة قلم من المندوب السامي . الاول خيال يليق بقصص الف ليلة وليلة والثاني اهانة لدم الشهداء الذين ذهبوا الى المشانق باسم القضية العربية العامَّة

على ان الاستياء المجرد وتعيين الهدف لا يضمنان الحركة الاَّ على شرط واحد هو الامل بالحصول على الاصلاح المنشود لان العبث شبيه بانتطاح الصخر يدعو الى الشلل والقنوط . ومما اربه بهذه المناسبة عن ثورتنا السورية الكبرى ان بعض الموظفين الاجانب المسؤولين في بيروت حاولوا ان يدفعوا تبعة الاضطراب في البلاد عن عاتقهم باتهام الحكومة الانكليزية بأنها سبب تلك الثورة وان دسائسها وذهبها يلعبان بعقول الثوار ، ولكن فاتهم ان هذه التهمة وان اوجدت لهم بعض الانصار المصدقين في باريس الاَّ انها زادت في الحريق لهباً وساعدت العاملين السوريين في ميادين الثورة اذا أخمدت انفاس الناخعين في ابواق القنوط من جهة وشددت عزائم الثائرين من جهة اخرى بما توهموه من حرص الانكليز واهتمامهم بالقضية السورية العربية مرة اخرى

وقد سبق لمثل هذه الدعاية ان اثرت اثرها في سورية ايضاً بطريقة احبت الهمم الخامدة ، فقد حدث في ابريل سنة ١٩٢٢ ان زار (المستر كرين) دمشق الشام على حين غرة — والمستر كرين هو رئيس اللجنة الاميركية التي امت تلك البلاد في صيف سنة ١٩١٩ لاستفتاء اهلها في مصيرهم — فاتخذ العاملون من هذه الزيارة فرصة سانحة ليوهموا الناس ان عناية الولايات المتحدة بقضيتهم قد تجددت وان لهذه الزيارة مغزًى سياسيًّا ذا قيمة دولية خطيرة ، فانتعشت القلوب من بعد تلك الصدمة القاسية التي لاقتها من دخول الجنرال غورو وجيوشه عاصمة الامويين قهراً وضربه الغرامات على الاهلين وتوزيعه الجنود السنغاليين على البيوت ، فتجمهر الخلق على سيارة (المستر كرين) ووراءها حين وداعه متظاهرين بشكل ازعج المحتلين كثيراً وآل الى ثورة محلية سفكت فيها الدماء وامتلأت منها السجون ، ولولا وميض من الأمل يرق في الافق السياسي يومئذٍ لتأخر فجر النهضة كثيراً

الرئيس ماساريك

رجلان أعزلان بنيا دولة من دول اوربا الحديثة ، بنياها في قلوب القوم وفي حجر المدارس ، قبل أن يرسماها على الخرائط الجغرافية ويعينا حدودها ويقيما لها برلماناً ووزارة . الأول شيخ في الخامسة والثمانين من العمر ، جمع بين حكمة الفيلسوف وصدر الوطني العامر بأعلى الأمثلة الوطنية التي أصبحت أعصاراً مكتسحاً في القارة الاوربية . والثاني تلميذ الاول ، تلقى عليه العلم في حجر التدريس ، واقتبس منهُ شعلة من تلك النار المقدسة التي تؤجج في صدره ، فكان له خير معوان ، في حمل تلك الشعلة ، والكفاح في سبيلها ، ثم تولى معه مقدرات الدولة الجديدة التي بنياها ، فسيّر دفتها في بحر مضطرب عجاج ، من السياسة الاوربية ، الى أن بلغا شاطىء السلامة

الاول هو الرئيس توماس ماساريك الذي انتخب في السنة الماضية رئيساً للجمهورية التشكوسلوفاكية للمرة الثالثة وينتظر ان يحتفل ببلوغه الخامسة والثمانين في ٧ مارس (١٩٣٥) . والثاني هو الدكتور ادوارد بنش وزير خارجية تشكوسلوفاكيا الذي بلغ الخمسين من العمر وقد مضى عليه ست عشرة سنة وهو يدير سياسة بلاده الخارجية في براعة وحكمة شهد لهُ بهما العدو قبل الصديق مع أنهُ كان يوم تقلدها لا يعدو الرابعة والثلاثين من العمر . فهو عميد وزراء الخارجية في اوربا بل في العالم لانهُ تقلد هذا المنصب تقلداً مستمراً مدة تفوق مدة أي وزير خارجية آخر

ودستور الجمهورية التشكوسلوفاكية يحظر انتخاب رجل لرآسة الجمهورية ، اكثر من مرتين ومدة كل رآسة سبع سنوات . ولكن الدستور استثنى ماساريك من هذا القيد ، ونصَّ على امكان انتخابه رئيساً مدى الحياة ، احتراماً لجهاد هذا الشيخ الجليل ، واعترافاً بما لهُ من أياد بيض على انماء الشعور القومي في قومه ، ثم عدم اقتصاره على الناحية النظرية فلجأ الى الحلول العملية يجاهد في سبيلها حتى غنم الاستقلال ، ثم قام على دفة السفينة يوجهها التوجيه الطيب . وكذلك بنش تلميذه . لقد قامت وزارات في تشكوسلوفاكيا وسقطت وزارات ولكن بنش كان وزيراً للخارجية في كل منها ، وليس هذا لقلة الرجال الذين يستطيعون شغل هذا المنصب في الجمهورية الفتية ، بل لأن استعداد بنش العقلي والثقافي وجهاده الصحيح في سبيل الاستقلال ، والمقام العظيم الذي فاز بهِ بين وزراء الخارجية في مجامع الدول ، تجعل منهُ الكفء الذي تود أعظم الدول لو كان وزراء خارجيتها من مكانته

أنشئت الجمهورية التشكوسلوفاكية في عواصم الحلفاء ، في باريس ولندن ووشنطن ؛ قبل أن تنشأ في براها (براج) . ذلك ان الاستاذ ماساريك — وكان قد مضى عليه وهو يرعرع الشعور القومي نحو ٣٠ سنة من كرسي الاستاذ في جامعة براج لانهُ كان يرمي الى إعداد الشعب من فلاحه الى عامله الى موظفه الى تاجره الى أعلى طبقاته الاجتماعية الاعداد الوافي للنهوض بالحكم الدمقراطي المستقل

عندما تسنح الفرصة — كان قد فرَّ من بلاده في خلال الحرب الكبرى ، لاشتداد وطأة الحكومة النمساوية، وكانت بلاد ماساريك جزءًا منها حينئذٍ ، على الاجرار في بلاده، ولكنهُ لم يفر فرار جازع يطلب العيش الرغد والفراش الوثير، بل فرار رجل يطلب الحرية لقومه ، ويعرف — وهو الاستاذ الذي نفذ الى مغازي التاريخ — ما قد يلقاه دونها من العقبات والمتاعب . فبذل هو وتلميذه السابق، وزميله في الجامعة بعدئذٍ ، الدكتور بنش ، كل جهد وكل سعي في سبيل اقناع الحلفاء المنتصرين حينئذٍ الى امورهم العسكرية والسياسية المرتبكة، ان في قلب اوربا ، وفي قلب امبراطورية النمسا والمجر بلاداً تدعى تشكوسلوفاكيا يقطنها شعب يطلب الحرية ، شعب لهُ ماض مجيد ، وله ثقافة عالية ، ومستعد ان يبذل في سبيل حريته ارواح ابنائه في تأييد الحلفاء

فرعا كل باب وخاطبا رجال الصحافة ورجال السياسة ورجال الحرب حتى استرعيا العناية بمطالبهما بقوة ارادتهما، وتوهج وطنيتهما ، فنظما فرقاً من التشكوسلوفاكيين المقيمين خارج بلادهم لتخوض غمار الحرب الى جانب الحلفاء . لذلك قلنا ان الجمهورية التشكوسلوفاكية انشئت خارج براج اولا ، لأن استقلالها اعلن ، وبراج عاصمتها ، ما تزال مدينة من مدن امبراطورية النمسا والمجر

اما بنش التلميذ والوزير والزميل في الكفاح، واليد اليمنى في الحكم، فولد من نحو خمسين سنة ، وطلب العلم في بلاده اولا ثم في باريس ، فلقي في العهدين مصاعب ومشاق ، كانت لولا ارادته الصلبة تغلبت عليهِ . ثم عاد الى بلاده للتدريس . وكان اجتماعه الاول باستاذه ماساريك قد حرك في نفسه الشعور الوطني ، ونفخ فيهِ حب الجهاد في سبيل تحرير وطنه من نير النمسويين . فكان يلقي المحاضرات في الجامعة ويكتب الفصول في المجلات ، وهو في خلال ذلك كله يستعد ليومه العتيد . فلما نشبت الحرب الكبرى ، بدأ الظلام ينقشع عن آماله التي وراء الغمام . ولكن أمته كانت في موقف حرج جدًّا ، لان النمسا وحليفتها المانيا ، أحرزتا الانتصارات الأولى في معارك الحرب الكبرى ، فبثت الحكومة النمسوية العيون والارصاد تراقب حركات زعماء التشكيين وسكناتهم

أما هؤلاء فكانوا في حيرة وارتباك . فاذا انتصرت المانيا وحلفاؤها في الحرب ، فوات هذا الانتصار عليهم ما يطلبون من حرية واستقلال . واذا كان النصر حليف الحلفاء ، فيجب عليهم كزعماء ، ان يسرعوا الى وضع خطة رشيدة يسترعون بها انظار الحلفاء ، قبل ان يفوت الوقت

ولكن بنش لم يتحير ولم يرتبك . كان في خلال تقلده منصب الاستاذ ، قد اشترك في جمعية سياسية سرية في بلاده ، وجازف بحياته غير مرة ، في مطلع الحرب ، لكي يذهب الى سويسرا لمفاوضة الاستاذ ماساريك وكان ماساريك مقيماً هناك بعد فراره في مطلع الحرب ، فكان بنش بذلك صلة بين الزعيم البعيد عن وطنه ، والزعماء المتخفين . ولما علم في احد الايام ان البوليس في اثره ، غادر بلاده في ليلة ليلاء وجاء الى باريس

قد يصعب الآن ان ندرك ما عاناهُ بنش من المصاعب في البدء ، لان اكثر الساسة والصحافيين،

كانوا يجهلون ما هي الأمة التشكية التي تطلب الاستقلال، وكانوا لا يدركون قيمة انضمامها الى الحلفاء وما أثر ذلك في سير الحرب، لان الانظار كانت متجهة في الغالب الى الميدان الحربي في الجبهة الغربية. فمن هو هذا الشاب، في الثلاثين من العمر، الذي يجرؤ على قرع الابواب، طالباً الدخول الى مجالس الحلفاء، حيث القواد تعلو جباههم سمات اليأس وحيث رجال السياسة مبلبلو الافكار مضعضعوها؟

ولكنهُ مضى في الكفاح، هو واستاذه ماساريك، واخيراً فازا بمقابلة بريان، فأسفرت المقابلة عن وعده بالنيابة عن حكومة فرنسا، بمد يد المساعدة الى الامة التشكية التي تطلب الاستقلال

***

كان الحلفاء قد اعدوا هجوماً عظيماً في منطقة «الصوم» فأسفر عن خيبة. وإذ الحلفاء يضربون أخماساً لاسداس، ظهر كتاب في باريس فاسترعى عنوانه نظر الناس لان موضوعه كان «اضربوا النمسا». وكان مؤلف الكتاب صاحبنا بنش، وقد بسط فيه خطة حربية جريئة، قال: «المانيا المانيا في اضعف مقاتلها، انهضوا الشعوب المغلوبة في اوربا الوسطى، اقيموا حاجزاً بين المانيا وحلفائها، افصلوا المانيا عن بلغاريا وتركيا وكذلك يبيد الحلم التوتوني كما يتبدد الدخان في عاصفة»

فأقبل ساسة الحلفاء على الخطة. وزالت المصاعب من وجه المكافحين الوطنيين التشكيين، وفي اواخر سنة ١٩١٧ اعترف الحلفاء بالمجلس الوطني التشكي اعترافاً رسمياً

ان فكر ماساريك هو الفكر الذي نظم الحركة، وروحهُ هي التي بثت في صدور الشعب التشكوسلوفاكي — وهو مظلوم مرهق — بارقة الرجاء، واشعلت نور الامل. ولكن السيف الذي فتح امامها الطريق كان سيف بنش، فانتخب ماساريك رئيساً للجمهورية، وبنش وزيراً لخارجيتها. كانت الاوضاع ضاربة أطنابها في اوربا الوسطى حينئذٍ، وكان شبح البولشفية يحوم فوقها، والنعرات القومية تهدد بالانحلال والتفرقة، ولكن تشكوسلوفاكيا امة منظمة اليوم، لم تفرقها النعرات، وقد أصبحت وهي اعوان وحلفاء، ولوزير خارجيتها كلمة عليا في شؤون اوربا الوسطى، ومحافل السياسة الدولية، كجمعية الامم ومؤتمر نزع السلاح ومجلس الاتفاق الصغير

بل هناك ما هو ابعث على الامل. ان هذه البلاد الفتية، بفضل الاستعداد الطويل للحياة الديمقراطية، لا تزال من البلدان القليلة في اوربا المحتفظة بالنظام الديمقراطي. ولعل فلسفة رئيسها الشيخ الجليل تلخص في قوله «لقد كثر الحديث في العهد الاخير عن عجز النظم الديمقراطية. ولكن الديمقراطية لم تخفق. بل هم الرجال الذين اخفقوا. ويجب ان لا ننسى ان الحكومات الملكية والدكتاتورية نفسها قد لقيت من المصاعب ولا تزال تلاقي منها، ما يجعل الحكم على الديمقراطية بالعجز سائراً عليها كذلك» وقوله: «ان اوربا تجتاز فترة مريضة في حياتها العامة ولا تلبث الامم ان تخرج من ظلماتها الى وضح الحياة الدستورية السليمة»

امدَّ الله في عمر الشيخ الجليل فانهُ في كلماته العاشاً للنفوس الحرة التي تأبى الارهاق والاستبداد

نظرة حكيم مجرّب في

الحالة الأوربية

منخّص مقال للجنرال سمطس

الجنرال سمطس أحد زعماء اتحاد افريقية الجنوبية ، معروف في دوائر العلم والسياسة على السواء . فقد ترأس مجمع تقدم العلوم البريطاني من ثلاث سنوات وله كتب فلسفية وعلمية من أعلام فلسفة جديدة تُعرف بالفلسفة الكلية Holism. أما في السياسة الدولية ، فقد كان من كبار أنصار الحلفاء في الحرب الكبرى وعضواً في الوفد البريطاني في مؤتمر الصلح وقد اشترك في وضع دستور جمعية الامم وله مكانة عظيمة بين دعاتها

اذا قرّبنا النظر في الحالة الأوربية اليوم تبيّنا طائفتين من القوى تتنازعان في الخفاء لتوجيه الخطط السياسية الدولية . فالطائفة الواحدة تنبع من الشعور بالخوف والاخرى من الشعور بالذلّ والحرمان. وكلا الشعورين أعراض مرض لا دلائل نموّ سليم . فاذا لم يعالجا بالحكمة أفضيا الى نتائج خطيرة في حياة العالم العامة

وقد يكون هذا الاعتراف منا اعترافاً بالخذلان ، ولكن يبدو لي أن الشعور بالخوف والجزع هو المحرّك الاساسي في صلات الدول الاوربية بعضها ببعض . الخوف ! أخصّ البواعث الانسانية على الاطلاق يسود الحضارة الاوربية الآن . فالدول التي أحرزت النصر في الحرب الكبرى ، أبعد ما يكون عن الشعور بالطمأنينة التي تصحب النصر ، يثيرها ويقلقها خوف عصبيّ على مستقبلها . أما الدول التي خذلت في الحرب الكبرى فغير راضية عن التسليم بالحرمان الذي كان نصيبها وترفض قبول مكاناً غير الصدر في مجامع الامم المتحضرة . فالدول المنتصرة يحركها الخوف من الدول المخذولة . والدول المخذولة عازمة العزم كلهُ على استرداد مساواتها بالدول المنتصرة . فالحالة الذهنية والنفسية الناشئة عن هذين الباعثين ، جعلت ميدان العلاقات الدولية الاوربية مضطرباً كل الاضطراب ، وهي تسير بأوربا على طريق الفوضى. لذلك ترى العقل مكبوتاً والمشاعر الانسانية العالية مشلولة ، والسيادة الآن للدوافع التي تحول دون الارتقاء المنتظم القائم على التفاهم والتعاون . ولذلك ترى كل مسألة من المسائل الخطيرة مستعصية على الحلّ في هذا الجوّ المضطرب . فالسعي الى نزع السلاح أو خفضه قد أخفق أو كاد ، حالة أن كل دائل في الدول المختلفة يرى أن لا ندحة عنهُ . والتعاون الدولي مهدّد بالخطر مع أن كل مصلحة من المصالح الدولية الاوربية وغير الاوربية تقتضيه

فاذا شاءت اوربا ان تعود الى الطريق القويم ، وجب على أممها ، غالبة ومغلوبة ، ان تسلك في من

هذه العقيدة الفروديدية، أن تستعيد سلامة النظر وصحة الحكم، أن تنظر الى علاقاتها بعضها ببعض نظراً سليماً غير مشوه ولا مضطرب . وليس ثمة عالم بالتحليل النفسي يستطيع أن يعالجها كما يعالج علماء التحليل النفسي ما يصاب به بعض الناس من العقد النفسية . ولعل السبيل الاقوم الى ذلك هو أن تعترف دول اوربا جميعاً بأنها اتبعت في أفعالها حتى الآن طريق الحمق لا طريق العقل

من مظاهر الشعور بالخوف هذا الحديث المستفيض في الصحف والدوائر عن الحرب . يقال أننا على عتبة حرب جديدة ، وان الحرب قاب قوسين منا أو أدنى . هذا التحدث بالحرب يخلق جو الحرب ، وقد يكون أقوى البواعث على نشوبها . وهو عندي خطأ كبير وشر عظيم . والغريب في كل هذا أن دعاة السلام ، هم أعلى الناس صوتاً في هذا الحديث . انهم يرغبون في تصوير ويلات الحرب للسواد من الناس لتنفيرهم منها ، فتحملهم رغبتهم هذه على خلق الذهنية التي تفضي الى الحرب. ثم هناك صناع الأسلحة وهؤلاء يعرفون انهم يجنون ربحاً عظيماً من التحدث بالحرب وقرب وقوعها ووجوب الاستعداد لها . لذلك أناشد رجال السياسة ورجال القلم ، أن يضعوا حداً حاسماً لهذه الدعاية الخطيرة

ان توقع الحرب في الغد أو في المستقبل القريب ، ضرب من السخف . وهذه حقيقة يعرفها كل مطلع على بواطن الامور . فالاحوال اليوم غير ما كانت عليه سنة ١٩١٤ اذ كانت الحرب في المستقبل القريب خطة مرسومة حينئذ ، وكانت الدول تستعد لها على أنها واقعة لا محالة . بل أن أركان الحرب في كل منها ، كانوا قد وضعوا الخطط وعينوا المواعيد لبومها المشهود . أما اليوم فقلما نجد أمة ترغب في الحرب . وكل رجل من رجال السياسة يدرك أن في الحرب دمار أمته وخاتمة لحياته العامة اذا كان هو من مثيريها . ولعلنا لا نجد بين الامم الا أمة واحدة مستعدة لها الاستعداد كله . ومع ذلك فالسواد في هذه الامة يطلب السلام . ولا ريب عند أصحاب الرأي في ان نشوب الحرب يكون في الغالب ايذاناً بانطلاق ثورات داخلية على الحكام

ولكن الشؤون العسكرية أقل شغلاً لافكار الساسة من الشؤون الاقتصادية . ان بعض الكتاب لا ينبي عن تذكيرنا بما هو واقع على ضفة الرين الشرقية ، من تسلح خفي ، وتمرين عسكري . وقد يكون كل هذا صحيحاً ، والغالب ان جانباً كبيراً منه صحيح ، ولكنه ليس في الراجح إلا أثراً من آثار ذلك الشعور بالحرمان . ليس هذا نزعة عسكرية صحيحة . إنه هو إلا نوع من التخدير العسكري. فهذه الافعال ، التي تنطوي على صنع السلاح ، والتمرين العسكري ، تنشىء شعوراً بالرضا والطمأنينة في أذهان قوم يحسون أنهم أذلوا وحرموا وعوملوا معاملة المسود . ان روح الحرب ، تختلف عن هذا كل الاختلاف . وقد تستيقظ روح الحرب ثانية ، اذا تركت الامور تسير في أعنتها ، ولكنها الآن ، مدفونة تحت ركام الحرب الكبرى . أنا لا أصدق أن الالماني الآن يبغي الحرب حقيقة ، وانه فعلا يستعد لها ، إلا اذا كان صوابه قد طار . فلنضع حداً حاسماً لهذا الحديث . ولست أعني بما أقول

ان الحالة لا تنطوي على مخاطر تتفق النفوس ، ولكنها على كل حال لا تسوّغ التحدث بالحرب ، ومنع التحدُّث بالحرب سبيل الى معالجتها

والعلاج لهذين الشعورين ليس إلاَّ الطريقة الدبلوماسية نفسها ، أي إستخراج النفاق من الاعماق ، وتعريضها لضوء النهار . وهذه هي طريقة جمعية الامم. قد لا تكون الجمعية وسيلة لضمان السلامة ، وقد ينقصها عنصر القوة لتأييد ما تتخذه من الاحكام ، ولكنها على كل حال منبر للمناقشة بين الامم « وماثدة مستديرة » يجلس حولها رجال السياسة ، فينسون عما في صدورهم بابداء آرائهم والدفاع عنها . والواقع أن جمعية الأمم انشئت لتكون أولاً وآخراً « مائدة مستديرة » للامم ، تصلح لمعالجة شعور الخوف وشفائه بالاساليب العلمية والانسانية معاً

ولكن هناك من يقول ان هذا وحده لا يكفي ، وانهُ ما ظلّت جمعية الامم ، مكاناً للمناقشة والمناظرة ، غير مؤيدة بضمانات القوة لتنفيذ احكامها ، يظل الشعور بالخوف سائداً ، مسيطراً على العلاقات الدولية . بل يقال ان عجز جمعية الامم عن تعزيز النظام المشترك بالقوة اذا اقتضى الامر ذلك ، قد اضعف من هيبتها وسار بها على طريق الانحلال . ويشيرون الى حادثة اليابان ومنشوكو التي كشفت عن ضعف الجمعية واقامت الدليل على أن الجمعية مقضيٌّ عليها اذا هي لم تعزّز بقوة مسلحة لتحقيق خططها وفرض احكامها فرضاً

ان جوابي على هذه الاعتراضات جواب مزدوج . ففي المقام الاول لا استطيع ان اتصوّر جمعية الامم وهي شاكية السلاح . ان فكرتها الاولى لم تقم على مبدإ القوة ، ودستورها لم يوضع لهذا الغرض . فاذا حوّلت ، الى قوة مسلّحة ، الى نظام غرضهُ خوض الحرب لمنع الحرب ، قضي عليها قضاء مبرماً . ذلك إني لا استطيع ان اتصوّر بلدان « الدومنيون » — في الامبراطورية البريطانية — باقية اعضاء فيها متعهدة ان تخوض غمار الحروب الاوربية مثلاً . فاذا خرجت منها بلدان « الدومنيون » لم يطل المطاف على انكلترا حتى تتفتت اوصالها . ولست اعرف اي عمل آخر ، يكفي لصدّ الولايات المتحدة الاميركية عن الانتظام فيها سدّاً نهائياً مثل تحويلها الى اداة عسكرية من شأنها ان تنفذ احكامها بالسلاح . ويجب ان تذكروا ان الجمعية لا يتمّ تأليفها قبل ان تنتظم فيها الولايات المتحدة الاميركية . فقد انشئت الجمعية على زعم ان الولايات المتحدة الاميركية عضو فيها ، فانسحاب اميركا من عضويتها فوّت على الجمعية حتى الآن معظم اغراضها . ولكن ضمّ الولايات المتحدة اليها يجب ان يبقى هدفاً يسعى اليهِ ، اصدقاء الجمعية ودعاة السلام . ولا ريب عندي في انهُ لا بدَّ من مجيء وقت تنتظم الولايات المتحدة الاميركية فيها او في جمعية هي اشبهُ ما يكون بمؤتمر دوليّ . ولكنها لن تنتظم في وزارة حربية دولية . وانني لواثق أن تحويل الجمعية ، الى عصبة مسلحة ، منافٍ لغرضها الاساسي . بل ان حلَّ المشكلات الناشئة عن شعور الخوف والجزع ، لا يلتمس من هذه الطريق

وفي المقام الثاني ، احبُّ ان أقول ، ان التجاريب ، قد علمتنا منذ انشئت الجمعية ، كيف الخروج من

المأزق . فمعاهدة لوكارنو ، قد أُدمجت في النظام المشترك تحت اشراف الجمعية . ومعاهدة لوكارنو هذه ابتدعت في السياسة الاوربية مبدأ الضمانات الخاصة في منطقة محدودة من الارض تشترك فيها دول معينة غرضها الدفاع المتبادل عن سلامتها تحت اشراف الجمعية وسيطرتها . فهذا الاتفاق لا يحتم على جميع أعضاء الجمعية من دون تفريق بينهم ، استعمال السلاح في حالة خاصّة معينة ، بل هي تربط بين الدول التي لها مصلحة في ذلك وترغب في الانضمام والتعاون على هذا الاساس . والميثاق الشرقي المقترح ، المعروف باسم « لوكارنو شرق اوربا » اتفاق آخر من هذا القبيل ، وكذلك ميثاق أوربا الوسطى الذي وضعت قواعده في روما عند اجتماع لافال بموسوليني في اوائل السنة الجديدة. فاذا كان شعور الخوف في اوربا ، لا يزول الاّ بضمانات من هذا القبيل ، فلتكن ضمانات محدودة مقتصرة على امم معينة ، تهمها هذه الضمانات ، في منطقة خاصة من سطح القارة الاوربية . ان القوى المسلحة التي تستعمل لتأييد السلامة ، يجب ان تكون قوى قومية تحرّك وفقاً لاتفاقات ومواثيق موضوعة ، لا قوى تابعة لجمعية الامم وخاضعة لسيطرتها

اكتفيت حتى الآن بالاشارة الى شعور الخوف وطريقة علاجه . ولكن الشعور الآخر شعور الحرمان متصل به أوثق اتصال . فاذا كان السلام بغيتنا حقيقة لم نجن فائدة ما من معالجة الشعور الواحد دون الآخر . ذلك ان الخوف يستفحل باستفحال الشعور بالحرمان وتلقايه . والشعور بالحرمان يستفحل باستفحال الشعور بالخوف واعتماد اصحابه على زيادة السلاح للذب عن حياضهم وإدخال الطمأنينة على نفوسهم . فالشعور الواحد يغذّي الشعور الآخر ، وكلاهما يفضي الى خطة التسلح بغرض الدفاع عن النفس . فاذا لم يعالج الشعوران معاً ، انتهينا الى حلقة مفرغة آيتها زيادة السلاح . فازالة شعور الحرمان المتغلغل في نفوس الشعب الالماني لازم لتعزيز السلام لزوم ازالة شعور الخوف من نفوس الشعب الفرنسي . وكلاهما لا ندحة عنهُ لنجاح اية خطة غرضها نزع السلاح أو خفضهُ

فكيف نزيل شعور الحرمان الذي يسم ذهن المانيا ونفسها ؟ ليس لذلك الاّ سبيل واحدة وهي الاعتراف لها بالمساواة التامة بالدول الاخرى ، وان يكون هذا الاعتراف صريحاً ومن دون تحفّظ. وما لم نعمد الى الجرأة والسرعة في اتخاذ هذه الخطوة يظل الجرح الاوربيّ منطوياً على دغل

ان الباحث يفهم المخاوف التي تقلق صدر فرنسا ، ولكنهُ في الوقت نفسهِ لا يسعهُ الاّ أن يفهم كذلك ما تحسّ بهِ المانيا لانها لا تزال في مكان ثانوي بين الامم ، وقد انقضت ست عشرة سنة على انتهاء الحرب . انّ بقاءها على الحالة التي نصّت عليها معاهدة ڤرساي ، أصبح امتهاناً لضمير اوربا وخطراً على السلام . أن شرعة الانصاف ، بل والحكمة العملية ، تقتضيان تحطيم القيود التي قيدت بها ، فتجني اوربا عند ذلك حصاد الطمأنينة والرخاء . يظن بعض الناس أن النخوة والشهامة لا مكان لها في السياسة الدولية . ولكنني رأيتهما في بلادي ، تبدلان حالة منطوية على اخطار عظيمة ، بصداقة محكمة بين الغالب والمغلوب . هذه طبيعة الانسان. واذا صحّ ان لا مكان في السياسة الاوربية

للخطوة والشهامة ، فلا ريب أن فيها مكاناً للحصافة والحكمة . وكلتاهما تقضي بمواجهة الحقيقة قبل أن يفوت الأوان ، فلنستأصل شعور الحرمان الذي يوغر الصدور

منحت المانيا مبدأ المساواة في ديسمبر سنة ١٩٣٢ ، لما اتفقت الدول الكبرى في مؤتمر نزع السلاح على ذلك . ولو أن المؤتمر خطا الخطوة العملية نحو تحقيق هذا المبدإ لكانت المانيا اليوم عضواً في جمعية الامم ، لا باعثاً من بواعث الاضطراب والقلق خارجها ، ولتمخضت في الغالب الاتفاق على خفض السلاح خفضاً كبيراً على اساس مقترحات الحكومات البريطانية . ولكنها اليوم خارج حظيرة الجمعية ، وموقفها من التسلح المخالف لمعاهدة فرساي ، محوط بالريب منطوٍ على الخطر . هوذا شعور الحرمان يستحيل فيغشى شعور الخوف ، وشعور الخوف يتفاقم فيقوّي شعور الحرمان . والنتيجة نوع من التنافس في التسلح لا يعلم احد مداهُ وعواقبه

قد تكون مبادىء النظام النازي مما لا يسيغهُ رجال السياسة في بعض الدول الاوربية . ولكن ذلك يجب ألاّ يكون حائلاً دون الاعتراف لألمانيا بالمساواة . فيقضي بذلك على الشعور الذي يعتمد عليهِ النازي في اثارة كوامن الصدور . وها هي ذي روسيا ، رغماً من شيوعيتها ، قد أصبحت عضواً نافعاً في مجامع الأمم ، ولا ريب عندي في أن الضرورة التي تقتضي عودة المانيا الى مجامع الأمم ، لا تقل عن الضرورة التي اقتضت عودة روسيا اليها

أعلنت ألمانيا في آخر سنة ١٩٣٣ أنها اذا منحت مبدأ المساواة في الحقوق ، رضيت مختارة أن تجعل سلاحها الدفاعي ضمن حدودٍ معينة ، بحيث لا يكون خطراً على جيرتها . وقد اعترف أهل الخبرة ، في هذه البلاد على الاقل (انكلترا) بأن مقترحاتها معقولة وتصحُّ أن تكون أساساً للبحث . هذا قرار وضع من نحو سنةٍ ولكنهُ لا يزال حبراً على ورق . ان روح الخذلان متفشية في مختلف البلدان والشعوب تهزُّ أكتافها قاطعةً حبل الأمل في النجاح . وهذه روح ليست جديرة بالذين تلقّنوا في الحرب الكبرى درس الصبر والثبات ، كائناً تلبد الجوّ بغيم الخيبة ما كان . ولا يزال ثمة مكان لمحاولة حازمة غرضها اعادة المانيا الى جمعية الأمم ومؤتمر نزع السلاح . بيد ان ساسة اوربا يجب أن ينقّوا عقولهم ، من آثار السموم — سموم الخوف والحرمان — ويجب أن يستنهضوا شجاعتهم لاتخاذ الخطوة الحاسمة ، واعلان مساواة المانيا بالدول الأخرى . فانهم اذا لم يفعلوا ذلك بالاتفاق ، تمّ ما يخشونهُ رغماً عنهم . ولكن الفرق بين الحالين ، ان المانيا في حالة الاتفاق لا تكون خطراً يهدد جيرتها ، أما اذا بلغت المساواة من دون اتفاق ، كان عملها تحدياً لنظام المعاهدات ، ولتسلحها مطلقاً من القيود ، فلا يعلم مداهُ ، فيتمّ حينئذٍ في موضوع التسلح ما تمّ في موضوع التعويضات . عند ذلك تكون السياسة قد أفلست ، ويبقى الحكم للحوادث وحدها [1]

(١) وقف الجنرال سمطس بقية مقاله على الشرق الاقصى ، وهو موضوع سوف نفرد له بحثاً مستقلاً في عدد تالٍ

مملكة المرأة

المعادن في اللبن

المرأة الفرنسية وحق الانتخاب

الحب والمغازلة في روسيا السوفيتية

مقويات الجمال

زيت كبد الحوت وفعله

للدكتور عبده رزق

سلامة الاطفال

رأس فتاة

صورة قديمة للمصور الهولندي جان فرمير — كشفت حديثاً

المعادن في اللبن

وحاجة الجسم الى الكلسيوم والنحاس والحديد

اسباب لين العظام وفقر الدم

ان الذين يشربون اللبن الحليب يعلمون انهُ طعام طبيعي مغذٍّ ولكنهم قلما يدرون انهُ يحتوي على ٢٥ صنفاً من المعادن المتباينة . قد يعلمون مثلاً انهُ من افضل المصادر لاملاح الجير مثل فصفات الجير ، ولكنهم ولا ريب يدهشون اذا علموا ان في اللبن معادن مثل الليثيوم والسترونشيوم والفناديوم والروبيديوم والتيتانيوم والجرمانيوم وجميعها من العناصر النادرة

ان المواد الجامدة في سائل اللبن لا تزيد على جزء من ١٢ منهُ . والمواد المعدنية لا تزيد على واحد في المائة . ولكن هذا المقدار اليسير يشمل نحو ثلث العناصر المعروفة . وليس في وسع الانسان ان يرى هذه العناصر ، لانها اما معلقة فيهِ في دقائق صغيرة جدًّا ، او مذابة فيه ، او داخلة في تركيب بعض المواد التي يحتوي عليها سواء أكانت عضوية ام غير عضوية . وبعض هذه المعادن توجد منهُ مقادير كبيرة — نسبيًّا — والبعض الآخر لا يوجد منهُ الاَّ آثار يسيرة جدًّا ، لا يمكن قياسها ولا كشفها الاَّ بالكواشف الكيماوية الدقيقة او بالحل الكيماوي

واهم المعادن فيهِ بحسب ترتيب مقاديرها هي الكلسيوم والبوتاسيوم والفصفور والكلور . ثم يليها الكبريت والمغنزيوم والحديد . ويلي هذه السلكون والبور والعناصر النادرة التي تقدم ذكرها وليس فيهِ منها الاَّ آثار قليلة . واحياناً يعتبر الكيماوي عند حل اللبن بالوسائل الكيماوية على آثار لعناصر الباريوم والكروم والقصدير والفضة

ولما كانت المعادن في اللبن لا تزيد على واحد في المائة منهُ ، فبقية مركباته ، من المواد العضوية وهي مركبة من الايدروجين والاكسجين والكربون والنتروجين ، ومنها تتركب القصدة والمواد البروتينية وسكر اللبن . والكبريت يدخل في تركيب اهم المواد الزلالية (البروتينية) التي في اللبن واهمها الجبنين اي المادة الجبنية واسمهُ العلمي « كاسين »

واهم المعادن في اللبن عنصرا الكلسيوم والفصفور ، لانهُ لا غنى عنهما في بناء العظام . فاذا كان غذاء الاطفال يعوزه الكلسيوم تأخر نموهم ، فاذا استمرَّ هذا النقص في الغذاء او اذا كان الجسم تعوزه المواد اللازمة لتمثيل الكلسيوم ، اصيب الاطفال بلين العظام وتقوسها ، والمتقدمون في السن يحتاجون الى الكلسيوم ولكن حاجتهم اليه ، اقل من حاجة الاطفال ، وتزداد حاجة النساء اليه عند ما يكنَّ حوامل

وقد اثبتت التجارب ان الجسم البالغ يحتاج يوميًّا الى غرام من الكلسيوم ، ولما كان مقدار

الكلسيوم في اللبن يبلغ ١٢ في الالف ، فيحتاج الجسم النامي الى تناول كيلو غرام من اللبن يومياً للحصول على ما يحتاج اليهِ من الكلسيوم ، اذا اعتمد على اللبن وحده . ومما يحسن ذكره ، ان الكلسيوم في اللبن ، مركب تركيباً يجعل خزنه في الجسم سهلاً ، واستعماله ميسوراً . واما الكلسيوم الذي في النبات فلا يجاريه من هذا القبيل

ثم ان كيلو اللبن ، يجهز الجسم بمقادير حسنة من الفصفور والمواد البروتيدية والفيتامين وهي كلها مما لا ندحة للجسم عنه . والجسم يحتاج الى فيتامين (د) لتمثيل الكلسيوم . واللبن يحتوي عليهِ ، ولكن ما فيه لا يكفي فيجب الحصول عليهِ من المواد الغنية به مثل زيت السمك وصفار البيض . وتمكن زيادته في لبن البقر باضافة الخميرة التي عرضت للاشعة الى طعامها

ومن فوائد الكلسيوم تأثيره الطيب في الجسم تأثيراً يمكنهُ من تمثيل الحديد . نعم ان مقدار الحديد في اللبن قليل جداً لا يزيد عن مليغرامين في الكيلو غرام ولكن هذا المقدار اليسير ضروري للنمو التام

وقد أثبت البحث الحديث ان النحاس ضروري للجسم لان تمثيله مع الحديد لا ندحة عنهُ في تكوين بعض عناصر الدم المهمة — أي الهيموغلوبين وهو المادة الاساسية في كريات الدم الحمر — وقلة الهيموغلوبين تسبب الانيميا أو فقر الدم ، والنحاس في الدم قليل وبوجه خاص اذا قورن بما يوجد منهُ في الكبد والجوز واللوز والخضراوات والحبوب — فغذاء يحتوي على خبز القمح واللبن يكفي لتجهيز الجسم بما يحتاج اليهِ من الحديد والنحاس ، بل انهُ يكفي لتجهيز الجسم بكل ما يحتاج اليهِ من جميع الوجوه ويصلح لحفظ الحياة مدى غير محدود

الصبيان

بين البنات والصبيان

قرأ الاستاذ « وتي » مدير العيادة النفسية الهذيبية بجامعة نورث وسترن الاميركية رسالة امام مجمع تقدم العلوم الاميركي بدد فيها الوهم القائل بأن الذكور يفوقون الاناث عقلاً ، وان عدد النوابغ والعباقرة بينهم اكثر منهُ بينهن

قال الاستاذ وتي : ومما ايد هذا الوهم تفوق عدد كبير من الرجال في الموسيقى والعلم والادب . والتجارب التي اجريت على طائفة صغيرة من الاطفال المتفوقين

على ان هذه التجارب تسير الى عكس النتيجة الاولى اذا اجريت على طائفة كبيرة من البنات والصبيان . وقد اجرى هو تجاربه على ١٤١٤٩ صبياً و١٣٤٩٣ فتاة فوجد ان نسبة المتفوقين في الصبيان الى المتفوقات في البنات ليست ٢ الى ١ كما كان يقال بل ١ الى ١ تماماً

المرأة الفرنسية
وحق الانتخاب

في فرنسا اليوم حركة عظيمة الغرض منها منح النساء الفرنسيات حق الانتخاب وكذلك حق دخول البرلمان وقد كانت الصحف في طليعة من اشترك في هذه الحركة طبعاً فاتفق معظمها على وجوب منح النساء هذين الحقين بعد ما اعترف لهنّ بهما السواد الاعظم من شعوب الارض

ويؤخذ مما جاء في الصحف الفرنسية ان المسيو لويس لوران وزير المستعمرات الفرنسية وهو من اكبر انصار المرأة خطب في مؤتمر عقد اخيراً لتأييد حق النساء الفرنسيات في الانتخاب فقال :

« ان قضيتك عادلة قانوناً ومنطقاً وعندي ان الذين يحاربونها لا يعترضون عليك الاّ بأسباب واعذار تافهة واهية »

وقد كانت جريدة « الطان » في مقدمة الصحف المتحمسة للمرأة الفرنسية فعقدت لذلك فصلاً افتتاحيًّا استهلّته بتعداد المهام التي كانت الاجيال الماضية ترى انها هي وحدها المهام التي يجب ان تلقى على عاتق المرأة ويعنى بها مهام البيت والاسرة فلما نالت نساء بعض البلدان الاخرى حق الانتخاب وطالبت النساء الفرنسيات بمساواتهن قال بعضهم ان المرأة ضعيفة وعصبية المزاج فلا يليق بها ان تشتغل بالسياسة وبالتالي لا يجوز منحها حق الانتخاب . وذهب آخرون الى القول ان المرأة سخيفة

« غير ان كل هذا انقضى عهده وقد تحول العالم حتى اصبح في استطاعة الكاتب ان يقول ان الحرب قضت على تلك العبارات بعد ما أثرت في النفوس زماناً طويلاً

« ومما لاشك فيه ان المرأة تظل حارسة البيت عند ما يكون لها بيت ولا ريب كذلك في انها تظل نور هذا البيت ولكن كم من امرأة تضيف الى هذه المهمة مهمة القيادة وكم من امرأة تعمل الآن خارج البيت وتنهض بأعباء كانت حتى في عهد غير بعيد من اختصاص الرجال وحدهم . غير ان الايام عززت شخصية المرأة وقيمتها فتفوقت احياناً على شخصية الرجل وقيمته

« ولماذا نخشى ايجاد فرقة من النساء السياسيات ؟ فهل افضى تمتع الرجال بحق الانتخاب الى صيرورة جميع الرجال ساسة ؟ بل على الضد من ذلك ان اشتغال المرأة بالسياسة قد يساعد على ازالة بعض الظلم الذي مايرح قائماً فيما يختصّ بالطفل بل فيما يختصّ بالمرأة ذاتها

« ويعترض بعضهم على منح النساء حق الانتخاب بحجة انهُ يؤدي الى نشوء اضطرابات سياسية عظيمة . فهل وقعت انقلابات كالتي يخشونها في البلدان التي منحت المرأة هذا الحق الذي لم يعد في ميسور احد ان ينازعها فيه؟ وعلى ذكر هذا نقول اننا لا نعرف بلاداً ما تأثر نظام الحكم فيها من جراء تمتع النساء بحق الانتخاب

« بل أننا نخشى أن يفضي عدم الاعتراف للمرأة الفرنسية بحقها في الانتخاب الى وقوع

اضطرابات لانهُ ليس معقولاً أن نظن في بلاد دمقراطية كفرنسا ، فئة مهمة من الشعب كفئة النساء مبعدة الى الابد عن الاعمال العامة من دون أن يضر ذلك بالدمقراطية ذاتها

ولا ينازع منازع في أن نظام الحكم الحالي يعوزه دم جديد وفي كل مكان يلهج الناس بضرورة تحقيق وجوه من الاصلاح لا يبعد أن يساعد على تحقيقها الاعتراف للنساء بحقوقهن

« ومما هو جدير بالذكر أن الذين يعارضون في حق المرأة الفرنسية في الانتخاب هم أنفسهم الذين يعارضون في كل إصلاح وتحوُّل في الدولة

« وعندنا أن قانون الانتخاب لا يستوفي اصلاحه الا اذا نصَّ على حق المرأة في الانتخاب كناخبة وكمنتخبة يجوز لها أن تجلس في البرلمان جنباً إلى جنب مع الرجال » اه مقال الطان

الحب والمغازلة

في روسيا السوفيتية

يقول كاتب اوربي عاد حديثاً من روسيا ان الحكومة السوفيتية « الغت الحب » من بلادها لانها تراه مجرد عبث واضاعة وقت فيما لا طائل تحته

وترى هذه الحكومة ان تقاليد الخطبة القديمة لم يعد ثمة ما يسوّغها وانهُ من السخف ان يمضي المرء شهوراً وأياماً في صداقة فتاة قبل ان يجرؤ على طلب يدها او الاباحة لها بما يكشف فؤاده

ويقضي النظام الجديد في روسيا على الفتى الروسي طالب الزواج ان يذهب الى الفتاة التي يريدها زوجة له ويقول لها :

— انا عامل اعمل في مصنع النسيج (مثلاً) ورقمي كذا (ويذكر رقمه) وقد علمت انك تشتغلين في المحل الفلاني ويذكر اسمه فهل تريدين ان تتزوجي وبمجموع اجرتي واجرتك الاسبوعية يكفينا

— هل لك غرفة خاصة تقيم فيها — كلاَّ ولكن لك انت غرفة فلماذا لا تسكنها

فاذا تم الاتفاق بينهما قصدا الى مكتب التسجيل حيث يوزن كل واحد منهما على انفراد ثم يكشف عليهما الطبيب ايضاً فاذا قرر سلامتهما ذهبا الى موظف خاص ووقّعا امامه ورقة يعترفان فيها بأنهما زوجان ثم يذهبان الى غرفتهما من دون ضجيج ولا احتفال

ويتعلم شباب روسيا ان الحب مضيعة للوقت والمغازلة هباء والقبلات والعواطف عبث وانهُ جدير بالرومي ان يستعيض من هذا كله بالبحث عن الزوجة السليمة القوية القادرة على العمل والانتاج

والزوجة في روسيا ما للزوج من الحقوق فهي تذهب معهُ في الصباح الى العمل وتشتغل كما يشتغل والذي ينهض منهما قبل الآخر من النوم يعد الطعام لرفيقه اي ان الزوجة فيها لا تكلَّف ما تكلَّفهُ الزوجات في البلدان الاخرى

مقومات الجمال

سئل جماعة من النساء المشهورات بجمالهن اللواتي بلغن سن الكهولة او كدن يبلغنه : « كيف بلغتن هذا السن ولم تزلن جميلات الوجه معتدلات القوام ؟ » فكتبن الاجوبة التالية

قالت الاولى : — الصحة أزم اللوازم اذا اريد الاحتفاظ بالجمال رغماً عن التقدم في السن . وقد ارائي الاختبار ان راحة البال ضرورية لحفظ الصحة وان جمال المنظر احدى نتائجها فتتمتع صاحبتها بالصبا الدائم

لكن هذه الراحة لا تنال بالادوية ولا بالمسكنات والفضل في ابتعادي عن الادوية لطبيعي فانهُ يحتقرها كلها ولقد طالما قال لي انكِ تفكرين بنفسكِ فتتعبين فاجتهدي لكي تنسي نفسكِ بالرياضة . فاتبعتُ مشورتهُ فوجدت سرَّ السعادة في الرياضة فانها تجعل الجسم خاضعاً للعقل فلا يبقى حملا ثقيلاً عليه بل لا يعود يشعر بهِ بل يصير العقل يأمر والجسم يفعل ما امرهُ بهِ خاضعاً مطيعاً . ومتى خضع الجسم للعقل فهناك الصحة والسرور وما السرور الاَّ راحة البال وهو ابو الجمال وامهُ . هناك طلاقة الوجه وحسن المحيا وبهجة الشباب ولو في سن الشيخوخة . افتكري بشيء يسركِ حتى تعرق الشرُّ تلكِ وانظري حينئذٍ في المرآة فترين ان قد ابرقت عيناكِ واحمرَّت وجنتاكِ وعاد اليكِ صباكِ

والحزن يفعل ضد ما يفعله الفرح . تغور بهِ العينان ويمتقع الوجه وتنحني المفاصل . واذا توالى على المرأة رسخت آثارهُ في وجهها وقامتها . المسرور يطفح وجههُ سروراً والحزين يخيم الحزن على وجههِ وعلى كل ما يحيط بهِ . المسرور يسرُّ الذين حولهُ والحزين يحزنهم . وطلاقة الوجهِ ليست من المزايا الطبيعية بل هي صفة مكتسبة ، هي جوهرة ثمينة تكتسب بالتمرين والممارسة

اذا لم يكن القوام على ما يراد فالرياضة تصلحهُ فاذا كان الصدر ضيقاً فالتنفس المستطيل يوسعهُ وقد يصحبهُ شيءٌ من الدوار في اول الامر ولكن هذا الدوار يزول بالتكرار ويتسع الصدر رويداً رويداً ويظهر اتساعهُ جليًّا في شهر من الزمان

لكن اغناء الجسم وتجميلهُ لا يكفيان من غير اغناء العقل وتجميلهِ بالمعارف فعلى مَن تريد ان تكون جميلة جسداً وعقلاً ان تطالع انفس الكتب التي وضعها ابرع المؤلفين . ولا داعي للاكثار من المطالعة فان في قراءة صفحة واحدة من كتاب نفيس ما يغذي العقل ويصرفهُ عن الهموم والغموم . والمرأة التي تواظب على مطالعة الكتب المفيدة النفيسة لا يمضي عليها سنتان حتى تشعر كأنها صغرت عشرين سنة عمرًا كانت ولو لم تقرأ الاَّ بضع صفحات كل يوم لان العقل اسرع نموًّا من الجسد . والخلاصة ان صحة العقل والجسد هي سر السعادة والشباب والجمال

وقالت الثانية : — اني على يقين تام ان الاكثار من الرياضة في الهواء لازم لحفظ الصحة والشباب والجمال . اما الوسائل التي تستعمل لتحسين الوجه فلم اعبأ بشيء منها وكل ما استعملتُ من هذا القبيل مادة دهنية نقية فانها افضل ما يكون لتلين الجلد . اما لون الوجه فيترقرق على الصحة وهي شيء داخلي لا خارجي . وعندي ان قضاء ساعتين او ثلاث كل يوم في الرياضة البدنية افضل لحفظ الصحة والجمال من كل العلاجات والمحسنات

والعمل الشاق لا يُهلك الجسم الاّ اذا عملهُ الانسان عن اضطرار لا عن اختيار وعن كره لا عن رغبة اما الذي يحبُّ عملهُ ويرغب فيهِ فلا ضرر عليهِ منهُ مهما كان شاقًّا . وحبُّ العمل سرٌّ من اسرار حفظ الصحة وطلاقة الوجه وجمال المنظر . لكن الاستمرار على العمل يفني الجسم اخيراً فلا بدَّ من الراحة آونة بعد اخرى ، وابدال الشغل العقلي بالرياضة البدنية ، ولتكن في لعب يسرُّ بهِ المرء كالتنس فان اللعب الجسدي المعلي خير من الاقتصار على المشي

ولا بدَّ من صرف الغم عن القلب . ولقد كان الغم والهمُّ نصيبي فكنت اغتمُّ لكل فائت واهتمُّ لكل آتٍ فوجدت ان ذلك اضنى جسمي واسرع بي الى الشيخوخة فحتمت على نفسي ان لا اغتمَّ لفائت بعد ان اكون قد بذلت جهدي فيهِ ولا اهتم لآتٍ مهما كان

ثم ان كثيرين من الناس تراهم مرضى خوفاً من المرض وما مرضهم الاّ الوهم اما انا فقد عوّدت نفسي الاعتقاد باني صحيحة الجسم ناعمة البال وان كل الاشياء تعمل معاً للخير

واخيراً اقول انني لا استحسن ان يضع الانسان لنفسهِ قواعد يجري عليها وحدوداً لا يتعداها في كيف يقضي كل يوم من ايامهِ لان هذه القواعد والحدود تصير عبئاً ثقيلاً عليهِ . والعبء الثقيل شقيق الهم والهمُّ يميت الصحة التي هي ام الشباب والجمال

***

وقالت الثالثة : — لا يليق بي ان اقول كيف احفظ جمالي لاني لست جميلة ولكنني اقول كيف احاول ان احفظ صباي . وعندي ان حفظ الصبا اهم من حفظ الجمال لان الصبية لا تموت مرتين كالجميلة . ومن المرأة يتوقف على شعورها واذ اني لا اشعر بالتقدم في السن فانا لا ازال في سن الصبا وزد على ذلك اني ما دمت مواظبة على عملي فانا مواظبة على صباي . وسر الصبا هو سرور العامل بعمله ومن يريد ان لا يفارقهُ صباهُ فعليهِ ان يواظب على العمل ما استطاع الى ذلك سبيلا

اما الطعام فيختلف باختلاف الاشخاص لان ما ينفع القواعد قد يضرُّ الآخر لكن الاختبار الطويل قد علمني ان البساطة في المآكل تحفظ الصبا والجمال . اما حفظ الصبا الذي هو حفظ الجمال فيقوم بالرياضة الكثيرة في الخلاء حيث الهواء النقي

وخلاصة المقال ان حفظ الصبا والجمال يقوم ببساطة المآكل وانتظام الرياضة والانصباب على العمل وصرف الهم عن القلب . وقد قضت الضرورة ان استشير الطبيب احياناً ولكنني لا اعمل بمشورته

زيت كبد الحوت

للدكتور عبده رزق

لا يخفى ما لزيت كبد الحوت وصفار البيض النيء والدهن المستخرج من الجوز الهندي من الخواص المفيدة ضد الحتل أو الكساح . كذلك من جهة اخرى لنور الشمس ولا سيما أشعتهُ التي فوق البنفسجية فائدة كبيرة على ما أثبتتهُ التجارب العلمية في السنوات الاخيرة . فهذا التشابه في التأثير حمل بعض العلماء على التساؤل عن هناك علاقة وثيقة بين زيت السمك ونور الشمس ، كعوامل من ناحية العلاج ، وهما كما نرى من عناصر مختلفة جدًّا

ويؤخذ من الاختبارات العديدة والبحوث المتواصلة التي يواليها العلماء من سنة ١٩٢٢ حتى الآن أن العلاقة المذكورة قائمة فعلاً بشكل يبعث على الدهشة والعجب . اذ قد لاحظ أنهُ اذا اخذنا مثلاً طائفة من الارانب أو الجرذان ، وأعطيناها أصنافاً معينة من طعام تسبّب عادة داء الكساح ، تبقى سليمة من هذا الداء عند ما نعرّضها للأشعة التي فوق البنفسجية . كذلك تبقى متمتعة بصحة تامة عند ما نضع معها في أقفاصها جرذاناً أو أرانب أخرى كانت قد تعرّضت قبلاً لذات الاشعة . فهذا النوع من المناعة يحصل على ما يظهر بطريق غير مباشر ويحتمل أن يكون حدوثهُ بواسطة براز تلك الحيوانات بعد تعرّضها للأشعة المذكورة

فهذه النتائج غير المنتظرة مهدت السبيل اذ ذاك للبحث عما يمكن أن يكون العنصر الموجود في أعضاء تلك الحيوانات ، الذي يمنع ظهور الكساح . وقد اتضح بعد ذلك ان هذا الفعل لا يقتصر على الجرذان أو الأرانب التي تغتات من أصناف معينة من طعام يولد فيها الكساح ولكنها تبقى سليمة من هذا الداء متى أضفنا الى طعامها هذا الكبد أو العضلات من جرذان اخرى قد تعرضت قبلاً لتلك الاشعة ، بل انها أيضاً لا تصاب بالكساح اذا اعطيت الدقيق بعد تعريضه لنفس الاشعة

فاذا أضفنا الى هذا الحادث الخطير ما هو معروف الآن عن زيت كبد الحوت جاز لنا أن نعتقد ان خواص هذا الزيت المانعة للكساح يجب أن يكون مصدرها النور الشمسي ، وانهُ ممكن ولا شك إكساب تلك القوة للزيوت الاخرى بتعريضها للأشعة التي فوق البنفسجية . وفي الواقع قد عرّض لها زيت الزيتون وشحم الخنزير وزيت القطن فاكتسبت نفس الخواص التي اشتهر بها زيت كبد الحوت وبنفس الدرجة — على شرط أن تكون هذه المواد طازجة ومدة تعرضها للأشعة قصيرة . وعلى نقيض ذلك كانت دهشة العلماء عظيمة لما تبين لهم أن زيت كبد الحوت والدهن المستخرج من الجوز الهندي مع الزيوت الاخرى ، تفقد خواصها الطبيعية المانعة للكساح عند ما تعرّض مرة ثانية للاشعة ذاتها

فخواص زيت كبد الحوت ، مع الزيوت الاخرى ، ضد الكساح ، تكتسب اذاً والحالة هذه الصفات من أول تعرّض للنور الشمسي سواء أكان ذلك بطريق مباشر وقت تحضيرها أم بطريق غير

مباشر كما هي الحال مثلاً في زيت كبد الحوت . لان الحيتان كما هو معلوم تقتات بالاسماك التي في المياه العالية وهذه تتغذى ببعض النباتات البحرية التي تخزن نور الشمس كما تفعل النباتات على سطح الارض . والذي يؤيد هذه النظرية الصائبة هو أن دهن الجوز الهندي الذي يستخرج فور وصول هذا الجوز الى المعامل يكون دائماً عديم المفعول وليس له أي تأثير ، بعكس دهن الجوز الهندي التجاري المجفف في الشمس الشديدة . وما تقدم ذكره عن الزيوت والادهان يقال أيضاً عن كافة أنواع الاطعمة : كالحليب والزبد واللحم وأنواع الدقيق والبقول والأثمار حتى الاطعمة المركبة من هذه المواد — على شرط أن تكون نقية ، فتحوز حينئذٍ تلك الصفات المانعة للكساح وتزيد مقادير الفوسفور الذي في المصل الدموي وبالتالي تساعد على تكلس العظام

وعدا ذلك فهذه الاطعمة التي اختزنت الاشعة الشمسية بفضل تعريضها للاشعة التي فوق البنفسجية تبيد الجراثيم اتفتاكة وتؤثر في خلايا الجسم فتزيدها مناعة وقوة

فهذا الاكتشاف الذي لا يزال اليوم في مهده ، أو في أدواره الاولى من الاختبار ، سيكون على ما يظهر عظيماً بنتائجه وقد يحدث انقلاباً مهمًّا في علم العلاج . وعلى كل فهو يؤيد لنا مرة أخرى وجود تلك الغريزة التي تسوق الانسان منذ أبعد الازمنة الى تجربة استعمال الادوية ، كزيت كبد الحوت ، الذي لم يكن أحد يشك في منافعه الخاصة ضد المرض الذي يستعمل لأجله

عادة شرب الشاي

كتب طبيبان انكليزيان — هما الدكتور مايل والدكتور بسكت طبيبا شرف في مستشفى فكتوريا — مقالاً في جريدة اللانست الطبية قالا فيه انهما لا يفهمان الحكمة من العادة الشائعة وهي عادة تناول الشاي في الساعة الرابعة والنصف الى الساعة الخامسة مساء . وقد بنيا رأيهما على دراسة طول المدة التي يلبث فيها الطعام في المعدة بعد تصويرها مراراً باشعة إكس . فقد ثبت لهما أن الطعام يبقى في المعدة بعد تناوله من ٢ ١/٢ ٣ ساعة إلى ٢ ١/٢ ٤ فالذي يتناول طعام الافطار في الساعة الثامنة والنصف صباحاً تكون معدته قد خلت منهُ في الساعة الثانية عشرة والنصف الى نحو الساعة الواحدة واذن فيكون تناول طعام الغداء في الساعة الواحدة بعد الظهر عملاً معقولاً من الناحية الطبية

ولكن المدة التي تنقضي بين تناول الغداء (الساعة ١ — ٢ بعد الظهر) وشرب الشاي — أو أكل الشاي كما يقول الانكليز لانهم يأكلون معهُ قدراً لا بأس بهِ من الخبز والزبد والكعك — في الساعة الرابعة والنصف ، لا تكفي لهضم طعام الغداء في المعدة وخروجه منها . ولذلك يفضلان أن يقدم طعام العشاء الى الساعة السادسة أو السادسة والنصف على أن يمتنع عن اكل الشاي في الساعة الرابعة والنصف فتصيب المعدة قليلاً من الراحة قبل العشاء . وهذا يمكن الذين يسهرون من تناول شيء من الطعام حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً

سلامة الاطفال

لوجوب الاعتناء بالأطفال أسباب دينية وأدبية معلومة . ولهُ سبب اجتماعيٌّ عظيم الشأن ، تقيم لهُ بعض الدول الآن وزناً كبيراً ، على ما نراهُ في ايطاليا الفاشستية وألمانيا النازية من الحثّ على وجوب الزواج واخلاف النسل . ذلك أن الشعوب الكبيرة القوية تكون في عزة ومنعة واطمئنان أكثر من الشعوب الصغيرة الضعيفة . وإننا لنرتاب جدًّا في تمكن المؤتمرات والمواثيق من ضمان الاستقلال والأمن والسلامة والراحة للشعوب الصغيرة الضعيفة مهما بذلوا في هذا السبيل من السعي والجهد ، لان تنازع البقاء قد يتغلب على جميع الحقوق الأدبية والاجتماعية ، إذ أنهُ سبب طبيعي . والطبيعة قلما تقهر بمثل هذه السرعة

وسواءٌ كان حفظ حياة الاطفال مبنيًّا على أساس ديني أو على اساس أدبي واجتماعي ، فالقول بوجوبه يقبل به كل أحد ، وقلما يجرؤ أحد أن ينقضهُ عمداً اذا عرف الاسباب التي تميت الأطفال أو تجعلهم يعيشون مرضى ضعافاً والوسائل التي تقيهم من ذلك

ويمكن قسمة هذه الاسباب الى قسمين كبيرين . الاول الاسباب التي تؤثر في الطفل وهو جنين ثم في الايام الاولى بعد ولادته . والثاني الاسباب التي تؤثر فيه في السنوات الاربع الاولى من حياته

قبل الولادة وبعيدها [1]

الراسخ في الاذهان أن حياة الجنين من حيث قوته وضعفه متوقفة على صحة أمه فقط ، والحال أنها متوقفة أيضاً على صحة أبيه . فاذا كان أحد والديه مصاباً بالزهري مات جنيناً قبل أن يولد ، أو ولد ضعيفاً سقيماً . فلا يجوز للوالدين أن يتزوجوا ابنتهما برجل الاَّ اذا كان معهُ شهادة من طبيب تقرُّ بأنهُ خالٍ من هذا الداء الخبيث : ومن اصيب به وعولج العلاج الواجب قبل تغلغله في الجسم فقد يشفى منهُ تماماً وحينئذٍ يحلُّ لزوجهِ

ويظنُّ أن حالة الحامل البدنية من حيث كونها تغتذي الغذاء الكافي أو لا تغتذي لا تؤثر في صحة جنينها . ولكن هذا الظن غير صحيح . فقد ظهر بالاحصاء . ان الحوامل اللواتي لا يغتذين الغذاء الكافي يكثر اسقاطهنَّ لأجنتهنَّ . فان الأجنة الذين يموتون في بطون أمهاتهم اكثر بين الفقراء الذين لا يغتذي نساؤهم الغذاء الكافي ، منهم بين الاغنياء ، واذا لم يتأثر الأجنة من قلة تغذية أمهاتهم فانهم يتأثرون بعد ما يولدون من قلة لبن امهاتهم

(١) نرجو قارئات المنتطف ان يراجعن فصل العناية بالحامل الذي نشرناه في مقتطف فبراير الماضي صفحة ٢٣٠

وقد ظهر حديثاً ان بعض العناصر لا نستغنى عنها في غذاء الحوامل . وفي مقدمتها اليود . وهو يوجد في بعض الاطعمة في مقادير قليلة جداً ، ولكنها مع ذلك لا تستغنى عنها لسلامة الجنين . وقد جربت التجارب في بعض الحيوانات المولودة فتبين ان اليود عنصر ضروري لسلامة الجنين ومنع الاجهاض

وما يقال عن قلة غذاء الحوامل والمراضع يقال عن تشغيل الحوامل بأعمال عنيفة في الأشهر الاخيرة من شهور الحمل فان الاعمال العنيفة قد تفضي الى اسقاط الجنين

وقد لا يموت الجنين من السببين الأولين ، بل يولد حيًّا ثم يموت في الأسبوع الأول بعد ولادته . اما لان احد والديه مصاب بمرض خبيث او لأن بدن والدته لم يغذه الغذاء الكافي لجعل جسمه يحتمل العوارض التي تعرض له بعد ولادته

بعد الولادة

العناية بالطفل بعد الولادة من الناحية الصحية من اوجب الواجبات على الوالدة لانهُ قد ظهر بالاحصاء في البلاد الانكليزية ان وفيات الاطفال في الشهر الاول بعد ولادتهم تكون في المدن اكثر منها في الارياف . وفي بعض المدن اكثر منها في غيرها . وفي بعض الاحياء في المدينة الواحدة اكثر منها في احياء اخرى . ويستدلُّ من ذلك على ان لكثرة الوفيات اسباباً يمكن منعها لأنها ممنوعة في بعض الأماكن . واظهر ما وضح من ذلك ان وفيات اطفال الفقراء تكون مثل وفيات اطفال الاغنياء في الأسبوع الأول بعد الولادة ثم تزيد وفيات الفقراء على وفيات الأغنياء الى اربعين في المائة في الشهر الأول . ووجد مدير الاحصاء في بلاد الانكليز سنة ١٩١١ ان وفيات الاطفال الذين سنهم أقل من شهر تختلف باختلاف اعمال الوالدين من ٣٠ في الالف اذا كان الوالدون موسرين الى ٤٦ في الالف اذا كانوا معسرين

وقد قابل الدكتور ستيفنصن بين ٨٤٣٢٩٣ طفلاً ولدوا في وقت واحد سنة ١٩١١ وبين وفياتهم فوجد ان الذين كانت وفياتهم في الشهر الأول بعد ولادتهم اقل من ٢٥ في الألف ، كان والدوهم تجاراً واطباء ومصورين ونقاشين وصناعاً والذين كانت وفيات اطفالهم اكثر حتى ٤٥ في الالف كانوا ندالاً وكناسين وفعلة وحفاري ترع وغسالين وخامين . والغالب ان هؤلاء يسكنون قبيحون لساؤهم واطفالهم فلا يغذّى الاطفال التغذية الكافية

وعرفت اسماء ١٠٥١٣٠ طفلاً ماتوا في انكلترا ومقاطعة ويلز قبلما اتموا السنة من العمر فاذا ٣٢٩٣٦ منهم ماتوا وعمرهم اقل من شهر و ١٩٦٤٧ ماتوا وعمرهم بين شهر وثلاثة اشهر و ٢٠٩٨٨ ماتوا وعمرهم بين ٣ اشهر وستة اشهر ، و ٣١٥٥٩ ماتوا وعمرهم بين ستة اشهر و ١٢ شهراً اي ان نحو ثلث الوفيات يقع في الشهر الاول

حديقة المقتطف

على باب الهيكل

لجبران خليل جبران

ترجمة مقتطع عنها بالانكليزية

الفتاة والوردة

لتوماس مور

ولز الكاتب الانكليزي المشهور

H. G. Wells

(أنظر مقالة عنه صفحة ٣٢٠)

على باب الهيكل (١)

لجبران خليل جبران

قد طهرت شفتيَّ بالنار المقدسة لأتكلم عن الحب ولما فتحت شفتي للكلام وجدتني أخرس

كنت أترنم بأغاني الحب قبل ان أعرفهُ ولما عرفتهُ تحولت الالفاظ في فمي الى ملمات ضئيل ، والانغام في صدري الى سكينة عميقة

وكنتم أيها الناس فيما مضى تسألوني عن غرائب الحب وعجائبه ، فكنت أحدثكم واقنعكم ، أما الآن ، وقد قمرني الحبُّ بوشاحهِ ، جئتُ بدوري أسألكم عن مسالكه ومزاياه فهل بينكم من يجيبني ؟ جئت أسألكم عما بي واستخبركم عن نقصي فهل بينكم من يستطيع ان يبين قلبي لقلبي ويوضح ذاتي لذاتي ؟

ألا فاخبروني ماهذه الشعلة التي تتقد في صدري وتلهم قواي وتذيب عواطفي وأمالي ؟

وما هذه الايدي الخفية الناعمة الخشنة التي تقبض على روحي في ساعات الوحدة والانفراد وتسكب في كبدي خمرة ممزوجة بمرارة اللذة وحلاوة الاوجاع ؟

وما هذه الاجنحة التي ترفرف حول مضجعي في سكينة الليل فأسهر مترقباً ما لا اعرفهُ ، مصغياً الى ما لا اسمعهُ ، معتقداً بما لا اراهُ ، مفكراً بما لا افهمهُ ، شاعراً بما لا أدركهُ ، متأوهاً لأدنى في التأوه غصات احبٌّ لديَّ من رنة الضحك والابتهاج ، مستسلماً الى قوة غير منظورة تميتني وتحييني ثم تميتني وتحييني حتى يطلع الفجر ويملأ النور زوايا غرفتي فانام اذ ذاك وبين اجفاني الدامية ترتعش اشباح اليقظة وعلى فراشي الحجري تمايل خيالات الاحلام

***

وما هذا الذي تدعوه حبًّا ؟

اخبروني ما هذا السر الخفي الكامن خلف الدهور المختبىء وراء المرئيات الساكن في ضمير الوجود ؟

ما هذه الفكرة المطلقة التي تجيء سبباً لجميع النتائج وتأتي نتيجة لجميع الأسباب ؟

---

(١) لهذه نشر هذه القصيدة النثرية على ذكر الكتاب الذي ظهر حديثاً بعنوان Prose Poems of Kahlil Gibran محتوياً على ترجمة بعض قصائده النثرية العربية باللغة الانكليزية

ما هذه اليقظة التي تتناول الموت والحياة وتبتدع منهما حباً أغرب من الحياة وأعمق من الموت

اخبروني أيها الناس — اخبروني هل بينكم من لا يستيقظ من رقدة الحياة اذا ما لمس الحب روحه باطراف أصابعه ؟

هل فيكم من لا يمخر البحر ويقطع الصحاري ويجتاز الجبال والاودية ليلقى المرأة التي اختارتها روحه ؟

أي فتىً لا يتبع قلبه الى أقاصي الارض اذا كان له في اقاصي الارض حبيبة يستطيب نكهة انفاسها ويستلطف ملامس يديها ويستعذب رنة صوتها ؟

أي بشريٍّ لا يحرق نفسه بخوراً امام إلهٍ يسمع ابتهاله ويستجيب صلواته ؟

***

وقفت بالامس على باب الهيكل اسأل العابرين عن خفايا الحب ومزاياه

فر امامي كهل مهزول القامة كاسف الوجه وقال متأوهاً « الحبُّ ضعفٌ فطري ورثناه عن الانسان الاول »

ومرَّ فتىً قويُّ الجسم مفتول الساعدين وقال مترنماً : « الحبُّ عزمٌ يلازم كياننا ويصل حاضرنا بماضي الاجيال ومستقبلها »

ومرَّت امرأة كئيبة العينين وقالت متنهدة : « الحبُّ سمٌّ قتال تتنفسهُ الافاعي السود المتقلبة في كهوف الجحيم فيسيل منكشراً في الفضاء ثم يهبط مغلفاً بقطرات الندى فترتشفهُ الارواح الظامئة فتسكر دقيقة ثم تصحو عاماً ثم تموت دهراً »

ومرَّت صبية مورَّدة الوجنتين وقالت مبتسمة: « الحبُّ كوثرٌ تسكبهُ عرائس الفجر في الارواح القوية فيجعلها تتعالى متمجدة امام كواكب الليل وتسبّح مترنمة امام شمس النهار »

ومرَّ رجل ذو ملابس سود ولحية مسترسلة وقال عابساً : « الحبُّ جهالةٌ عمياء تبتدىء ببدء الشباب وتنتهي بنهايته »

ومرَّ رجل ذو وجه صبيح وملامح منفرجة وقال فرحاً : « الحب معرفة علوية تنير بصائرنا فنرى الاشياء كما يراها الآلهة »

ومرَّ اعمى يجسُّ الارض بعكازه وقال منتحباً : « الحب ضباب كثيف يكتنف النفس

من كل ناحية ويحجب عنها رسوم الوجود ويجعلها لا ترى سوى اشباح امياطا مرتعشة بين التصور ولا تسمع غير صدى صراخها آتياً من خلايا الوادي »

ومر شابٌ يحمل قيثارة وقال مغنياً : الحبُّ شعاع سحريٌّ ينبثق من اعماق الذات الحساسة وينير جنباتها فترى العالم موكباً سائراً في مروج خضر والحياة حلماً جميلاً منتصباً بين اليقظة واليقظة »

ومرَّ هرمٌ منحني الظهر يجرُّ قدميه كأنهما خرقتان وقال مرتعشاً : «الحبُّ راحةُ الجسم في سكينة القبر وسلامة النفس في اعماق الابدية »

ومرَّ طفلٌ ابنُ خمس وهتف ضاحكاً : « الحبُّ أبي والحبُّ امي ولا يعرف الحبَّ سوى أبي وأمي »

***

وانقضى النهار والناس يمرون امام الهيكل وكل يصور نفسه متكلماً عن الحب ويبوح بأمانيه معلناً سرَّ الحياة

ولما جاء المساء وسكنت حركة العابرين سمعت صوتاً آتياً من داخل الهيكل يقول : « الحياة نصفان نصف متجلد ونصف ملتهب فالحبُّ هو النصفُ الملتهب »

فدخلت الهيكل اذ ذاك وسجدت راكعاً مبتهلاً مصلياً هاتفاً « اجعلني يا رب طعاماً للهيب — اجعلني ايها الالٰه مأكلاً للنار المقدسة . آمين »

ترجمة المقطع الاول

I purified my lips with the sacred fire to speak of love,

But when I opened my lips I found myself speechless.

Before I knew love, I was wont to chant the songs of love,

But when I learnt to know, the words in my mouth became naught save breath,

And the tunes within my breast fell into deep silence.

In the past when you would question me concerning the secrets and the mysteries of love,

I would speak and answer with assurance.

But now that love has adorned me with vestments,

I come in my turn, to question you of all the ways of love, and all its wonders.

Who among you can answer me ?

الفتاة والوردة

لتوماس مور

ايتها الزهرة الشاحبة الذابلة

اي فن يستطيع ان يعيد اليك ما فقدته من لون وزهو وحياة !

اي فن يستطيع ذلك وقد فُصلت عن الغصن الذي غذّى نفسك الطاهرة !

عبثاً تسكب الشمس اشعتها لتدفع الحرارة في خدك البارد والقوة في عنقك الملتوي

فقطرات الندى التي كانت تتقطر عليك نضرة واريجاً

غدت الآن دموعاً تسكبها السماء نوحاً على موتك المبكر

***

كذلك تذوي الفتاة التي عبث بها مناط املها وموضع ثقتها

يدفعها من ذراعيه فتهيم في فيافي الحياة ورياضها منبوذة مهجورة .

عبثاً يبتسم لها الاهل والاصدقاء ، وعبثاً يجربون ان يخففوا من لوعتها القاسية .

اي عطف يعيد الى قلبها الكسير سلامه الداخلي !

اي بسمة ترجع الى نفسها المسحوقة اجنحتها الخفاقة !

والبسمة الوحيدة التي تستطيع ان تبعثها من غيبوبة الموت وترفعها قليلاً رؤية

نور الحياة — اجل هذه البسمة السموية ، تنشي بها الآن أخريات

باب المراسلة والمناظرة

إرشاد لغوى

فى كل جزء كلمة

للاستاذ عبد الرحيم بن محمود

« الأطبّاء »

(١) الطِّبّ — علاج الجسم والنفس يقال رجل طَبّ وطبيب أى عالم بصناعة الطِّبّ وكذلك يقال امرأة طَبَّة وطَبيبة — ومن آيات التقدم فى هذا العصر أن الفتيات قد أقبلن على تعلّم الطب وأحرزن الإجازات العالية فى التطبّب من الجامعات ومدارس الطبّ فى أوربة وأمريكا واليابان وتركيا ومصر — ولا أريد بالطبيبات المولّدات اللائى حصلن وتحصلن على إجازات فى التوليد ويلقبهن العامة بالحكيمات أو الطبيبات ولكنى أريد من تطعن ويقطعن مراحل التعلّم الأولى والابتدائى والثانوى والعالى وفيه توفّرن على تعلّم الطب فى نوع منه ولاسيما علاج الأمراض النِّسْوِيّة [1] أكثر الله منهن لربات الخدور حتى يتوفر الاطباء على علاج الذكور والطبيبات على علاج الاناث مهما تتنوع الأمراض

(٢) والمتطبب هو الذى يتعلم صناعة الطب ويتعاطاها وكذلك المتطببة اى التى تتعلم وتتعاطى صناعته

(٣) وطبَّ الطبيبُ المريض يطُبّه طَبًّا داواه فالاسم الطب والعامل يقال له طبيب او طَبّ إن كان رجلا وجمع الأول أطبّاء وأطِبّة وجمع الثانى طبوب كنفوس جمع نفس وبكثرة الإستعمال تستأنس آذاننا بالطبوب كما استأنست بالنفوس. والى القراء أنواع الاطباء

(أ) النِّطْرِيس هو الطبيب الماهر النطّار المدقق وهو أليق بالمتوفر على الطب فى حذق من النطاسىّ الذى شاع استعماله فى هذا العصر لأن معناه الحاذق بالطب وغيره. والنُّطُس بضم النون والطاء الاطباء الحذّاق

(ب) الكحّال هو (طبيب العيون) والكحل كل ما وضع فى العين يُستشفى به فالكحّال هو الذى يداوى العيون واذا أذعنا الكحال فقد غنينا بهذا اللفظ العربى الصميم عن لفظتين عربيتين مضافة أولاهما إلى ثانيتهما أى (طبيب العيون)

---

(١) ينسب إلى كل من النساء والنسوان والنسوة نسوى لا غير كما فى لسان العرب — ومن الخطأ الذائع بألسنة الخاصة وأقلامهم نسائى نسبة الى نساء كما هو المتبادر للذهن من حيث القياس ولكن المسموع قد عدمه — قال صاحب مختار الصحاح فى مقدمته (والسماع متقدم على القياس فلا يصار الى القياس الا عند عدم السماع) انظر الى الصفحة الثامنة من الكتاب المطبوع بالمطبعة الاميرية سنة ١٩٠٥م — والمواد اللغوية فى اللغاتى مظاهر السماع من العرب

(ج) المجبّر هو الذي يجبر العظام وهو من الأطباء

(د) الجرّاح أو الآسي هو الذي يداوي الجراحات يقال أسا الآسي الجرح يأسوه أسواً داواه وجمع الآسي أساة كقضاة جمع قاض وقد يطلق الآسي أيضاً على كل طبيب سواء أكان جراحاً أم غير جرّاح

وأبصر إسماعيل سبري باشا المصري في هذا المقام إذ أنه فطن الى ما ذهبنا إليه من قبل وإن تأخرت إذاعته فقال:

يا آسي الحيّ هل فتشت في كبدي وهل تبينت داء في زواياها

فقد اختار للطبيب الجراح لفظة (الآسي) فانه هو الذي يفتش في الكبد فيتعرف الداء في زواياها والاستفهام في البيت خرج عن معناه الاصلي الى معنى آخر هو الامر فكأنه قال يا جراح الحي فتش في كبدي — وتبين داء في زواياها — ولا غرو فان اسماعيل صبري باشا من نوابغ الشعراء البلغاء العلماء الذين نأخذ عنهم اللغة في طرائف آدابهم فانهم افهم لأسرار الضاد من سواهم. فخذوا لغتكم من نوابغ أدبائكم فقد حذقوها فهماً وأحسنوا تطبيقاً

(هـ) البيطار أو البَيْطَر هو معالج الدواب — والبيطرة صناعته فمن الخطأ الشائع (طبيب بيطري) والصواب طبيب بَيْطَري على أننا في غُنْيَة عن الصفة والموصوف بلفظ مفرد وهو بيطار أو بيطر واستعمل العرب الفعل بيطر والمصدر بيطرة[1] ولا يألم حضرات الأطباء البيطريين من اطلاق البَيْطَار أو البَيْطَر على كل منهم إذا كان سبقهم بهذا اللقب كل من كان يحذو الخيل والحمير في مصر أيضاً فإنهم يلقبون بالحذّائين جمع حذّاء على أنهم كانوا قبل إنشاء مدرسة البيطرة العالية يعالجون الخيل والحمير على قدر علمهم وتجاربهم كما كانوا يحذونها — والحرف تتشرف بالمحترفين فهم الذين يشرفونها كالمدارة أي الحامين فقد شرفوا حرفتهم في هذا العصر بمعلوماتهم وبراعتهم وأخلاقهم وقد كانوا غير محترمين في مصر منذ خمسين سنة كما قال المرحوم سعد زغلول باشا في حفل نقابة المدارة سنة ١٩١٠م عقيب تأليفها وأعاد المرحوم هذا المقال في خبر إعادة الحياة النيابية إلى مصر في عهد الملك فؤاد. على ان الحذّائين والبياطرة لهم الاجلال عندي فإنهم من أصحاب الحرف الشريفة مع التفاوت في المعلومات والمؤهلات وإذا كان أطباء النفوس وهم المهذبون وأطباء الأجسام البشرية والحيوانية يؤدون ما يجب عليهم للمجتمع الانساني والحيواني فلا تفاضل بينهم — إنما الأطباء إخوة. ومن مظاهر المساواة أن يجعل الطوائف بعضها بعضاً على أن العمال الآن هم السائدون غيرهم في كثير من ممالك أوروبا وسيسودون العالم كله مدّ الزمن إن شاء الله فمن يحصل على قوته بالعمل خير ممن يحصل عليه بالمسألة وغيرها مما يخدش وجه الأدب وفي هذه الاشارة بلاغ والسلام

(١) أليس الاجدر بالحكومة ان تسمي مدرسة الطب البيطري بمدرسة البيطرة لان لفظاً واحداً يغني عن لفظتين بلفظ واحد وليست التسمية الاولى بخطأ

مكتبة المقتطف

تآليف المستشرقين

صرتُ هذا الصيف الى بلاد الشمال ، واتفق لي أن أقيم بفنلندا أربعين يوماً . فاجتمعت هنالك بمستشرقين[1] أحدهما الاستاذ (ا . ج تالجرين — توليو) والآخر الاستاذ (آيلي سارمسلو) فعجبت للامر كل العجب . وقد دفع كل منهما تآليفه اليّ

١ — فنلندا وسائر البلدان البلطية الشرقية

مستخرج من جغرافية الادريسي

Idrisi—La Finlande et les autres pays baltiques d'Orient (Géographie, VII,4)

Edition critique par O. Y. Tallgren—Tunlio et O. M. Tallgren

هذا الكتاب على بابين : أما الأول فيعرض للناحية اللغوية ، وأما الثاني فيبحث في الناحية التاريخية . والكتاب يشمل النصّ العربي مرسوماً بالحروف اللاتينية مع تصوير جميع المخطوطات المعروفة ، وترجمة ذلك النصّ وبحثاً في الخطط ، ونظرة تاريخية ، وخرائط ولواحق

وهذا الكتاب مشحون بالفوائد مشبع الفصول . ثم انهُ غاية في التدقيق العلمي ، الاّ أني استأذن الأستاذ (تالجرين — توليو) في أن أتتبع بعض أوهام وردت في النصّ العربي المرسوم بالحروف اللاتينية . فمن هذه الاوهام : اسقاط عين «عرض» في حاشية الصفحة الاولى — واغفال رسم الهمزة (صفحة ٣٠ سطر ١٥ و ص ٣٤ س ٨) — ورسم همزة الوصل بصورة همزة القطع (ص ٣٥ س ٥) — ثم اني اظن أن الوجه في ص ٣٤ س ٨ ان يقرأ : والجزيرة الثانية فيها «النساء» (لا «النساو» كما ورد) ولا رجل «معهن» (لا «معهم» كما ورد)

هذا وان تمنيت شيئاً سألت الاستاذ (تالجرين — توليو) أن ينشر النصّ العربي من تآليفه المستقبلة بالحروف العربية فلا يرضه بالحروف اللاتينية ، وليس هذا عليه بمتعذر

---

(١) أشكر للسير سورانو Soravuo — الملحق بالوزارة الخارجية الفنلندية — حسن قبوله لي حين هبطت فنلندا . ولا يفوتني ان أقول انه الذي أرشدني الى اولئك المستشرقين

٢ — أغاني الدروز

Songs of the Druzes with an Arabic Appendix by Aapeli Saarisalo

هذه مجموعة أغانٍ للدروز أصابها الاستاذ (سارسلو) في أثناء رحلته الى سيناء طلباً للآثار والعاديات . وهؤلاء الدروز ممن يقيم بالبقاع والبصة . وتلك الاغاني بين «عتابة» و «مواويل» و «قصايد» و «مطالع» و «تناويح» و «رثاني» . وهي مدوّنة بالحروف العربية واللاتينية جميعاً ، منقولة الى الانجليزية نقلاً صحيحاً في الغالب . ثم لما لواحق في اللغة وفهرست شامل

ومما لا بدَّ أن اصرّح به هنا أن جمع مثل هذه الاغاني عمل جليل الشأن من ناحية ما تسميه الفرنجة Folklore أي فحص عادات الامم . وعسى أن ينهض رجالنا الى جمع الاغاني المصرية والشامية والعراقية وما اليها جمعاً علمياً ، فها هي ذي تحتضر على حين ان بعلماء الاجتماع حاجة ماسة اليها

٣ — صكٌّ في الوقف

A Waqf—Document from Sinai

ومما عثر عليه الاستاذ (سارسلو)—فوق هاتيك الاغاني الدرزية — صك وقف «حُرّر» في سيناء سنة ثمانٍ وثمانين وتسعمائة . وقد نشر الاستاذ (سارسلو) هذا الصك مصوراً بالفوتوغرافية ومطبوعاً بالحروف العربية ثم نقله الى اللغة الانجليزية وعمل له مقدمة وعلّق عليه

فهل أدلُّ الاستاذ (سارسلو) على مأخذ هذا النص :

ورد ص ٢ س ٨ «المعلوم ذلك لمبا العلم الشرعي» ، واظن الوجه «المعلوم ذلك لها (اي المشترى والبائع) ...» — ص ٢ س ١٠ «بتقابل فيما على ذلك» ، واظن الوجه «بتقابل فيهما (اي المشتري والبائع) ...» — ص ٢ س ١٣ «وبيده (اي البائع) وحوزة وتصرفه» ، واظن الوجه «.. وحوزهم . . .» — ص ٤ س ١٠ «مويد شريعة سيد المرسلين» والصواب «مؤيد...» — ص ٧ س ٩ «يتول من قابل باللزوم» والصواب «يتولى .... (قارن ص ١٦ حاشية ١)»

على ان هذه الهفوات التي اذنتُ لنفسي ان انبه عليها هيبات ان تغضَّ من نفاسة كتب المستشرقين الفنلنديين ، وعسى ان يقيما على ميلهما الى فحص احوال العرب والمسلمين ورفع شأن اللغة العربية والحضارة الاسلامية في جامعة هلسنكي (عاصمة فنلندا)

٤ — فن التصوير الاسلامي

١٢٤ ص و٢٠٠ صورة ، من القطع الكبير

Musulman Painting by E. Blochet translated from the French by Cicely M. Binyon with an introduction by Sir E. Denison Ross, C. I. E. Methuen & Cie, London

اعرف الاستاذ (بلوشيه) صاحب هذا الكتاب لست سنوات خلت ، اي منذ العهد الذي فيه كتب الله لي ان اختلف الى دار الكتب الفرنسية (قسم المخطوطات) . ولم يتفق لي ان احادث الرجل

على انهُ « حافظ » المخطوطات العربية ثم مضت السنون وهأنذا أُتي الاستاذ بوشيه آتي برهانه ينقض في اخبار العرب والفرس فيأبى شيطانهُ وشيطاني الاَّ ان يعدلا بنا عن القراءة الى المحادثة وما

ان الاستاذ بوشيه ملمٌّ باللغات السامية واللغة الفارسية واللغة التركية ، فضلاً عن تضلعه من اليونانية واللاتينية . ثم ان له مؤلفات عدة منها هذا الكتاب الذي اصفه لك

هذا الكتاب يبحث في تاريخ فن التصوير الاسلامي وتحوله ويفحص عن ظواهره وخصائصه . وتاريخ هذا الفن ينبسط فيه من مستهل القرن السادس للهجرة حتى القرن الثاني عشر ومما يزيد في نفاسته ان صاحبه نشر مائتي صورة ارادة ان يزين بها بحثه وفحصه ، وهذه الصور مستخرجة من خزانات دار الكتب الفرنسية والمتحف البريطاني والجمعية الاسيوية البريطانية وجامعة ادنبره ومجموعة المستر (تشستر بيتي)

وميزة الكتاب ان صاحبه انحرف عما يذهب اليهِ المستشرقون عامة . فلم يقل قولهم بأن الفن الاسلامي مقتبس من الفن الصيني ، بل دلَّ على ان هذا الفن كان منشؤهُ في بغداد ، فان رجعت مصادره الى فن معيَّن فانما ترجع بعض الشيء الى الفن البيزنطي

ولا سبيل لمن يقرأ الكتاب عن ان يشعر بطرافة آراء صاحبه ، وقد عطف على ذلك السر ولسن رئس في مقدمته . غير ان صاحب الكتاب يميل الى الاستطرادات ميلاً شديداً ، والحقُّ انهُ من ذوي البسطة في العلم من ادب وفن وتاريخ ودين

وصفوة القول ان الكتاب ذو شأن وان جالت بين سطوره طائفة من الآراء المعترضة ، ولكن الفن الاسلامي — على شتى الوانه — ما يزال موضع نظر ومجال جدل والحكم الفاصل فيما يأتي من الزمان

٥ — مصادر الاخبار الاسلامية

في القرآن وسير الانبياء ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط

Les Origines des Légendes Musulmanes dans le Coran et dans les vies des Prophètes par D. Sidersky, Editions Geuthner, Paris

يزعم الاستاذ سيدرسكي ان جانباً عظيماً مما ورد في القرآن والتفاسير والسير من الاخبار يرجع الى « الاجاده اليهودية » والاناجيل والتوراة الموضوعة

يورد المؤلف النص القرآني او نص التفسير الى ما يلي ذلك ثم يعارضه بنصوص مستخرجة من الكتب التي تقدم ذكرها . واعتماده في الكتب الاسلامية على تآليف الطبري والزمخشري وابن الاثير والكسائي . وتعويله في كتب العهد القديم والحديث الموضوعة على كتاب « هنوخ » وكتاب « اليوبيل » و « حكاية يوسف النجار » و « انجيل الطفولة » و « انجيل توما » الى ما يجري مجرى ذلك عند نقاد تاريخ الاديان . وأما « الاجاده اليهودية » فاعتماده فيها على النوادر المبثوثة في التلمود البابلي والتلمود « الهيوروزلمي » ثم على التآليف « المدرسية »

وبعد فهذا الكتاب منحدر من رأي قال به المستشرق الفرنسي (كليمان هُوار) لثلاثين سنة خلت او تزيد . والمستشرقين من بعده ومن قبله مؤلفات عدة في هذا الباب ، بل ازيد على ذلك ان من مبتدعي هذا الرأي Mourad و [illegible] (في القرن السابع عشر والثامن عشر)

والتحقيق ان هذا الكتاب لا يثبت على النقد ، ذلك ان بين النصوص الاسلامية والنصوص اليهودية والمسيحية مسافات وان اتفق لبعضهن ان تتقارب فهل غاب عن المؤلف ان النصوص الاسلامية واليهودية والمسيحية الاولى انزلت او كتبت لقوم ساميين ، والساميون يعتمدون على وجه واحد من القبول الذهني ويستقيمون على عمود واحد من التفكير

بقي ان اسأل المؤلف لماذا اردف نصوص التلمود بترجمة فرنسية قديمة ثم لم يردف نصوص التوراة ولا نصوص «موضوعات» جوزيف بالترجمات المتداولة . ثم اني آخذ عليه اسناده الى ترجمة القرآن للمستشرق السويسري Montet فالمعلوم ان ترجمة الرجل لم ترزق حظها من التثبت والتدبر

٦ — ابن السعود ، ملك الجزيرة

٢٤٨ ص و١٩ صورة فوتوغرافية ، من القطع المتوسط

Ibn Séoud roi de l'Arabie par Antoine Zischka, Editions Payot, Paris

هذا كتاب رحالة فرنسي انطلق الى الجزيرة فاجتمع فيها بابن السعود ثم جاءنا يسوق قصة الملك الوهّابي ، فبسط منشأ ابن السعود ونضاله ونصره راوياً ما دار بين الرجل والانكليز وما وقع له من امير اليمن . ولا حاجة بي ان افصّل هذا لقراء المقتطف . الاّ ان في الكتاب ثلاثة فصول يحسن بي ان اشير اليهما . اما الاول فحكاية ابن السعود مع (جوهرة) تلك المرأة الشاعرة القطنة التي شدّت من ازر الملك وما فتئت حياتها تنصح له وترشده وتعينه على قضاء اوطاره وتستميله وتتحبب اليه حتى انهُ حزن لموتها حزناً شديداً . والفصل الثاني سياقة سيرة ابن السعود بما هي عليهِ من التقشف والبساطة والدعة مقرونة جميعاً بالغليان القومي والتحمس الديني . واما الفصل الثالث فوصف رقيّ الجزيرة على يد ابن السعود اجتماعيًّا واقتصاديًّا وعمرانيًّا ، ولهذا الفصل ذيل ينبّه الى المكانة التي وصل اليها ابن السعود عند الدول الاوربية امثال روسيا وتركيا واليابان فضلاً عن انكلترا وفرنسا وايطاليا

وبالجملة ان هذا الكتاب يكاد يكون موقوفاً على الناحية السياسية . فما ضرّ المؤلف لو حدثنا عن العادات الوهابية وشرح لنا انتقال الذهنية الحجازية من حال الى حال دينيًّا وخلقيًّا . بقي ان في مقدمة الكتاب (ص ١١) عبارة لا يخفّ محلها على السمع . ودونكها : « ان فرنسا — وهي ملكة الاسلام Reine de l'Islam — لا تستطيع ان تعرض عن الاضطرابات الاسلامية مهما كانت » . فان رضي المغاربة لفرنسا بذاك اللقب فما اظن جماعة المسلمين وبالتالي جماعة العرب ينشطون له

برلين بشر فارس

الجزء الاول من مدخل في الجراثيم

تأليف الطبيب الجراثيمي احمد حلمي الخياط من تلاميذ معهد باستور في باريس
واستاذ من الجراثيم وعلم المصحة في المعهد الطبي العربي بدمشق — ضخم في مطبعة الترقي بدمشق

انه يتعذر على الناقد أن ينقد كتاباً علمياً مثل هذا الكتاب في صفحات قليلة . فالكتاب علمي بحت جعل لتلاميذ المعهد الطبي العربي في دمشق فلا شأن فيه لعامة القراء وانما سأكتب فيه شيئاً اجعلهم يهتمون بمثله لاننا في بدء نهضة علمية نحمد كثيراً فكتب الطب التي تبحث في علم الجراثيم كثيرة ولكن الكتب العربية قليلة جداً ومنها هذا الكتاب . فهل وفق المؤلف في الغاية التي الف كتابه لاجلها : أقول لقد وفق كثيراً لذلك سيكون نقدي لهذا الكتاب في كونه كتاباً عربياً في علم الجراثيم اي انقده من هذه الوجهة دون غيرها

بدأ المؤلف قوله كما يرى في ما نقلته عنه انهُ طبيب جراثيمي بلا زيادة ولا نقصان فانه لم يقل انه حلَّ في كتابه جميع المسائل المختلف فيها او انه فاق الاوائل والاواخر او أنه مستعد لمناقشة علماء الجراثيم في ما قاله أو انه تحدى باستور أو تلامذة تلاميذ باستور فانه لم يقل شيئاً من هذا بل جعل كتابه مثال التواضع شأن العلماء الحقيقيين . ذكرت ذلك ليكون هذا الامر دستوراً نسير جميعاً عليه في ما نكتبه . فالكتب العلمية وغيرالعلمية ينبغي ان تكون خالية من مدح النفس وهو ما نراه في كثير من مؤلفات هذا العصر . فقد حان الاوان لان نرى انفسنا كما يرانا غيرنا

ثم ان الكتاب خال من تقديمه الى رئيس الجمهورية أو الى المندوب السامي أو الى رئيس الجامعة أو الى أحد الاعيان او الاغنياء فما شأن هؤلاء على شدة احترامنا لهم في كتاب علمي مثل هذا الكتاب. فالذي يحترم نفسه ينبغي ان يترفع عن جميع هذه الامور. وقد ذكرت ذلك لعل المؤلفين في المستقبل يحجمون عن هذه العادة السيئة . أما الآن وبعد هذه المقدمة الوجيزة فلنبحث في جوهر الكتاب

ألبس المؤلف كتابه لباساً عربياً محتاً فلا شيء فيه من العجمة مع أن معظم المصطلحات العلمية التي فيه اعجمية الاصل وقد احسن في قوله في مقدمة الكتاب « تأييداً لقول من يقول بأن اللغة التي تساعد على أن تخرج أبلغ الاقوال فصاحة (القرآن) لا تضيق عن أن تحتوي بعض كلمات تليق بايضاح بعض مصطلحات علمية حديثة وان انكر ذلك المتنطعون في التجدد » . واليك مثالاً من لغة الكتاب فقد قال في الجراثيم : الجرثوم والجرثومة لغةً أصل الشيء واصطلاحاً هي تلك الاحياء الدنيا التي تكون سبب بعض الامراض وهي التي يسميها علماء الافرنج بالاحياء الدقيقة. ثم أخذ يشرح الجراثيم ويقسمها ولا ابالغ في قولي ان جميع الالفاظ التي ذكرها عربية الاصل ولو جئت لاضرب الامثال على ذلك لضاقت بي هذه الاسطر القليلة ولكنني اقول ان المؤلف نجح كل النجاح في بلاغة مؤلفه وفصاحته وسهولة تعبيره . ولا بأس هنا من ذكر بعض المصطلحات التي اوردها وهي كثيرة جداً فمنها ما يأتي :

المكوّرات السبحية والمكورات السنابية والمكورات العنقودية والقشريات والانبوبيات والواجبيات وانتاش البزيرة والعصيات المتأنقة والعصيات المحبّة للحرارة والتأنق وديدان الجراثيم والديدان المنتشر والرعامين وحمة الجرثوم وضمخ الدم والبلعمة والبلعميات وغيرها هي كثيرة وجميعها مفسرة بما يقابلها بالافرنجية حتى يرسخ في ذهن القارئ ما يراد بها تماماً فلا يمضي زمن حتى تصير المصطلحات العربية ملكة في النفس . وقد وعد المؤلف انه عند انجاز كتابه يضم اليه معجماً يذكر فيه جميع هذه الالفاظ وهي همة يشكر عليها

على اني اؤاخذه في الفاظ قليلة جداً منها قوله فن الجراثيم واظن الصواب علم الجراثيم فالفن خلاف العلم وقولهم في استانبول دار الفنون خطأ والصواب دار العلوم . اما وقد أخذ الترك ينظفون لغتهم من الالفاظ العربية فأولى بنا أن ننظف لغتنا من الفاظ تركية أو عربية الاصل استعملها الترك في غير معناها العربي . ومثله كتابته «ثه رلخ» على الطريقة التركية وأفضل كتابتها ارلخ . هذا وقد بقيت هفوات قليلة جداً مثل قوله الكريات البيضاء والكريات الحمراء والصواب بيض وحمر ولا يجوز غيرها . وقد ذكرت هذه الهفوات لكي يكون ما يخرجه لنا في المستقبل خالياً من جميع ذلك وجل من لا يخطىء

وصفوة القول أن هذا الكتاب نفيس جداً فعسى ان يتحفنا اساتذة المعهد ولا سيما المؤلف بكثير مثله . هذا وان مرضي حال دون قيامي بنقد هذا الكتاب وهو عندي منذ شهرين فللتأخير مني لا من رئيس تحرير المقتطف

امين المعلوف

ضحايانا الاطفال

تأليف اجنس دي ليا وترجمة الاستاذ محمد عبد الواحد خلاف

قدمت للقراء كتاب الاستاذ محمد حسين المحزنجي في طرق التربية الحديثة لاني مؤمن بانهُ من خير ما ظهر في اللغة العربية في موضوع التعليم والآن ابادر الى تقديم كتاب آخر عظيم الشأن في نفس الموضوع . وانني لاشعر بعد ظهور هذين الكتابين اننا على ابواب انقلاب كبير في نظم الدراسة عندنا وعلى وشك خلق رأي عام يولي اطفالنا العناية الواجبة ويطالب بتوفير اسباب نوع من الحياة يتمشى مع طبيعتهم ويكون من شأنه أنْ يمهّد لهم اسباب النماء الصحيح

وكتاب الاستاذ خلاف هو الاول من سلسلة تنوي ان تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر في التربية والتعليم ويشرف على اصدارها الاستاذ اسماعيل محمود القباني . هذا الكتاب يتناول بالشرح والوصف كثيراً من النظم الدراسية في الولايات المتحدة الاميركية من قديمة وحديثة ، ما يتمشى منها مع قوانين السيكلوجية التعليمية الحديثة ، وما لا يتمشى مع هذه القواعد ، فبعضها يبدأ بطبيعة الاطفال وميلهم الغريزي الى التطلع والمعرفة ، ومنها ما يساير سنة الحياة من معالجة البيئة

القريبة جداً الطفل ، والبعض الآخر يسير على التقاليد الموروثة من قديم الزمان كما نعرفها نحن حق المعرفة في هذه البلاد

والنزاع بين انواع المدارس في هذا الكتاب — كما هو في معظم الحالات في حياة الطفل المدرسية — هو نزاع بين الطفل والمادة ، وبين الدرس والحفظ والاستذكار من جهة وبين الحياة من جهة اخرى . هل الوظيفة الاساسية المدرسة هي تعليم الاطفال طائفة معينة من الحقائق ، ام هي توفير اسباب الحياة والنشاط لهم ، ثم توجيه هذا النشاط الى ما يفيد الاطفال في حياتهم الراهنة. بالطبع تتفاوت درجات هذا النزاع ، من الدعوة الى جعل المدرسة سجناً او ما هو اشبه بالسجن ، الى جعلها فوضى لا ضابط لها . ولست اعرف بين ارباب التربية من يدعو الى جعلها سجناً بأدق معاني الكلمة ، ولا من يدعو الى الفوضى ، وانما ترى وأنت تقرأ كتاب الاستاذ خلاف ان هذين الطرفين موجودان الى حد ما ، وان النزاع فيه يدور حول اطلاق حرية الطفل وتقييده بأثقل القيود

لا استطيع في هذه الكلمة الموجزة ان اشرح ما تناوله هذا الكتاب من الفروق والخلافات بين هذه النظم جميعاً ، فعلى من يريد زيادة الايضاح ان يقرأ هذا الكتاب الذي لا يمكن ان يغفله المعلمون من دون ان يتعرضوا للوم وانما أوجه نظر القراء خاصة الى مطالعة الفصل الثاني منه فان هذا الفصل علاوة على انه قطعة فنية جميلة ، فانه ايضاً وصف دقيق للمدرسة التقليدية مع تغيير يسير تستدعيه الاختلافات في البيئة الاقليمية والاجتماعية ويستطيع القارىء ان يقرأ هذا الفصل على انه وصف لأحسن المدارس عندنا

لا يملك من يقرأ هذا الفصل الا ان يشعر بأن هذه المدرسة التي يصفها عبارة عن مصنع (فابريقة) تتحرك الآلات فيها بالضغط على بعض الازرار الكهربائية ، يقف العامل على مكان مرتفع وأمامه لوحة عليها بعض الازرار ، وأمامه طائفة من الآلات موصولة وصلاً محكماً على قواعد هندسية محكمة ، كل منها تتحرك لتؤدي نوعاً معيناً من الاعمال دون غيره ، لا دخل لها بما يحيط بها من الآلات بل يحرم عليها ان تتصل بشؤون جارتها ، والا فسد النظام واختل العمل وكانت الطامة الكبرى ، لان كلاً منها تتصل بالعامل وحده فتتحرك متى اراد ولكن متى شاء

هذه هي المدرسة ، وهذا هو المعلم ، وهؤلاء هم الاطفال . يقف المعلم على منبره فتتجه اليه ستون عيناً ، ترقبه وتلاحظ حركاته وتنتظر اوامره ، بطلب فتح الادراج ، فتتحرك ستون يداً ، وينفتح ثلاثون درجاً ، ويخرج منها ثلاثون كتاباً ، ثم تقفل الادراج وتوضع الكتب ، وتتجه الستون عيناً الى المعلم

يصف الكتاب هذا الضرب من المدارس ، ويصف النوع الآخر ، ثم يشير الى الفلسفة التي يتبنى عليها هذان النوعان ، ثم يتناول اثرها في حياة الاطفال بعد ان يغادروا المدرسة الابتدائية الى المدارس الثانوية والعليا ، ويبين بالارقام مبلغ النجاح في هذين النوعين

والحق اني لا أستطيع ان اوفي هذا الكتاب حقه من التعليق والنقد لكل هذا لا يغني عن قراءته مرات وتدبُّر معاني كل ما ورد فيه ، ولا أملك الا ان أشكر لجنة التأليف والترجمة والنشر ثم الاستاذ اسماعيل محمود القباني المشرف على طبع هذه السلسلة . وأما الاستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، فقد حق له شكر المعلمين والآباء جميعاً ، ولا يكون هذا الشكر على انه الا اذا اعاروا عملهُ هذا ما يستحقه من العناية الواجبة له

يعقوب فام

الطرق الاوربية المتبعة

في تحسين المزروعات وانتاج التقاوي

تقرير أصدرته اللجنة الزراعية الملكية بقلم الدكتور محمد عزيز فكري والسير ا . سباجيناتي من موظفيها عن نتيجة درسهما في بعض البلدان الاوربية التي تنتج القمح وطرائقها في تحسين انتاجه وتقاويه في ٨٦ ص

عانت بعض البلدان الاوربية أثناء الحرب العظمى وما تلاها من الانقلابات الاقتصادية وغيرها صعوبات ومخاطر في استيرادها من خارج بلادها لما ينقصها من بعض المواد الغذائية الرئيسية وأهمها القمح فنهضت بما فيها من عزم وقوة وحسن استعداد للاستكثار من انتاجها . وتحسينها باستخدام افعل الوسائل الزراعية والتعاونية والميكانيكية والاقتصادية التي هدتها اليها حقائق العلم ونتائج التجارب كما تراه مذكوراً في هذا التقرير الذي وضعه مؤلفاه عقب درسهما ما صنعته ايطاليا والمجر وفرنسا في هذا الموضوع الخطير ببيان موجز مفيد

واننا نحن الذين اقعدنا البطء في اعمالنا الحكومية المشرة نده ش اذ نقرأ ان ايطاليا في مدى ١٢ سنة أحيت من اراضيها الموات ٥٬٨٠٠٬٠٠٠ فداناً انفقت عليها ٥٠٬٠٠٠٬٠٠٠ من الجنيهات وزاد ما تغله مزارع قمحها ٨٦ ٪ فبعد ان كان ٢٩ مليوناً من الاردب في سنة ١٩٢٢ صار ٥٤ مليوناً في سنة ١٩٣٣ وبعد ان كان متوسط ناتج الفدان ٣٬٦١٧ اردب صار ٤٬٦٣ اردب بما في هذا متوسط ناتج الفدان من الارض المستجدة فضلاً عن تحسين نوع القمح عما كان عليه

اما الوسائل التي اتبعت للوصول الى هذه النتائج فهي (١) اصلاح الارض الموات (٢) الحماية الجمركية (٣) انشاء جمعيات التعاون الزراعي وترقيتها (٤) تأسيس معاهد انتخاب الحبوب وجمعيات انتخاب التقاوي وترقيتها (٥) نشر التعليم الزراعي والعناية اليه بالمنابر المتنقلة وباللجان المحلية وبمدرسة عملية للميكانيكا الزراعية (٦) وسائل التشجيع باقامة جمعيات التعاون والمسابقات الزراعية وجوائزها وباقامة المعارض والاسواق الزراعية والصناعية

ومما جاء في التقرير ص ١٥ — ١٧ عن معاهد الانتخاب وجمعيات انتاج التقاوي ما يأتي :

ولما كانت التقاوي وهي العمدة في الزراعة لا يمكن تحسينها مقداراً ونوعاً الا باستخدام نقاوة منتخبة تناسب الحالة الخاصة بالبلاد فان الحكومة الايطالية لم تغفل قط هذا الاعتبار فاعتبرى رئيسها بنفسه

في الجلسة الأولى من جلسات لجنة القمح يطرح على بساط البحث مسألة نوع التقاوي التي يراها مقدسة على سواها . ومن اهم معاهد الانتخاب في ايطاليا نذكر : —

(١) المعهد الاهلي للوراثة خاص بزراعة الحبوب ومقره في روما وله فرع في ريتي

(٢) معهد للوراثة خاص بزراعة الحبوب في بولونا Bologna

وهذه بعض توضيحات عن المعهد الاول

كان مبتداه في ريتي سنة ١٩٠١ تحت ادارة البروفسور استراسلي ولما نشطت حركة ترقية الزراعة صار اول معهد في ايطاليا ويديره مجلس ادارة مؤلف من سبعة اعضاء تحت رآسة مندوب من الحكومة ويبلغ مقدار الاعانة التي يتناولها من الحكومة ٨٠٠٠٠ من الجنيهات المصرية ويغطي هذا المبلغ بضريبة مقدارها من ٣٥ — ٥٠ مليما مفروضة على كل ١٠٠ كيلو من القمح تشتريه الدولة

وقد تمكن المعهد بفضل هذه الميزانية الضخمة من انشاء ثلاث محطات للتجارب وتعهدها ولكل منها حقلها الخاص بالتجارب ، اما الاعمال التي تمت في هذه الحقول لتوليد التقاوي واستكثارها على يد المعهد الاهلي للوراثة في روما فقد ادت الى ايجاد انواع جديدة تفوق الانواع القديمة بمراحل

ولهذا المعهد علاقات مستمرة بمحطات التجارب الاخرى وبمنتجي التقاوي وبجمعيات التعاون الزراعي وبهذا تمكن من ان يراقب عن كثب انتخاب التقاوي ومضاعفتها ويقوم بهذه الرقابة موظفون فنيون . (الى ان يقول التقرير) وعند ما تسلم الجمعية للزراع البذور التي ثبتت جودتها بالامتحان تأخذ من كل (قوط) مقداره ٢٠ كيلاً على الاقل اربع عينات يرسل احداها الى معهد التربية في بولونا واخرى الى معملها والثالثة الى حقولها لتزرع فيها وتكون كشهادة عند حصول اي شكوى او انتقاد من جهة الزراع الذين زرعوا هذا النموذج وتوضع العينة الرابعة في مجموعة العينات بمتحف الجمعية الخ

وفي ص ٦٦ و٦٧ من التقرير جاء تحت عنوان التنظيف والانتخاب الآليان لحبوب القمح بمصر مايأتي :— اما في مصر فان هذا المجال المهم موكول الى مشيئة التجار والزراع ويتأتى من ذلك ان الحبوب تعالج في اغلب الاحيان علاجاً مختصراً ساذجاً وتطرح في السوق فوضى وهي اخلاط من انواع واصناف شتى . واذا كان حقاً ان وزارة الزراعة اهتمت بأن تنشىء لها مؤسسات للتنظيف والانتخاب فان هذه المنشآت لم تتخذ الا لانتاج صغير محدود او لمقاصد تجريبية . ومما يذكر منها معمل التنظيف في قسم البساتين بالجيزة ومنشآت الدومين والاوقاف الملكية

اما الجمعية الزراعية الملكية فقد اقامت على ارضها بالجيزة معملاً جهزته بالآلات البالغة الاتقان لتنتج التقاوي المنتجة انتاجاً واسع النطاق . ويستطيع هذا المعمل نظراً لكبر مقطوعيته ان ينتج ٢٦ اردبًّا في الساعة او نحو ٣٠٠ اردب في اليوم واذا قوبل بامثاله في البلدان التي زرناها صح القول بأنه من خيرة المؤسسات المتقنة التجهيز لا لتنظيف الحب فقط بل لانتخاب التقاوي على وجه خاص

وقد يبلغ محصول هذا المعمل في موسم لا يعدو خمسة اشهر من اول يونيو الى ٣١ اكتوبر

٥٠٠،٠٠٠ اردب وتقسم اعمال المحص الى ثلاثة اقسام رئيسية (١) التنظيف (٢) التقسيم اي تقسيم الحبوب بحسب احجامها (٣) الانتخاب وقد شرح كل قسم شرحاً وافياً . الخ بقي . والتقرير جدير بأن يقرأه كل مزارع للانتفاع بمعلوماته وارشاداته احمد الالفي

قصائد جبران المنثورة

Prose Poems of Kahlil Gibran. Translated by Andrew Ghareeb. Published by Alfred A. Knopf, Inc. Price $2.50

هذا هو الكتاب الثاني الذي نشر بالانكليزية بعد وفاة جبران . واذا كنا لم نشر الى الاول فلأن الناشر نسي على ما يظهر ان جبران كان مخصصاً بنسخة من كل كتاب جديد يخرجه

الكتاب الذي بين ايدينا يحتوي على مجموعة مختارة من قصائده العربية المنثورة ، نقلها الى الانكليزية الاديب اللبناني الاميركي اندرو غريب ووضعت مقدمته الشاعرة الاميركية يوارة بنغ وهي الوصية على تركة جبران الادبية

اما القصائد المترجمة فعظمها مشهور متداول بين قرّاء العربية ومنها « وعظتني نفسي » و« يوم مولدي » و « امكن يا قلبي » و « مدينة الاموات » و « الشاعر » و « الارض » الخ مما نشر قبلاً في مجموعة « العواصف » او « دمعة وابتسامة » او بعض المجلات

ولا يخفى ان الترجمة من اشقّ الاعمال ، وبوجه خاص اذا كانت ترجمة لأثر ادبي ، لا يمكن ان يفصل فيه بين الاسلوب والمعنى . وقد اشار جبران الى ذلك في عبارة افتتحت بها المس بنغ مقدمتها قال : « الترجمة فن قائم بذاته . هي عمل الابداع الثاني في تحويل سحر لغة الى سحر لغة اخرى » . وقد قالت المس بنغ كذلك ان جبران على تفوقه في الكتابة باللغة الانكليزية حتى كان يحسب احد امراء البيان فيها، كان يقول لها : « لست الا ضيفاً على لغتكم فعليّ ان اطالجها باحترام، ولا يجوز لي ان اتصرف في استعمالها تصرف ابنائها » : وعندها ان هذا الاحترام الذي كان رائد جبران عند كتابته باللغة الانكليزية يجب ان يكون رائداً كذلك لكل من يحاول ان ينقل قصائد جبران من العربية الى الانكليزية . بل هي تعترف ان ترجمة اي كان لا يمكن ان تبلغ من الدقة والصفاء ما كانت تبلغهُ ترجمة جبران نفسه لو استطاع ان يقوم بها . ولكن تشيُّع اندرو غريب بروح جبران واستلاكه لناصية اللغة الانكليزية وقيام المس بنغ على تنقيح ما نُقِل — بعد ما سمعت جبران مراراً يترجمهُ عفواً — يجعل صفحات هذا الكتاب تنبض بروح جبران وتتسم بسمة من اسلوبه

فنشكر للاديب الناقل وللمس بنغ عنايتهما بعرض صفحة مجيدة من الادب العربي الحديث على ابناء اللغة الانكليزية . وحبذا الحال لو عنى احد الناشرين في البلدان العربية باخراج مجموعة كاملة من آثار جبران ، ما كُتِب منها بالعربية وما نقل عن الانكليزية، على ان يتولى الاشراف على اخراجها الاستاذ ميخائيل نعيمه . وقد نشرنا في باب حديقة المقتطف احدى قصائد جبران العربية التي عنوانها « على باب الهيكل » ومعها ترجمة مقطع منها نموذجاً لاسلوب الكتاب

نهضة الشعر الحديث

١ — الملائكة والمجنون — لسيد قطب ٢ — ديوان صالح جودت
٣ — أغاني الكوخ — لمحمود حسن اسماعيل

من الحق عليَّ ان ارحب بالفرصة التي مهّدت لي النظر في هذه الكتب دفعة واحدة . فهذا الثالوث يمثل نهضة الشعر الاخيرة في اعتدالها وتطرفها في ضعفها وقوتها ، أصدق تمثيل

والواقع ان استعراض هذه الكتب هو استعراض اجمالي وتقاش ضمني لأهم المبادىء التي يتفق عليها ويختلف فيها النقاد في نهضة الشعر الحديث

يتفق النقاد على أن النهضة الشعرية تسير في اتجاهها الصحيح وأن الروح التقليدي اختفى أو كاد ولكن هؤلاء النقاد يختلفون جد الخلاف في مسألة خطيرة كل الخطورة هي مسألة من هو الشاعر الصحيح

فالفريق الاول من الأدباء يقول ان الشعر يجب أن يكون من قوة التأدية بحيث لا تقل دباجته اشراقاً وجرساً عن دباجة الشعراء من أمثال المتنبي والبحتري وأبي تمام وشوقي . كما يجب في الوقت ذاته أن يكون هذا الشعر من قوة المعاني بحيث يكون محيطاً باتجاهات العلوم الحديثة والفلسفة

ومن أخص خصائص هذا الفريق أنهُ لا يتسامح في نبوة لفظية ولا يعفو عن كبوة معنوية ولا يغضي عن نشزة موسيقية ولكنهم بهذه الدقة يقيسون الشعر وبتلك العين ينظرون الى الشاعر كما يجب أن يكون . فإذا حلّق شاعر الى موضوع ما وقصرت بهِ خوافيهِ أو قوادمهُ عما ينبغي للشاعر أن يعطو لهُ في جوّ هذا الموضوع فهو ليس بشاعر صحيح في نظر هؤلاء

أما الفريق الثاني فيقول لسان حالهم ان الشعر فن يجب أن يكون لهُ من قوة ذاتيته ما يجعله في غنى من ملازمة أو معاونة أي فن آخر حتى الموسيقى . أجل حتى الموسيقى فهي لا تلزم لمعاونة الشعر وإذن فمن باب أولى عند أصحاب هذا الرأي أن الشعر مستغنٍ عن بقية علوم اللغة وأدواتها من معانٍ وبيان وبديع واشتقاق وغير ذلك . فالشاعر في نظر هؤلاء لا يعيب شاعريته جهله أو عدم مبالاته بالموسيقى الشعرية . كذلك لا ينقص من شاعريته خطؤه في الاعراب أو غلطه في الاشتقاق أو كبوهُ في استعمال الكلمات والجمل بعضها في مواضع بعض . فاذا أصيب واحد من شعراء هذا الفريق بضعف في ملكته الموسيقية تخلط هزج الشعر بخببه وبسيطه بخفيفه فلا بأس عليهِ من ذلك قد خلق شاعراً ولم يخلق موسيقيًّا واذا كانت موسيقية أحدهم ثقيلة الظل مضطربة الجرس فانه أيضاً فان هذا الضعف علامة القوة في الشاعرية وهو آية مناعتها لا رخاوتها أو مياعتها

هذان الفريقان المتفاعلان في هذه النهضة ولعلك قد لمست ان خلفهما على مسألة صحيح راجع في الحقيقة الى خلفهما على مسألة الأداء الشعري فهذا الفريق الثاني

يرى أن الشعر هو الطلاقة الفنية كائناً ما كان حظها وقدرتها على التعبير عكس الفريق الاول الذي يرى أن هذه الطلاقة الفنية لا يمكن استقلالها عن أدوات التعبير

ونحن هنا لا نقصد الى ترجيح أحد هذين الفريقين . وكل ما نقصد اليه هنا هو استجلاء آثار هذين الفريقين كليهما بمقدار ما تعطينا هذه الكتب الثلاثة من نماذج فنية تمثل فيها ضعفاً وقوة نهضة الشعر الحديث

١ — الشاطىء المجهول

فأنت ترى في ديوان الشاطىء المجهول محاولات طيبة تقربك الى حد كبير من نظر الفريق الاول الى الشاعر الصحيح . أجل اقول محاولات وقد يغضب صديقنا الشاعر سيد قطب من هذا التعبير ولست أبالي ان غضب . فصديقنا الناقد سيد قطب[1] زعيم بإنصافنا من صاحبه الشاعر فهو يقول ان له من مصاحبته زهاء عشر سنوات وإذن فهو يدري بمواطن ضعف شعره. ومهما يكن من مناصرة صديقنا الناقد سيد قطب لنا على صديقنا الشاعر سيد قطب واخذنا عليه بعض أنواع الضعف والخطإ أو ما يشبه الضعف والخطأ فان في ديوان الشاطىء المجهول قصيدة السر — وناهيك من قصيدة هي ديوان في ديوان . فأنت في هذه القصيدة تنظر الى الطلاقة الفنية كيف تخدمها علوم الادب وألوان من الثقافة العامة كما يخدمها فن الموسيقى والتصوير والرسم . وليس ذلك وحسب بل فن القصة وفن التخريج الروائي أيضاً. كل هذه الفنون والعناصر في هذه القصيدة قد جمعت بعضها الى بعض بنسب موزونة تنتهي الدقة . فليس ثمة لعنصر أن يطغى على الآخر ولا لفن أن يتطاول على أخيه . ولم يكن أحب لنفسي من نقل هذه القصيدة كلها اذ لا سبيل لنقل بعضها ليستمتع بها القرّاء معي لولا ضيق هذه الصفحات . ومن الغريب أن يلاحظ على الروح الموسيقي في ديوان الشاطىء المجهول الشحوب العام حتى في أعظم مواطن الفرح للشاعر فيجيء هذا اللون من الضعف مساعداً كبيراً على زيادة التوفيق في هذه القصيدة بالذات حيث لا يليق فيما بين المقابر الا هذا اللون الشاحب من التلحين . ويصرح الشاعر ان موضوع هذه القصيدة اختمر في عقله الباطن ستّ سنوات ولا شك أن هذا التصريح يكشف عن سر يظهرنا على هذه الاجادة المقطوعة النظير — ومع اعجابي بهذه القصيدة معنىً ومبنىً ولفظاً فليس في وسعي ان أمرّ عليها دون أن أقف فيها على هذا البيت حيث يقول :

وغشاه روع الموت والموت روعة تغشى فيعنو كل نكس وقادر

فقد وددت ان يكون شطره الثاني هكذا (تغشى فيعنو عاجز مثل قادر) اذا سمح لي قطب أن يسترعي ذوق الشاعر سيد قطب لجمال هذه المقابلة . وكذلك أود ان استرعي معاً الشاعر والناقد الى قولهما في قصيدة الشاطىء المجهول

(١) انظر ما يقوله الناقد سيد قطب في تقديمه للشاعر سيد قطب في مقدمة الشاطىء

لقد حجب العقل الذي نستشيره حقائق جلت عن حقائقنا الصغرى

فالأفضل ان يقال حقائقنا الكبرى بدل حقائقنا الصغرى لانك اذا قلت ان الكبير يجل عن الصغير فيه غرابة امتياز في التعبير. ولست اجهل النكتة في تعبيره بالصغرى بدل الكبرى فهو يريد ان يقول انه لا يرى في هذه الحياة الدنيا حقيقة واحدة يصح ان توصف بالكبرى وهذا اعتبار فلسفي بليغ حقاً ولكني ألاحظ ان هذا البيت من حقه ان يجري مجرى المثل ومن حق الامثال ان لا تقف في الأذان بطلب الاستئذان فهي من اجل هذا تفضل القول الفصيح على القول البليغ. وايضاً وددت لو ان الشاعر في هذا البيت نفسه أراحنا من لفظ (نستشيره) وقال نقتدي به او نهتدي او غير ذلك مما يحلو له فان السين والشين بينهما تناء في لفظ (نستشيره) هذا تذكرنا بمثلها في قول بعضهم : عذافر مستشزرات الى العلى. وهذه هي الكلمة التي ضربتها كتب البلاغة مثلا في تنافر الحروف

٢ — ديوان صالح جودت

اما ديوان صالح جودت فنيه من خفافة الظل ما يحبب القارىء في صاحبه ولا سيما حين يرى جودت يعتمد على طبعه المصري ووجداناته الظريفة فهو حينئذ زعيم ان يعيد الينا نكهة خفيفة الروح من مصر الشاعرة في زمن ابن ممتوق وابن مطروح وأمثالهما من شعراء عصر الظرفاء فاسمع اليه وهو يخاطب حبيبته فيقول :

ايها القاتل اني مشفق لك ان تلقى الردى من ملكيك

فوصم الحبيب بالقاتل وتحذيره حين يلقى الردى من ملكيه كل هذا هو من اسلوب شعراء ذلك العصر وليس جودت هو الذي يقول بسؤال الملكين وانما هذا هو شعاع من غلبة حب النكتة على طبعه المصري الظريف . وانما جودت ابن عصرنا هذا هو الذي يقول في المهزلة الكبرى :

والذي اودى بسكان الجحيم هو ما امسى ثواباً في النعيم
حكمة قد حيرت عقل الحكيم غمرت بالشك اذهان الملا
ايكون الذنب في الاخرى ثواب

لاشك ان صاحب هذا مستحيل ان يكون من القائلين بسؤال الملكين . ثم اصغ اليه حين يقول :

يا شقيق الزهر والطير اما ساءلت نفسك عني اخوبك
انا في روضك ارويه بما فاض من عطفي مدى العمر عليك
أزرع الآمال في روض هواك واريها بدمعي ودمي

او في قوله في جسم فتاته صاحبة الهيكل المستباح

جعلت منهُ الليالي سلعة ما لليالي غير تجار الرقيق

فهذه الاستعارات والتشبيهات التي تجعل الحبيب شقيقاً للزهر وللطير وتجعل الهوى روضاً يزرع

فيه الآمال كل هذا هو الخيال المصري الذي نحس فيه نكهة قوية من انفاس شعراء مصر من عصر الشاب الظريف . ثم ألا ترى في قوله : (مالهالي غير مجار الرقيق) قرينة تصدق ما نذهب اليه من ان خيال جودت يستوحي الروح المصري الذي لم ينس بعد عصور الرقيق ومجاراة الرقيق وها هو مجاراة لابن معتوق واشباهه يأبى الا ان يخترع دموعاً فما تغور وهذه الدموع تقبل خدي حبيبته زينب فهو يقول :

فاني رأيت تغور الدموع تقبل خديك يا زينب

تأمل . فلعله في مرة ثانية سيخلق لدموع زينب اسناناً تأكل بها او تعض ! وجملة ما في صاحبنا أنهُ عذب سائغ ما استمد من طبعه فاذا استمد من مطالعاته ولاسيما العربية ورغب في محاكاة شعرائها فهناك يشعر بالحاجة الى ما يعينهُ على التعبير فاذا استخفهُ بذلك فهو لا محالة شاعر بالكلال فمن امثلة ذلك قوله في المهزلة الكبرى :

غنني النشودة الوادي الوسيع (هكذا) حيث لا اسمع للدنيا رجيع (هكذا)
ثم جفف ساعة جفني الدميع وأرد نوق الحزن واهتف حيهلا
يا كراز السحر يا كاس الشراب

فلفظ (ساعة) في قوله ثم جفف ساعة هو في علم صناعة النظم حشو تأهيك بالاشتقاق في قوله جفني الدميع . أما ضعف التعبير في قوله وارد نوق الحزن الخ فما لا يحتاج الى بيان . واليك ايضاً قوله في احد مطالع قصائده في الرثاء

هل رأيتم لجيعة الآفاق كيف اودت بأدمع الآماق

لا جرم ان هذا البيت يذكر الادباء ببيت ابي العتاهية : مات الخليفة ايها الثقلان . الخ على ان قول جودت كيف اودت بأدمع الآماق فيه تفوق عظيم على ابي العتاهية . ومن هذا القبيل بيت لحافظ عند ما شبه ثوران البحر في عاصفة عاتية بثوران القدور

ومن هذا القبيل قول جودت في رثاء شوقي

انا في مصر سامع لوعة الشرق ودار بمهجتيه الدوار

فهذا تعبير عامي تقريباً . وقوله في رسالة الحب :

لحكمت قلبك بيني وبينك لكن حكمت فلم تنصف

فصناعة البيان العربي تنكر مثل هذا الاستدراك في قوله لكن حكمت الخ . كذلك يقول :

حرك الحسناء في صمت الدجى همسات رددت في صومعه

وكان خيراً له ولهذا النظم الجميل لو قال آنس الحسناء بدلاً من قوله حرك لانهُ تعبير سقيم والديوان بهذه الامثلة التي يدل على روح الاحتياج الى الثروة البيانية العربية وان حفل برغم هذا بروح يترتب ضمين بالاعتماد على نفسه محاولاً التخلص من كل ألوان المحاكاة . ويتجلى لك هذا الروح كثيراً في المقاطيع ذات البيتين او الثلاثة الى الخمسة ومن أحسنها قوله يخاطب آلهتهُ

ما رونق البدر الا شعة من عيونك
هذه بيتي لاهلي فنوره في جبينك
وحيرتي فيه بعض من حيرتي في شؤونك

هذا روح يحاول ان يكشف عن نفسه بدون شك وفي امكانه بقليل من العناية ان يصل الى ما يصبو اليه

٣ — اغاني الكوخ

واخيراً نقدم على كتاب اغاني الكوخ وانت حين تمسك نفسك على قراءته ستلقاك الوان كثيرة من اخيلة الطلاقة الفنية ممتدة بحشد لا بأس به من الثروة اللفظية التي تساعد على التأنق في تأليف الجمل ولكن بجانب ما يستهويك من ذلك ومن عناوين قصائد القيثارة الحزينة وثورة الضفادع الخ وبجانب ما يسترعيك من اناقة طبع الكتاب لا تكاد تمضي في قراءته حتى تصطدم بأغاليط شتى في النحو او في اللغة او في العروض بله الاخطاء في الاسلوب المنطقي في التفكير وسوء استعمال وصايا علم البيان . فمن اخطائه النحوية قوله في قصيدة القرية الهاجعة

وسدتها الاضواء من لحها الضافي وساد الطبيعة العبقري
بهرة لمعقول تملي على الكون نشيد الهناءة النجري
ثم في جنة يلقن شاديها نداء الطبيعة العلوي

فهو في هذه الابيات الثلاثة خضوعاً واذعاناً لحكم القافية يجر ما حقه ان ينصب وجوباً بحكم الاعراب. ويشهد الله انا حاولنا ان نقرأ قصيدته بالكون في رويها وفي العروض متسع ولكننا وجدنا المؤلف ذاته عمد الى قوافي القصيدة وضبطها بكسر الروي. ومن أغلاطه اللغوية قوله يشير الى ثورة الساقية وسائقه

يتلو على آذانه سورة من قسوة السيد على عبده

باسكان الياء في السيد ليستقيم له وزن البيت وهذا غلط شنيع لا يمكن قبوله الا في الازجال ومن افواه العوام ومن خطئه اللغوي ايضاً قوله :

وقد ود النخيل قامات غيد ساكرات من خمرة الطل ميد

فاستعمال ساكرات من الخمر غلط لغوي وساكرات بهذا الاشتقاق انما تستعمل بمعنى ساكنه لا غير فاستعمالها في سياق هذا البيت غلط واضح لاقل المتأملين

وقوله : فاذ الهوى يرخي ذوائبه كأن العفاف لبابة في الطهر

فكلمة لبابة هنا لامعنى لها لغوياً باي حال ولعله اراد نفاية فوهم . اما اغلاطه العروضية فمنها قوله

ورنا الدوم للشعاع كلهوف صبا الى نهره الفضي

والشطر الثاني من البيت مكسور لانه من الخفيف ووزنه معروف. وقوله من قصيدة بعنوان في المحراب

الطهر في لألائها والسحر في اضوائها والنور في صهبائها والنار في اعصابي

في هذا البيت قد زاد وزنه الدروضي تفعيلتين لأنه من الكامل (وهو وزن باقي القصيدة) وهو متفاعلن ست مرات ولكنهُ في هذا البيت ثمانية. وهناك قصيدة بعنوان تسعي لم اعرف لها وزناً مطلقاً ولعلي لم اعرف لها طعماً ايضاً واذا تحدى انسانٌ ما ان يضبطها على ميزان عروض معروف او غير معروف. ومن اغلاطه في انسياق المنطق الافكار قوله يشير الى الريف

هنا حيايا النفس مطمورة غشى عليها الزمن الجائر
لو لابن سينا خطرة بينها ما قال نفس لغزها قاهر

فلم ادر من الذي قال ان الريف وحده هو موطن النفس المطمورة واي مانع يمنع من وجود الانفس المطمورة في الحضر كما هي في الريف واي قيمة اذن لكلام يصح ان يقال هنا كما يصح ان يقال هناك وادهى من البيت الاول قوله في البيت الثاني لو لابن سينا خطرة بينها الخ فلست افهم لماذا كان ابن سينا يمتنع عن قوله في النفس انها لغز قاهر لمجرد خطرته في الريف أكان لغز النفس الانسانية المعقدة يحل لابن سينا اذا رأى الانفس المطمورات في الريف ؟ ما شاء الله على هذا التفكير وعلى هذا المنطق. أما سوء استعمله لرصايا علم البيان فالكتاب طافح بالاستعارات الغامضة وبوجوه الشبه المعيبة عند البيانيين فمن هذه الاستعارات الغامضة قوله يصف زهرة القطن

ذات كاس ارضعت شمس الضحى ريقها من خمرة النور المشاع

فهذه الاستعارات الكثيرة في بيت واحد تحتاج الى (رمّال) ليكشف لنا ما فيها من غموض ومع كل ما ذكرنا من تلك الامثلة للتلبيه لا اكثر ولا اقل على انك برغم هذه الاقاليط ستقع في هذا الكتاب على ابيات تستحسن. فمن ذلك قوله في سنبلة تغني

من له في الارض ملك مثل ملكي في الكثيب
موردي النيل وزادي من ثرى النيل الخصيب

الخ هذه الاغنية التي يعجبني على الاخص قوله في آخرها

وتحطمتُ فأحيا الناس عيش من رفاتي
انا في غرسي وحصدي وحياتي ومماتي
مثلٌ أعلى ورمزٌ خالص للتضحيات

ومن امثلة لباقته في التوليد قوله في قصيدة (النمش)

هذا الذي ضاقت الدنيا بطلعته نصيبه كان منها عشر أشبار

فهذا النظم مُولّد من قول بعضهم

فالشرق نحو الغرب اقرب شقة من بُعد تلك الخمسة الاشبار

وهذا البيت هو من قصيدة هي بعض محفوظات المدارس ومطلعها: حكم المنية في البرية جار وجملة القول انهُ شاعر يحاول الاندماج في المدرسة الحديثة ومحاكاة اتجاهاتها الفكرية الحديثة

الاستعراب دون الملم باللغة التي تتيح له ذلك وهذا مستغرب من شاعر يتلقى العلم في دار العلوم وهي معقل اللغة والادب الحصين . فأعراض الضعف التي نراها في أغاني الكوخ لا نلحظ لها أثراً في ديوان جودت فهو وان كانت ثروته اللفظية أقل من صاحبه الا أنهُ يعتاض عن ذلك ويعتصم بلغة أجنبية تقف به على أفكار مدرسته وتسهل عليه الاندماج فيها مباشرة ولهذا كان اكثر من زميله اندماجاً في موضوعاته واتجاداً نحو الاستقلال . أما ديوان الشاطىء المجهول فهو متأثر بالقائلين أن الطلاقة اللفظية لا تكفي وجدها في تكوين الشاعر فهي لا بدَّ لها في تكوينه وانضاجه من استخدام ألوان شتى من سائر الثقافات والعلوم والفنون وعندي ان هذا الرأي الاخير هو افضل المذاهب لتخريج الشعر الصحيح واظن ان هذا هو ايضاً مذهب الحياة

محمود ابو الوفا

قصص جغرافية للأطفال

تكون سعادة الأمة موفورة كاملة على قدر وفرة عناصر السعادة فيها وأهم تلك العناصر هي انتشار العلم الصحيح بها والثقافة التي تكفل لأبنائها التربية الحسنة ثم كمال الصحة وكثرة المال والنشاط والدأب في العمل ، هذه هي أهم وسائل السعادة ، واذا كان المال لا يحقق للأمة سعادة الا بالعمل الذي لا يستقيم ولا ينتظم الا بالعلم الصحيح والتربية الحسنة فجدير بكل امة ان تطرب سروراً وتغتبط اعتزازاً وحبوراً عندما يبرز فيها اديب كامل او عالم فاضل ينهضان الامة بعلمهما وادبهما. فما اجدرنا والحالة هذه ان نقدر الاستاذ كامل كيلاني حق قدره ونعرف له اياديه البيض وما أثره النَّير على العلم والادب معاً فالاستاذ الكيلاني لم يقتصر في علمه وادبه على تهذيب الشبان والكهول بما نهلهم وعلهم به من تلكم الموارد العذبة الصافية التي درَّتها عليهم سحب فكرته الوقادة (شرح ديوان ابن الرومي وابن زيدون ورسالة الغفران) . وناهيكم بتلكم الكتب دلالة على ما بذل من مجهود وتجشم من مصاعب

قلنا ان الاستاذ لم تقتصر مواهبه على اصلاح الفكرة الشاذة والمكتهلة بل عني عناية لم يسبق اليها فوضع مدرسة للأطفال تسابقهم من ابان تكوين الفكرة الى حين نضوجها وانها لمدرسة فوق كونها متنقلة يحوزها الطفل في بيته ويتلقى دروسه فيها فوق سريره وحيث يرتاض وحيث يسرح فهي فوق ذلك شائقة طريفة لا يكاد طلابها يشعرون بملل او يحسون بنصب وما بالكم برجل يعرض دروس الجغرافية الطبيعية على اذهان الأطفال بصورة قصصية تنقشها في اذهانهم نقشاً أثبت وأروع مما ينقشهُ القلم على القرطاس . ولسنا بصدد استقصاء مآثر هذا الأديب فهي فوق وسعنا وانما نعني فقط ان نبرز لاعجابنا به صورة تتفق ومجهوداته النادرة الغريبة التي برهنت على ان الرجل قد ضحى نفسه وصحته ووقته في سبيل خدمة المصريين خاصة والامم الشرقية عامة

علي طاهر

استدراك — وقع خطأ في الصفحة ٣٤٤ (بالمدائين) والصواب بالحدائين . عبد الرحيم بن محمود

فهرس الجزء الثالث من المجلد السادس والثمانين

صفحة

٢٥٣ السيارات : أجواؤها والحياة عليها
٢٥٩ حركة الرواد : لاحمد محمد حسنين باك
٢٦١ ألف ليلة وليلة : للدكتور احمد ضيف
٢٦٩ ليون دوديه : للآنسة « مي »
٢٧٧ مواطن النباتات الزراعية : للامير مصطفى الشهابي
٢٨٢ الشعبية والشعوبية : بقلم نقولا حداد
٢٨٨ الى موسيقية عمياء (قصيدة) : لعلي محمود طه
٢٩٠ الطرائق المتبعة في الإشباب : للدكتور شوكت موفق الشطي
٢٩٥ الفارابي : لاديب حاسي
٣٠١ سر النواة
٣٠٥ موت فنان (قصيدة) : لحسن كامل الصيرفي
٣٠٧ فصلان عراقيان : لأمين الريحاني
٣١٥ أيقال اكتشف الشيء : للأب انستاس الكرملي
٣٢٠ سيرة وزر بقلمه : ليعقوب فام
٣٢٤ مسجد المنصور ببغداد : بقلم الكبتن كرسويل (مصورة)
٣٣٠ روح الرواد
٣٣٥ سير الزمان : الثورة للدكتور عبد الرحمن شهبندر : الرئيس ماساريك : الحالة الاوربية للجنرال سمطس
٣٤٧ مملكة المرأة : المعادن في اللبن : العبقرية : المرأة الفرنسية وحق الانتخاب : الحب والمغازلة في روسيا : مقومات الجمال : زيت كبد الحوت للدكتور عبده رزق : عادة شرب الشاي : سلامة الاطفال
٣٥٧ حديقة المقتطف : على باب الهيكل لجبران خليل جبران : الفتاة والوردة : لتوماس مور

٣٦١ المراسلة والمناظرة * ارشاد النوي . للاستاذ عبد الرحيم بن محمود
٣٦٣ مكتبة المقتطف * فاتحة وخاتمة البلدان البلطية الشرقية : اغاني البروز : سك في الو
فن التصوير الاسلامي : مصادر الاخبار الاسلامية : ابن السعود ملك الجزيرة : (للدكتو
وزيا : مدخل فن الجراثيم : للدكتور امين المعلوف : ضحايا الاطفال ليعقوب فام : ق
المنثورة : نهضة الشعر الحديث : لمحمود أبو الوفا : نصيحي جغرافية الاطفال : لعلي طا

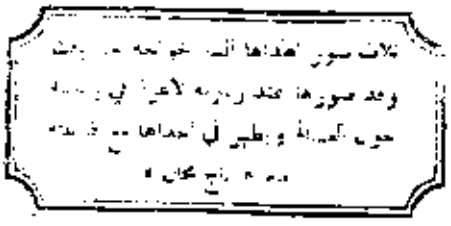

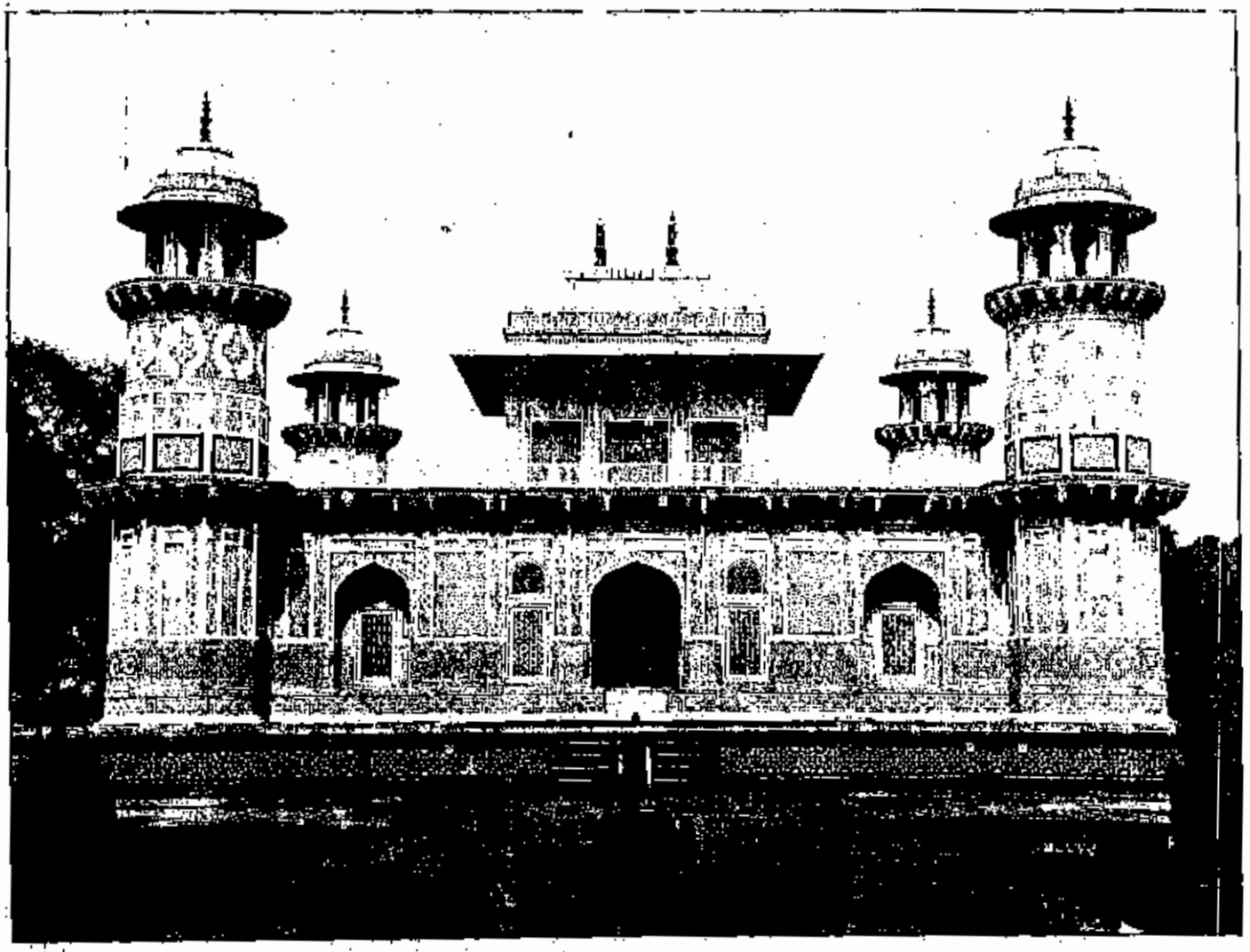

مقبرة « اعتماد الدولة » في اغرا بالهند . وقد كان كبير وزراء جهانغير

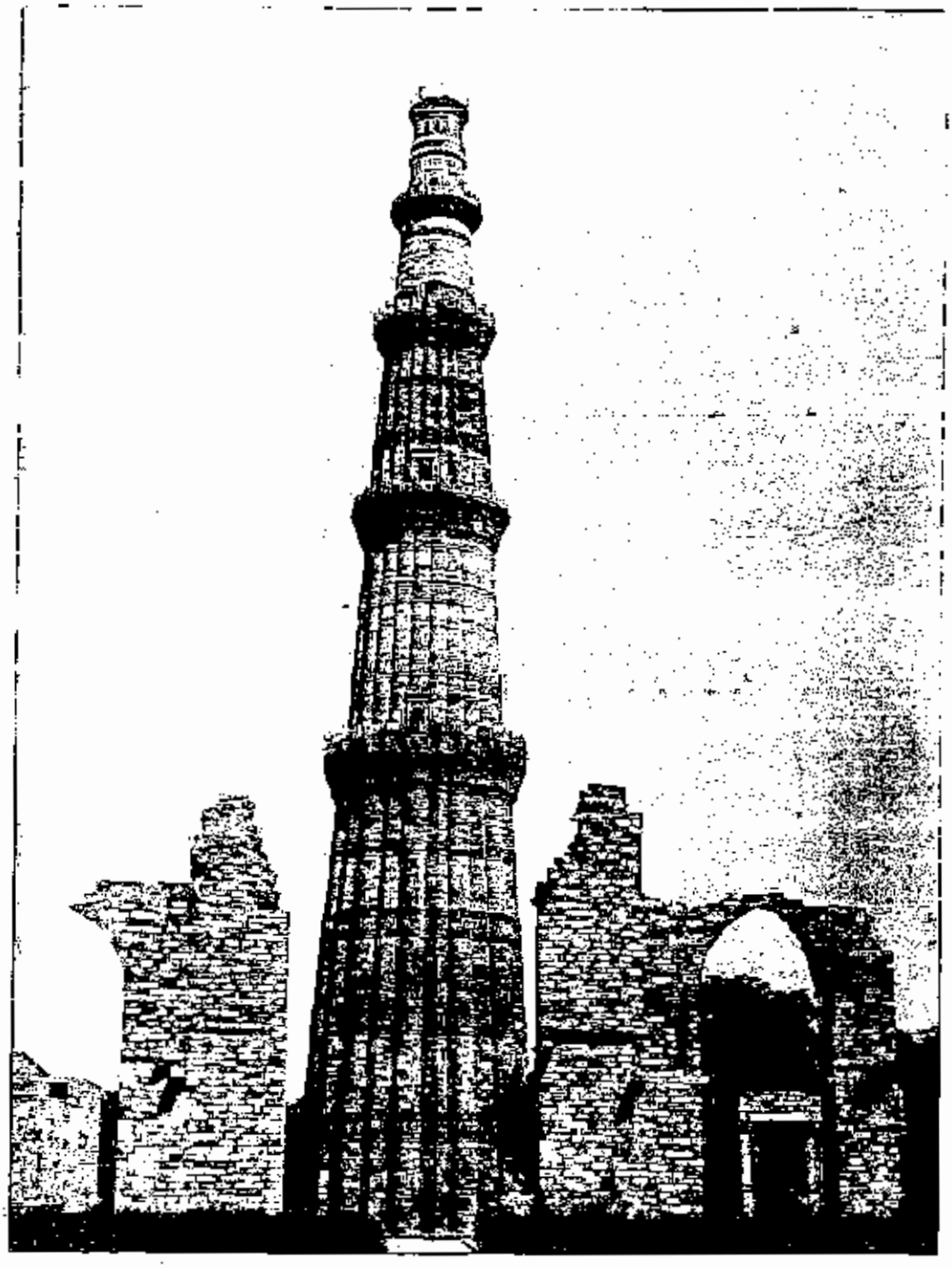

مأذنة على ١١ ميلا من دلهي علوها ٢٣٨ قدماً وبوصة واحدة وقطرها عند قاعدتها
٤٧ قدما و٣ بوصات ، وعند قمتها ٩ اقدام

داخل الديوان الخاص في دلهي وهو معروف بردهة « عرش الطاووس » لان وراء العرش فيها كان يوجد طاووسان من الذهب وقد رصع ذيلاهما بالالماس والياقوت الاحمر والياقوت الازرق والزمرد واللؤلؤ وغيرها من الحجارة الكريمة تقليداً لالوان الطاووس الطبيعية

الى اليسار — امام « تاج محل »

الشمس في كبد السماء
وقد وقع ظلها عمودياً على الارض تحت الاشجار

العلامة البرت أينشتين

Albert Einstein